# الكنوز المَلِيَّة

مِن أقوال وأحوال

## شيخ الإسلام ابن تيمية

مِن كتبِ الإمام ابن القيم وغيره

تصنيف الدكتور

عِماد محمد علي عيسى

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

# الكُنُوزُ الْمَلِيَّة

## مِن أَقْوَال وأَحْوَال

## شَيْخِ الإسْلامِ ابْنِ تيميّة

### من كتب الإمام ابن القيم وغيره

تصنيف الدكتور

**عماد بن محمد بن علي عيسى**

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ




الطبعة الأولي : 2020م/1441هـ

رقم الإيداع : 2020/8488

الترقيم الدولي : 3-44-6806-977-978

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa @DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

01007868983 - 01007711665

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

المنصورة : عزبة عقل - شارع المكتبات بجوار جامعة الأزهر .

# المُقَدِّمَة

الْحَمْد لله ربِّ العَالَمِين، الذي منّ علينا فهدانا، وكلَّ بلاء حسن أبلانا، فله الحمد كما ينبغي لكَرَم وجْهِه وعزِّ سُلطانه، وَهَبَنا مَحبَّةَ السنة وأكرمنا بحُبّ الكتاب، وألْهَمَنا العملَ بهما ومتابعةَ الصواب، وجنَّبَنا الفتنَ والشَّكَّ والارْتِيَاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يعلم أنه لا يَمُنّ بها عليه إلا هو، وأشهد أن محمدًا عبْدُهُ ورسولُه، وخليلُه وحبيبُه، وأمينُه على وحْيِه.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين علا بهم منارُ الدين وارْتَفَع، وشيّد بهم من دِينِه الحنيفِ ما شرَع، وأخْمد جذوَة من حاد عن الهُدى واتّبع الهوى ومال إلى البدَع، وعلى من سار على نهجه واقْتَفى أَثَرَهُ، واتّبَع

**وبعْدُ.**

فهذه رسالة عن شيخ الإسلام تجمع له أحوالًا، وتضمُّ من كلامِه أقْوالًا؛ فهي في الْجُمْلة تَحْوي أقْوالًا نافِعَة، ومواعِظَ جامِعَة، وحكمًا ذائِعَة، وجُملًا رائِعَة، وعباراتٍ ذائِقَة، وكلِمَاتٍ شيِّقَة، وأجوبةً سَدِيدَة، وأحوالًا مَجِيدَة، ووصايَا جَمِيلة، ونصائحَ جَلِيلة، بَلْ هي أكثَرُ مِمّا وَصَفْتُ، في بعضِها طُولٌ، وفي بعْضِهَا اخْتِصَارٌ شَدِيدٌ، وبعضُها وَسَطٌ بَيْنَ هَذَا وذَاكَ.

ولا غَرْوَ فهي خارجةٌ من نسيجِ وحْدِه وَشيخِ وقْتِه، وصادرةٌ عن إمَامِ أَوَانِه،

وعَالِمِ زَمَانِه، بَلَغَ فِي العُلُومِ العَلْيَاء حتّى وَصَلَ عَنانَ[١] السَّمَاء، وناطحَتْ معارفُه كواكبَ الْجَوْزَاء، وطنَّتْ بذكره الأمْصَار، وضنَّتْ بِمِثْله الأعْصار، وقلّ أن يَسْمَحَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ.

إِنَّه (الشَّيْخُ الإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ، إِمَامُ الْأَئِمَّة، ومفتي الْأمة، وبَحْرُ الْعُلُوم، سيِّدُ الْحفاظ، وَفَارِسُ الْمعَانِي والألفاظ، فريد الْعَصْر وقريع الدَّهْر، شيخ الْإِسْلَام وَبَرَكَةُ الْأَنَام، وعلّامةُ الزَّمَان وتَرْجُمَان الْقُرْآن، عَلَمُ الزُّهَّاد وأَوْحَدُ الْعُبَّاد، قامِعُ الْمُبْتَدِعين وَآخِرُ الْمُجْتَهِدِين، تَقِيّ الدّين أَبُو الْعَبَّاس أَحْمَد ابن الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة شهَاب الدّين أبي الْمَحاسِن عبد الْحَليم ابْنِ الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة شيخ الْإِسْلَام مَجْد الدّين أبي البركَاتِ عبْدِ السَّلام ابن أبي مُحَمَّد عبد الله ابن أبي الْقَاسِم الْخضر بن مُحَمَّد بن الْخضر بن عَليّ بن عبد الله ابْن تَيْمِية الْحَرَّانِي نَزِيلُ دمَشْق وَصَاحبُ التّصانِيف الَّتِي لم يُسْبَقْ إِلَى مِثْلهَا)[٢]. اهـ

وهذه الأوْصَافُ الَّتي وَصَفَه بها ابنُ عبْدِ الهَادِي وغيرُهُ أوْصَافٌ تدُلُّ على أنهُ لَمْ يَرِث العلمَ عن كَلَالَة، بل كان أهلُ بيتِه - وهو منهم بلا ريْبٍ - لأهِلَّة العُلُوم هَالَة، فصارُوا في النَّاس شامَةً بعْدَ ما نَجّاهم اللهُ من الضَّلالَة والْجَهالة.

كَمَا أنّ هذه الأوصافَ هو بها خليقٌ، ولها حقيقٌ؛ إذْ إنه قد جَمَعَ عِلْم الْمَنْقُول والْمَعْقُول مع اطِّلَاعٍ وافرٍ، وإلْمَام كبيرٍ بِمَذاهبِ عُلَمَاء الإسْلَام، بَلْ إليْهِ في ذلك الغَايَة، وله النهاية في القُرُون الْمُتَأَخِّرة، وإنّ العباراتِ لَتَقْصُر عن وصْفِه، ولوَ كُتبَ عنه على سَبِيلِ التَّوسُّع لكُتبَ عنه أَحْمَال، لكن لا مناصَ من الاخْتِصَار والإِجْمَال.

---

(١) عَنَانَ السَّمَاءِ: العَنَان بِالْفَتْحِ: السَّحاب اهـ.

(٢) العقود الدرية للحافظ ابن عبد الهادي: ص ١٨.

❁ **وقد قال الذهبي عن سِيرَةِ شَيْخِ الإسْلامِ:**

يُحْتَمَلُ أَنْ تُرَصَّع(١) في مُجَلَّدَيْن(٢).

وابنُ تيميّة كغيره من عُلمَاء المسلمين غيرُ معصُومٍ بل هو واحدٌ من البَشَر، غير أني مُتَيَّمٌ بهذا الإمامِ والعالِمِ الْهُمَام.

ومَبْلَغُ عُذْرِي في ذلك، ما وجدتُّه عنده - ويجِدُه كلُّ منصفٍ فيما أَرَى - من التَّحْرير في مَوَاطِن تكعُّ فيها أقلام فُحُول العُلمَاء، وتَحَار فيها عقولُ الفُهَمَاء.

ولي عند الكَلامِ عن شَيْخِ الإسْلَامِ ابنِ تيْمِيّة حالةٌ أجِدُها في نفْسِي حَيْثُ تأخُذُ قَلَمِي حِكّة شَدِيدَة وهِزّةٌ عَنِيفَة؛ لكنّها غيرُ مُخِيفَة، فلا يهدأ ثَوَرانُها حَتّى تَجْرِي من سِنّ القَلَم الأوصافُ والكلماتُ وتَتكاثَر، وتَهدِرُ من رأسِه- أي القَلم - الألقابُ والعباراتُ وتَتَنَاثَر، فلا أَسْتَطِيعُ ردَّها ولا صدَّها؛ إذ إنّها تَنْهالُ كأنّه سَيْلٌ حَطّ من عَلٍ، أو كأنّما السّمَاءُ قد فُتحَتْ بِمَاءٍ مُنْهَمِر، وتَفَجَّرتْ على إِثْرِها الأرضُ عُيُونًا، ومِنْ ثَمّ تَلْتَقي الكلماتُ على أمرٍ قَدْ قُدر، ولله الْحَمْدُ على ما أكرمَ به وأَلْهَم، وتَفَضَّل علَيْنَا به وتكَرَّم.

ولا يعني هذا التعصب له والجنف لإثم من أجله، فإنَّ ابنَ تَيْمِيّة لو جَانبَ رأيُهُ الصوابَ في مسْأَلةٍ أو زَلَّ قلَمُه في قضيّةٍ لا ينبَغِي أنْ نتّبعه، وإني لأُبْغِضُ التَّعصُّب لأنَّه لا يأتي إلا بالشَّرِّ، أمّا الإنصاف حتى في حَقّ من تُحبُّ فهو الاعْتِدال والتَّوسُّط وهو خيْرٌ كلُّه فَخَيْر الأُمورِ أوْسَاطُها والله أعلم.

---

(١) أي: ترجمة شيخ الإسلام.

(٢) طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي:

**❁ قال الإمام الشوكاني:**

**وَالنَّاس قِسْمَانِ فِي شَأْنه:**

فبعض مِنْهُم مقصر بِهِ عَن الْمِقْدَار الَّذِي يسْتَحقّهُ بل يرميه بالعَظَائِم، وَبَعْضُ آخرُ يُبَالغ فِي وَصفِهِ، ويُجاوزُ بِهِ الْحَدّ ويتعصَّبُ لَهُ كَمَا يتعصّبُ أهلُ الْقِسْم الأَوّل عَلَيْهِ.

وَهَذِه قَاعِدَة مطَّردَة فِي كلّ عَالم يَتَبَحَّرُ فِي الْمَعَارِفِ العِلْمِيّة، ويفُوقُ أهلَ عَصْرِه ويَدِينُ بِالْكِتابِ وَالسُّنَّة فإنَّهُ لَا بُدَّ أَن يستنكِرَهُ الْمُقَصّرون وَيَقَع لَهُ مَعَهم مِحْنَةٌ بعد مِحْنَةٍ ثمَّ يكون أَمْرُه الْأَعْلَى وَقَولُهُ الأَوْلى وَيصير لَهُ بِتِلْكَ الزّلازِلِ لِسَانُ صِدْقٍ فِي الآخِرين وَيكون لعِلْمِه حَظٌّ لَا يكون لغَيْره.

وَهَكَذَا حَال هَذَا الإمام فإنه بعد مَوته عرف النَّاس مِقْدَاره، واتَّفَقَت الأَلْسُنُ بالثّناء عَلَيْهِ إلا من لَا يُعْتَدُّ بِهِ وطارتْ مصنّفاتُه واشتهرتْ مقالَاتُه(١).



(١) البدر الطالع: ١/ ٦٥.

# سببُ تأليفِ الكتاب

هذا الكتابُ جمعتُ فيه طائفة من أقوال العالم الإمام، وطرفًا من أحوال العَلَم الْمُفْرَد الْهُمَام، ابن تيمية شيخ الإسلام مِمّا طالتْهُ يدِي وبلغتْه مُكْنَتي، وذلك من كُتُبِ تِلْمِيذِه وخِرِّيجه الإمام ابن قيِّم الْجَوْزِيّة - رحمةُ الله عَلَيْهمَا - وهو غالِبُ مادَّةِ الكِتَابِ، وكذَلِكَ مِن كُتُبِ غيْرِه وهو نَزْرٌ يسِيرٌ.

فقدْ طَالَعْتُ ترجَمَة شيخِ الإسلام في كِتَابِ "العُقُود الدُّرِّيَّة" للحافظ ابن عبد الهادي وكتاب "الأَعْلامُ العَلِيَّة" لأبي حَفْصٍ البزّار فلم أجِدْ ذكرًا للإمام ابن القيم إلا في موضِعٍ واحِدٍ ذكرهُ الحافظ ابنُ عبد الهادي فقال فيه:

وَفِي يَوْم الْجُمُعَة عَاشر الشَّهْر الْمَذْكُور قُرِىءَ بِجَامِع دمَشْق الْكتابُ السُّلْطَانيّ الْوَارِدُ بذلك وبِمَنْعِه من الْفُتْيا.

وَفِي يَوْم الْأَرْبَعَاء منتَصَفِ شعْبَان أَمَرَ القَاضِي الشَّافِعِي بِحَبْس جمَاعَة من أصحاب الشَّيْخ بسجن الحُكْم، وَذَلِكَ بمرسوم النَّائِب وإذْنِه لَهُ فِي فِعْلِ مَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْع فِي أَمْرِهِم.

وأُوذِيَ جمَاعَةٌ من أَصْحَابِه، واخْتَفَى آخَرُونَ، وعُزِّر جمَاعَة وَنُودِيَ عَلَيْهِم ثمَّ أُطْلقُوا سِوَى الإِمَامِ شمسِ الدّين مُحَمَّد بن أبي بَكْرٍ إِمَامِ الْجَوْزِيَّة فَإِنَّهُ حُبس بالقَلْعَة وسَكَنَت الْقَضِيَّة[1] اهـ.

فتعجّبْتُ من ذلِكَ وقلتُ: كيفَ لا يَرِدُ لابن القيّم شيء من الْمَواقِف مع شَيْخِه

(١) الأعلام العلية: ص ٣٤٦.

ابْن تيميّة مع كَثْرَة مُجَالسَتِه له وطُولِ صُحْبَتِه إيَّاه؟

**فلَمَّا بَحَثْتُ فيما طالعتُه خلال ترجمة شيخ الإسلام وفي طيّات كُتُبِ ابنِ القَيِّم وجدتُّ أمريْنِ كلاهُمَا يُؤَكِّد طُولَ الصُّحْبَةِ بيْنَ الإمَامَيْن ابنِ تيميّة وتلمِيذِه ابنِ القيِّم-:**

**الأول:** ما ذكره ابن القيّم في نونيّتِه الشَّهِيرة في مُعْتقَد أهْلِ السُّنَّة قائلًا بعد ذكر جُمْلة صالِحَة من مُؤلّفات شيخِه وبعضُها من الْمُؤلّفات الكَبِيرة:

فَــاقْرَأْ تصَــانِيفَ الإمَــام حَقِيقَــةً ... شَـيْخ الْوُجُـودِ الْعَـالِم الرَّبَّـانِي
أَعنِي أَبَا الْعَبَّاس أَحْمدَ ذَلِك الْبَحْرَ ... الْمُحِــيطَ بِسَــائِرِ الْخُلْجَــانِ
واقْـرَأْ كتـابَ الْعَقْـل وَالنَّقْـل الَّـذِي ... مَـا فِـي الْوُجُـود لَـهُ نَظِيـرٌ ثَـانِ
وكــذاكَ منهــاجٌ لَــهُ فِــي رَدِّهِ ... قَـولَ الـرَّوَافِضِ شِـيعَةِ الشَّـيْطَانِ
وكــذاكَ أهْــلُ الاعْتِــزَالِ فإنَّــهُ ... أَرَادَهُــم فِــي حُفْــرَة الْجَبَّــانِ
وَكَـذَلِكَ التأسِيسُ أصبحَ نقضُـهُ ... أُعْجُوبَــةً للْعَــالم الرَّبَّــانِي
وكــذاك أجوبــةٌ لَــهُ مصــرِيَّةٌ ... فِـي سِـتّ أَسْـفَارٍ كُتِـبْنَ سِـمَانِ
وَكَـذَا جَـوَابٌ لِلنَّصَـارَى فِيـهِ مَـا ... يشْـفِي الصُّـدُورَ وَإِنَّـهُ سِـفْرَانِ
وكــذاكَ شــرحُ عقيـدةٍ للأَصْـبها ... نِي شَارِح الْمَحْصُـولِ شَـرْحَ بَيَانِ
فِيهَــا النُّبُــوّات الَّتِــي إِثْبَاتهَــا ... فِــي غَايَــة التَّقْرِيــرِ والتِّبْيَــانِ
وَاللهِ مَــا لأُولِــي الْكَــلَام نَظِيـرُهُ ... أَبَــدًا وَكُتْــبُهُمْ بِكُــلِّ مَكَــانِ
وَكَــذَا حُــدُوثُ الْعَـالَم الْعلـوِيِّ ... والسُّـفْلِيِّ فِيـهِ فِـي أَتَـمِّ بَيَـانِ
وَكَــذَا قَوَاعِــد الِاسْـتقَامَة إِنَّهَــا ... سِـفْرَانِ فِيمَــا بَيْنَنَــا ضَـخْمَانِ
وقَــرَأْتُ أَكْثَرهَــا عَلَيْــهِ فَزَادَنِــي ... وَاللهِ فِــي عِلْــم وَفِــي إِيمَــانِ

فهَذَا البيْتُ يفيدُ أنَّ ابنَ القيِّم قرأَ أكثرَ هذِهِ الكُتُبِ عليْه ومثلُها يَسْتغْرِقُ وقتًا طويلًا في قِرَاءَتها وهذا يدلُّ على طُول صُحْبَته لشَيْخِ الإسلام.



ثم قال:

هَــذَا وَلَــو حــدَّثْتَ نَفسِــي أَنَّــهُ ... قَبْلِـى يَمُـوتُ لَكَـانَ غَيْـرَ الشَّــانِ
وَكَـذَلِكَ تَوْحِيـد الفلاسـفة الأُلَـى ... تَوْحِيـدُهُمْ هُـوَ غَايَـةُ الكُفْـرَانِ
سِـفْرٌ لطِيـفٌ فِيـهِ نقـضُ أصُـولِهِم ... بحَقِيقَــة الْمَعْقُــولِ والبُرْهَــانِ
وكــذاكَ تِسْــعِينِيَّةٌ فِيهَــا لَــهُ ... رَدٌّ عَلَــى مَــنْ قَــالَ بالنَّفْسَــانِي
تِسْــعُونَ وَجهًــا بيِّنَــتْ بُطْلَانَــهُ ... أَعْنِـى كَـلَامَ الـنَّفس ذَا الوُحْـدَانِ

**فمِنْ هذهِ الكُتُبِ الْمَذْكُورَةِ التِي قَرأَها ابنُ القيِّم على شَيْخِه:**

درءُ تعارُضِ العَقْل والنَّقْل.

منهاجُ السُّنَّة النبويّة في الرَّدِّ على الشِّيعَة والقدريَّةِ.

بيانُ تلْبيسِ الْجَهْمِيّة.

الأَجْوِبَة الْمِصْريّة.

**الْجَوابُ** الصّحِيحِ على من بدَّلِ دينِ الْمَسِيح.

**والثاني**: ما وجدتُّه في عِباراتِ ابنِ القَيِّم وهو يَحْكي سماعاتِه من شَيْخِه ويذكُر أقوالًا وحكايات عنه، وهذه بعضُها يقول فيها ابن القيم:

وَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] تَدْفَعُ الرِّيَاءَ ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] تَدْفَعُ الْكِبْرِيَاءَ(١).

**ويقول أيضًا**: وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ:

كَيْفَ يُطْلَبُ الدَّلِيلُ عَلَى مَنْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا

(١) مدارج السالكين: ١/ ٧٨.

الْبَيْتِ:

وَلَـيْسَ يَصِـحُّ فِـي الْأَذْهَـانِ شَـيْءٌ إِذَا احْتَـاجَ النَّهَـارُ إِلَـى دَلِيـلِ(١)

ويقول:

**وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْرًا لَمْ أُشَاهِدْهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَ يَقُولُ كَثِيرًا:**

مَا لِي شَيْءٌ، وَلَا مِنِّي شَيْءٌ، وَلَا فِيَّ شَيْءٌ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

أَنَـا الْمُكَـدِّي وَابْـنُ الْمُكَـدِّي وَهَكَـذَا كَـانَ أَبِـي وَجَـدِّي

وَكَانَ إِذَا أُثْنِي عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ يَقُولُ:

وَاللهِ إِنِّي إِلَى الْآنِ أُجَدِّدُ إِسْلَامِي كُلَّ وَقْتٍ، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إِسْلَامًا جَيِّدًا.

وَبَعَثَ إِلَيَّ فِي آخِرِ عُمُرِهِ قَاعِدَةً فِي التَّفْسِيرِ بِخَطِّهِ، وَعَلَى ظَهْرِهَا أَبْيَاتٌ بِخَطِّهِ مِنْ نَظْمِهِ:

أَنَـا الْفَقِيـرُ إِلَـى رَبِّ الْبَرِيَّـاتِ أَنَـا الْمُسَيْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي

أَنَـا الظَّلُـومُ لِنَفْسِـي وَهِـيَ ظَـالِمَتِي وَالْخَيْـرُ إِنْ يَأْتِنَـا مِـنْ عِنْـدِهِ يَـأْتِي

لَا أَسْـتَطِيعُ لِنَفْسِـي جَلْـبَ مَنْفَعَـةٍ وَلَا عَنِ الـنَّفْسِ لِـي دَفْعُ الْمَضَـرَّاتِ

وَلَـيْسَ لِـي دُونَـهُ مَـوْلًى يُـدَبِّرُنِي وَلَا شَـفِيعٌ إِذَا حَاطَـتْ خَطِيئَـاتِي

إِلَّا بِـإِذْنٍ مِـنَ الـرَّحْمَنِ خَالِقِنَـا إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ

وَلَسْـتُ أَمْلِـكُ شَـيْئًا دُونَـهُ أَبَـدًا وَلَا شَـرِيكٌ أَنَـا فِـي بَعْضِ ذَرَّاتِ

وَلَا ظُهَيْـرٌ لَـهُ كَـيْ يَسْـتَعِينَ بِـهِ كَمَـا يَكُـونُ لِأَرْبَـابِ الْوِلَايَـاتِ

وَالْفَقْـرُ لِـي وَصْـفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَـدًا كَمَـا الْغِنَـى أَبَدًا وَصْـفٌ لَـهُ ذَاتِـي

وَهَـذِهِ الْحَـالُ حَـالُ الْخَلْـقِ أَجْمَعِهِـمْ وَكُلُّهُـمْ عِنْـدَهُ عَبْـدٌ لَـهُ آتِـي

---

(١) مدارج السالكين: ١/ ٨٢.

فَمَـنْ بَغَـى مَطْلَبًـا مِـنْ غَيْـرِ خَالِقِـهِ فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
وَالْحَمْـدُ لِلَّـهِ مِـلْءَ الْكَـوْنِ أَجْمَعِـهِ مَـا كَـانَ مِنْـهُ وَمَـا مِـنْ بَعْـدُ قَـدْ يَـاتِي
ثُـمَّ الصـلاةُ على الْمُخْتَارِ مـن مُضَـرٍ خَيْـرِ البريَّـةِ مـن مَـاضٍ ومِـنْ آتِـي(١)

**فعبارات ابن القيم تشعر بطول صُحْبَتِه لشَيْخِه، ولِمَ لا وهُوَ - أي ابن القيم - القائل:**

وَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ....

وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.....

وَبَعَثَ إِلَيَّ فِي آخِرِ عُمُرِهِ قَاعِدَةً فِي التَّفْسِيرِ بِخَطِّهِ.....

إلى غير ذلك من نحو هذه الأقوال.

ثُمَّ وجدتُ ما يُشير أيضًا إلى مُلازمة ابنِ القيّم لشَيْخِه ابنِ تَيْمِيّة ومزيدِ اخْتِصَاصه به من كلام الحافظ ابن حَجَر قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولو لَمْ يكن للشَّيْخ تقيِّ الدّين من الْمَنَاقب إلا تلمِيذه الشَّهير الشَّيْخ شَمْس الدِّينِ ابن قَيِّم الْجَوْزِيّة صاحب التصانيف النَّافِعَة السّائِرة التي انتَفَع بها الْمَوافقُ والْمُخَالفُ لكانَ غايَةً في الدِّلالة على عظِيمِ منزِلَتِه(٢) اهـ.

**وقال ابن حَجَر أيضًا:**

غَلَبَ عَلَيْهِ حبُّ ابْن تَيْمِية حَتَّى كَانَ لَا يخرج عَن شيءٍ من أَقْوَاله بل ينتصر لَهُ فِي جَمِيع ذَلِك، وَهُوَ الَّذِي هذَّب كُتُبه، وَنشرَ علمَهُ، وَكَانَ لَهُ حَظّ عِنْد الْأُمَرَاء الْمِصْرِيِّين واعتُقل مَعَ ابْن تَيْمِية بالقلعة بعد أَن أُهين وطِيفَ بِهِ على جَمَلٍ مَضْرُوبا

(١) مدارج السالكين: ١/ ٥٢٠، والعقود الدرية: ص ٤٥٠ - ٤٥١، والبيت لأخير من العقود الدرية.

(٢) الجامع لسيرة شيخ الإسلام: تقريظ ابن حجر على الرد الوافر ص ٥٥٢.

بِالدِّرّة، فَلَمَّا مَاتَ أُفرج عَنهُ وامتُحن مرّة أُخْرَى بِسَبَب فتاوي ابْن تَيْمِية.

وَكَانَ ينَال من عُلَمَاء عَصْرِه وينالون مِنْهُ.

**قَالَ الذَّهَبِيّ فِي "الْمُعْجَم الْمُخْتَص":**

حُبِسَ مرّةً لإنكارِهِ شَدَّ الرَّحْلِ لِزِيَارَةِ قَبْرِ الْخَلِيل ثمَّ تصدَّر للأَشْغَال وَنَشْرِ الْعلم وَلكنَّهُ مُعْجَبٌ بِرَأْيِهِ جَرِيء على الْأُمُور وَكَانَت مُدَّة مُلازَمَتِه لِابْنِ تَيْمِية مُنْذُ عَادَ من مِصْر سنة ٧١٢ إِلَى أَن مَاتَ اهـ(١).

ومعنَى ذلكَ أنَّ ابنَ القيِّم صحِبَ شَيخَه ولزِمَهُ مدَّةً زُهاءَ ستّةَ عشَرَ عامًا مُتَّصِلَةً بعْدَ عَوْدَتِه مِنْ مِصْرَ إلى الشّامِ، لأَنَّ وفَاةَ شَيْخِ الإسْلامِ كانتْ سنَة ٧٢٨ هـ.

وهذه الْمُدّةُ مُجَرَّدةٌ عمَّا قبْلَها فإنَّ ابنَ القيّم صَحِبَ شَيْخَه أيْضًا قَبْلَ سَفرِهِ إلى مِصْرَ فَرُبَّمَا كانَ مَجْمُوعُ الْمُدَّتَيْنِ يَصِلُ إلى عِشْرِينَ عَامًا أو يَزِيدُ واللهُ أَعْلَم.

**❁ مِنْ تَوارُدِ الأفْكارِ:**

هَذَا، ومِنْ تَوَارُدِ الأفْكارِ أنَّني بَعْدَما كَتَبْتُ هذا الكِتَابَ، وجَمَعْتُ تلكَ الأَقْوَال من كُتُب ابنِ القيّم طالعتُ كتابَ "الْجَامِع لِسِيرَة شَيْخِ الإسْلامِ ابنِ تَيْمِيّة عَبر سَبْعَة قُرُونٍ" فَوَجَدتُّ الشيخَ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد ذكرَ هذَا الْمَعْنَى في تَقْدِيمه لكِتَابِ الجَامِع لسِيرَةِ شيْخ الإسْلامِ فقال:

وعجيبٌ أنّ هذه التراجم مع كثرتها لم يَكْثُر ذكرُ ابن القيّم فيها مع مَزِيدِ اخْتِصَاصِه بشَيْخِه(٢).

**فَحَمِدْت الله سبحانه حَمْدًا كثِيرًا على ما علَّم وأَلْهَم، ووفَّق وأعَان.**

(١) الدرر الكامنة: لابن حجر ٥/ ١٣٨.

(٢) الجامع لسيرة شيخ الإسلام: المقدمة ص ١١.



## حَاجَتُنا إلى سِيرَةِ ابنِ تيْمِيّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ترجَمةُ شيْخِ الإسْلام ابنِ تيْمِيّة تحْوِي سِيرةً عَطِرة ومَسِيرَةً زَكِيّة، وتشتَمِلُ على مناقِبِه وطُرَفِه، وفضَائِله وشَرَفِه، وقد أرَدتُ أنْ أَجْمَع طَرَفًا من سِيرَتِه وهو حَالُه في عبَادِتِه وأحوَالِه وأقوَالِه الإيمانية لكي أَشْحذَ بها الهِمَم حتّى تُشام القِمَم، ولعَلّي أنفُخُ بها في رُوح الشَّبابِ والفِتْيَان، بل والشُّيوخ ذَوِي الأسْنَان لمُجَاراةِ الزّمانِ حتّى يقْتَدُوا به ويتعلَّموا ويُفيدوا منه فإنّ التربيةَ بالقُدْوةِ والتأَسِّي مع أهمِّيَّتِها إلّا أنَّه قَلّ ونَدَر من يعْتَنِي بِهَا في زماننا وربما قبله بأزْمانٍ.

وابن تيمية من الشخصيات المُهِمَّة الّتي بلغتْ قرارةَ المَجْد والعَلَاء، فهو كشَجَرَة أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء فحياتُه تُفيد في جَوانِبَ كَثِيرةٍ من جِهَة العِلْم والعَمَل والتعبُّد والجِهَادِ والشَّجاعَةِ والدَّعْوة والمُناظَرَة والردِّ على المُخَالِف وحُسْن التَّصنيف وجَوْدَتِه والزُّهْد والتّألُّه والورَع والأَمْر بالمَعْرُوف والنَّهي عن المُنْكر وغَيْر ذلِكَ.

ولا عَجَبَ فالرَّجُل إمَامٌ حُجَّة، مُجَدِّدٌ للمَحَجّة، وارِثٌ لعِلْم النُّبوّة في زمانه، ناصرٌ للسنة إبّانَه، قامعٌ للبدعة في أوَانِه، تُسْتَجْلى السُّنن النَّبويّة من أقْوَالِه وأفْعَالِه، ومع ذلك فَهُو غَيْر مَعْصُوم.

**ولعل قائلًا يقول:** حَسْبُك ما كُتِبَ عن ابنِ تَيْمِيّة.

**فأَقُول لهُ:** لِمَ حَجَّرْتَ واسِعًا وحظَرْتَ مُباحًا، وحرّمتَ حَلالًا؟ وأيُّ عَارٍ في ذلِكَ على مُثْبِته، وأيُّ وصْمَةٍ في تَدْوِينه على مُدَوِّنه؟

ورحم الله اللغويَّ الشهيرَ ابنَ فارسٍ (ت: ٣٩٥ هـ) حين قال:

فلِماذَا الإنكَارُ، ولِمَ هذا الاعْتِرَاض، ومَنْ ذا حَظَر على المُتَأَخِّر مُضادّة المتقَدِّم؟ ولِمَ تأخُذُ بقَوْل مَنْ قالَ: "مَا تَرَكَ الأوّلُ للآخِرِ شَيْئًا" وتَدَع قولَ الآخَر: "كَمْ تَرَكَ الأَوّل للآخِر؟ "، وهلِ الدُّنيا إلّا أَزْمان، ولكلِّ زَمَنٍ منها رجالٌ؟ وهل العُلُوم بعْدَ الأصولِ المحْفُوظَة إلّا خَطَرات الأَفْهَام ونتائِج العُقُول؟ ومَن قَصَر الآدابَ على زمانٍ معلومٍ، ووَقَفَها على وقْتٍ محْدُودٍ؟

ولم لا ينظرُ الآخِر مثلَ ما نَظَرَ الأَوّل - حتَّى يؤلِّف مثلَ تأليِفه، ويَجْمَعُ مثل جَمْعِه، ويَرَى فِي كلّ ذَلِكَ مثلَ رأيه؟

وما تقولُ لفُقَهاءِ زمَانِنا إذَا نزلَتْ بِهِم من نَوَازِل الأَحْكامِ نازِلَةٍ لَمْ تَخْطر على بَالِ من كانَ قَبْلَهم؟ أو ما عَلِمْت أنَّ لِكُلّ قلْبٍ خَاطرًا ولكُلِّ خاطِرٍ نتِيجَة؟....

ولو اقْتَصَر النّاسُ على كُتُب القُدَمَاء لضَاعَ عِلْمٌ كَثِيرٌ، ولذَهَبَ أدَبٌ غَزِيرٌ، ولضَلَّت أفْهَامٌ ثاقِبَةٌ، ولكَلَّتْ أَلْسُنٌ لَسِنَةٌ، ولمَا توشّى أحَدٌ لخَطَابَة، ولا سَلَكَ شِعْبًا من شِعابِ البَلاغَة، ولمَجَّت الأَسْماعُ كلَّ مُرَدَّد مُكَرَّر، وللفَظَتْ القُلُوب كلَّ مرجَّعٍ مُمَضَّغ[1] .اهـ

لِذَا حَثَثْتُ الهِمّة على إِثَارَةِ ما غيَّبَته الدُّهور، وحرّكتُ العَزْم لتَجْديدِ مَا أَخْلَقَتْه الأيّام وحدوْتُ الرَّغْبَة من أَجْلِ تدْوِين ما نتَجَتْه الخَواطِرُ والأَفْكارُ من حياةِ شَيْخ الإسْلام.

على أنَّ ذلكَ لَوْ رَامَه رائمٌ لأتْعبَه بالفِعْل، إذْ حياةُ ابنِ تيمِيّة واسِعَةُ الأَرْجَاء، فَسِيحَةُ الأَفْناء فهُوَ

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية: ص ٢١٧ - ٢١٨ ط الكتب العلمية.



كالبَدْرِ مِنْ أيْنَ التَفَتَّ رَأيْتَه يُهدِي إلَى عَيْنَيْك نُورًا ساطعًا(١)

وأحْوالُه كالجَوْهر في الصَّدَف، فهو مُحْتَجَبٌ عزيزٌ يحْتَاجُ مَن يَشُقُّه لِيَبْدُو للعِيَانِ بعدَ الاكْتِنَان، فالمُتعرّض لها لا بُدّ أنْ يكونَ كمَا قالَ امْرُؤ القَيْس:

جَـــذَعُ البصـــيرةِ قـــارِحُ الأقـــدام(٢)

أيْ: خَبيرًا بالأُمُورِ بَصِيرًا بها عَاقِلًا مُجَرِّبًا.

إنَّ ابنَ تيْمِيّة مِنْ أحَقِّ العُلَماءِ في العُصُورِ المُتَأَخِّرة بالاقْتِدَاء، ومِنْ أَجْدَرِهم بالمُتَابَعَة والاقْتِفَاء لِمَا جمعَ الله فيه مِنْ كَمَالِ العِلْم والعَمَل.

وإنَّني لتأخذُني هِزّةٌ عندَ الكِتَابَة عنِ ابنِ تيْمِيّة لِفَرْطِ محَبَّتِي لَهُ وَوَلَهِي ووُلُوعِي بمواقِفِه وأحْوَالِه، وما حَالِي إلّا كمَا قال مجْنونُ لَيْلى:

وقد كُنْتُ أعْلُو حُبَّ لَيْلى فلَمْ يزلْ بي النَّقْضُ والإبْرَامُ حَتّى عَلانِيَا

ومَنْ نظرَ في سِيرَتِه عَلِمَ قِيمَة تَرْجَمَتِه وأهمِّيَّتَها لهذ الزّمانِ العَقِيمِ والعَصْرِ السَّقِيم، وأَدْرَكَ ضرُورَة نَشْر تَرَاجِم العُلَماءِ لِبَعْث الهِمَم من مَرْقَدِها وإحْيَاء ما بَلَى مِنْها وصارَ كالرّمِيم.

ولا رَيْبَ أنَّ القُدْوَة تَبْعَث على التّأسّي، وتفْتَح بابَ الأَمَل في القُدْوَة والتحلّي، وتبثُّ الثّقةَ في الأجْيَال؛ إذِ القدوة تُؤنِس النُّفُوس، وتُخْرِج المَعْنى الخَفيّ إلى وصْفِ حالٍ جَلِيّ ووصْفٍ بَهِيّ، وتُهَيّء للمَرْءِ تأتّيَه لِيَكُونَ صرِيحًا بعْدَ تَكْنِيَةٍ وتنقُلُ ما يُعْلم بالفِكْرِ والعَقْل إلى ما يُعلَمُ اضْطرارًا ويَقِينًا لأنَّ العِلْم المُسْتَفَاد بالقُدوَةِ يشْبِه في التّأْثِير والاسْتِحْكامِ المُسْتَفَاد بالحَواسّ فيكونُ كالشّيء المَرْئِيّ أو

---

(١) أسرار البلاغة في علم البيان للإمام عبد القاهر الجرجاني ص: ١١٧.

(٢) الشطر الأول منه: ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب. أسرار البلاغة للجرجاني: ص ١١٩.

المَسْمُوع، ويبلُغُ المَرْءُ من الثِّقَة به غَايَةَ التَّمَامِ كما قِيلَ: لَيْسَ الخَبَر كالمُعَايَنَة ولا الظَّنُّ كاليَقِين.

وأنتَ واجِدٌ عندَ التأمُّلِ والإمْعَان أنّ ضَرْبَ المِثَال بشخْصِيَّة العالِم، وبيانِ جوانبِ الخَيْر والعِلْم والإيمان فيها يجعلُ الجيلَ المُسْلم أَمَسَّ بها رَحِمًا، وأَقْوى لديْها تذمُّمًا، وأمْتَنَ بها صلةً، وأقْرَبَ إليها وُصْلةً، وأطْولَ لسِيرتِها ومسيرَتِها صُحْبةً، وأوْفى لدِينه خِدْمةً، وأحْرَصَ علَيْه حُرْمةً اقتداء بهؤلاء العلماء.

ولعَمْر الحقّ لو أنّ المُسْلمين اعْتَنَوْا ببيانِ أحْوَال عُلمائهم، وأوْفَوْا تراجِمَهم حقَّها لبَرَّؤُوا أنفُسَهم من تَبِعة الأجْيَال المُتَخَاذِلَة، ولبَاعَدُوا هذه الأجْيَال العَنِيدَة من سَفَه الإقْدام على الخَطَل والباطِلِ والتّوسُّع فيما لا ينفع في أَمْر الدِّينِ والدُّنيا معًا، ولحَقَّقوا في الأجْيَال المُتَعاقِبَة معْنَى الاقْتِدَاء والائْتِسَاء بعُلَمائِهم والسَّيْر على دَرْبِهم والنَّسْجِ على منْوَالِهم.

وبهَذَا تتَّصِل المَسِيرةُ العِلْمِيّة والدعويّة والإصلاحيّة، ويمُدُّ ذلك المسلِمِين بمَدَدٍ من العِلْم والقوَّةِ والإمْسَاك بزِمَامِ الرِّيَادَة للأُمَم وخِطَامِ قِيادَةِ أبْنَائِها نحْوَ القِمَم فهَلْ مِن مُدَّكِر؟!

بلْ لأمِنُوا من تَكْذِيب المُخَالِفين وتهجُّمِ المُنْكِرين وتهكُّم المُعْتَرِضين إلا في القليل الذي لا بُدّ منه ولا مَعْدِلَ عنه.

غير أنَّ تجاهُل حياةِ الشُّيوخ في زمانٍ تُكتَبُ الكُتُب في وصْفِ حيَاةِ الفَاسِقِين والمَارِقِين، وتُسجَّل المذكّرات لأَهْلِ المُجُون والدَّعَة، وتُرْوَى تراجِمُ وقَصَص لأُولئِك الذين اتّخذوا أعمارَهُم مطِيَّةً لنشْرِ الفَسَاد والرّذيلَة، وإشاعَةِ الفَاحِشَة في الذِينَ آمَنُوا، اللهم غفرًا.

نَعَمْ، لقدْ بلَغْنا من خَيْبَة الظَّنِّ وبَوارِ السَعْي أَقْصَى المَبَالِغ، وانتَهَى بنا سُوءُ

الحَالِ، وكَسفُ البَال إلى أَبْعَدِ غاياتِ التخلُّف عن ركْبْ الإيمان والإصْلَاح حتّى فَاتَ الأَجْيَالَ شيءٌ كثيرٌ من الخَيْر.

ولا أُبَالِغُ إنْ قُلْتُ: إنَّ هذه الأَجْيَالَ المُتأَخّرة لَمْ تحْظَ من سِيَرِ علمَائِها بِمَا قَلَّ وكثُر لا سيَّما المُعَاصِرين منهم والمحْدَثين، فإلى الله المشْتَكى.



# أهميَّة هذَا الكِتاب

لَمّا كان الإمام ابن تيمية من أجَلِّ علمَاء الإسلام، وأعْلام الأَنَام، ومن الْمُعَوّل عليهم في القرون المتأخِّرة من أُولي الحَلّ والعَقْد، وذوي التَّحْقِيق والنَّقْد، صدرتْ منه كلماتٌ فيها ذخائرُ صالحةٌ لأهل الإسلام، وخرجتْ من فِيهِ الْمُبارك نفائسُ وخزائنُ لِمَن أراد الله به خيرًا، ونطَقَ بأقوالٍ فيها فوائد من فرائِدِ الشّوارِد.

فهو بحقٍّ فارسُ المعاني والألفاظ، وسيدُ العُلَمَاءِ والْحُفَّاظ، وقُدْوةُ الْمُتبَصِّرين وأُسْوةُ الأيْقَاظ.

وقد وفَّقني الله تعالى للقِيَام بِجمْعها فوفَّرْتُ عزمِي، وهَمَمْتُ بجمْع كلماتِه وأقوالِه، وكثيرٌ منها ليس في كتبِه بلْ من سَمَاعِ تلاميذِه ونقْلِ أصحابِه وحِكايةِ جُلسَائِه.

كما أنَّ له تقريراتٍ بلَغَت الغايةَ والنهاية، وله أحوالٌ إيمانيّة بلغَت الذِّرْوة منها أو كادَتْ، وله أيضًا أعمالٌ قلبيّةٌ، وأوصافٌ تعبديّة إلى غيرِ ذلِكَ مِنَ الاسْتِغْفَار والذِّكْر والتّلاوَةِ والعبادَةِ القَوِيّة التي لا يَقْوَى عليها كلّ أَحَدٍ.

وقد وجَدتُّ في ألفَاظِ شيْخ الإسلام - فيما أَحْسِب والله حَسِيبُه - نُبْل القَصْد، وحُسْن النيّة، وصدْق اللَّهْجة، وجَمَال العِبَارة، وحلاوة ما في طيّاتها من شَارةِ الإشارة، فضلًا عن كونها وصايا عمليّة، ونصائحَ تربويّة، ومواعِظَ سلوكيّة، وأحوالًا تعبُّدِيّة.

وهَذا يُشعِرُ الْمَرْءَ بأنَّه كانَ يطلُبُ بِعبَاراتِه الأَجْرَ التّامَّ مِنْ وراءِ نصِيحَةِ الأنام،

والله حَسِيبُه ولا نُزَكِّي على اللهِ أحدًا، وكلٌّ مَجْزيٌّ بعملِه، ومُجازًى بقصدِه، وما ربُّك بظلّام للعَبِيد، وصدق القائل:

حَازَ الشّريفيْن من علم ومِنْ عمل        وقلّمَا يَتَأَتّى العلمُ والعملُ

وكلُّ ما كان عليه ابنُ تيمية فتحٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فاتِح الأبْواب، ومُسبّب الأسْبَاب الذي يُوفّق إلى فصْلِ الخِطَاب في مَضايِق الأبواب.

ولا عجبَ فالرجلُ كان يذبُّ عن الإسلام، ويَحْمِي حَوْزَة الشَّرِيعَة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، حتّى صانَ عقائدَ الأمّة في زَمَانِه عنِ الاخْتِلَافِ، وزَانَها بتَحْقِيق الائتِلَاف، وردّ عنها صُنوف البِدَع، وفرّق من هذه الفِرَق - الْمُجْتَمِعة على تَوْهِين الإسْلَام - ما اجْتَمَع.

كان هذَا بِمَا بُسِط له من سَيَلَانِ قَلَمِه، وبِقَدْر ما مُدّ له في عِنان رسائِله ومصنَّفَاتِه وكَلِمِه.

فَكَمْ من عَالمٍ - في زمانِ ابنِ تَيْميّة - قد استَخَفّ قومَه فأطاعُوه، وبَثَّ في النّاس الباطلَ وتبعه عليه مُحِبُّوه وتابِعُوه، حتى ظنُّوا أنهم نصرُوا الْحَقّ وظاهَرُوه.

فخرجَ عليهم ابن تَيْميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ خروجَ الأُسْد من الآجامِ، وفوَّق إليهم بعُلُومِه الوَاسِعَة ومَعَارِفِه المتحَقِّقَة من الرُّدود والْمُناظرة السِّهَام، فردّهم بسِلَاح العِلْم كما ردّ فرسانُ الطِّعَان كلَّ جَبَان.

لقد هيّج كالْحَادِي - على حُبّ العلْم والسُّنّة - أشْوَاقَ القَوَافِل، وأيْقظَ بتَجْدِيدِه وعِلْمِه وعَمَلِه من الأُمَّة من هو غافلٌ، حتّى صارَ من أعظَمِ الأعْلَامِ الْمُجَدّدين، وباتَ من أَشْهَر الهُدَاةِ الْمُصْلِحينَ، وأضْحَى من العُلَمَاء الْمُجاهِدِين والأئِمّة الْمُقْتَدى بهم والْمَتْبُوعين، فقدّس الله ضريحَه، وروّح رُوحَه.

من النّاس من يُدْعَى الإمامُ حقيقةً        ويُدْعَى كثيرٌ بالإمام مَجَازَا

ولكـنْ متـى يَخْفـى الصَّبَاحُ إذا بَـدَا وحَـلَّ عـن اللّيْـل البَهِـيم طِـرازَا(١)

لقد عاشَ ابنُ تيميّة مُجَاهدًا بالسِّلاحَيْن معًا سلاحِ العلم والحجّة والبُرْهان، وسلاحِ السّيْف والسِّنَان.

وكم شنّع عليْه خُصُومُه وهم لعقيدتِه منكرون، حتّى اسْتَتابُوه، وأرادُوا أن يُعمِلوا السّيْف في عُنُقه فنجَّاه اللهُ وحَمَاه، وصانَهُ من مَكْرِ السُّوءِ ووَقَاه.

وكم مرّة نفوْه من البِلَاد بُغية وأْد عقيدتِه التي نَفَع بها العِبَاد.

ثم رَسَمُوا(٢) عليْه وحَبَسُوه للرُّجُوع عن ذلك، وكَتَبُوا إلى قُضَاة الْمَمَالِك كي يَرْجِعَ عمَّا هو علَيْه.

بلْ حبَسُوا بعضَ أتباعِه وأعيانَ تلاميذه كابنِ القيّم وابن كَثِير وأخِيه الشّيخ زينِ الدّين وغيرهم واعتَقَلُوهم، ومنهم من عزّروهم وأهانُوهم.

وقد كانوا يظنُّون أنّهم إذا حذّروه وأنذَرُوه، ووعَظُوه وزجرُوه سيرجع ويذر اعتقاده غيرَ أنّه خَيَّب آمالَهُم وسفَّه أحْلَامَهُم، فعَادَ مع كلِّ أفاعيلهم وحِيَلِهم كأنّه طودٌ شامخٌ، وجَبَلٌ راسخٌ، لا تهزّه الريحُ العاصِف، ولا يَرُدُّهُ الصِّرُّ القاصِف.

وكم رموْه بفرْيةٍ بلا مرْيةٍ خلاصتُها أنه ضلّ عن سَواء السّبِيل، وهو الذي ليْسَ له إلى غيرِ الصّوابِ مُسْتقرٌّ ولا مَقِيل.

**ففي الاعتقادِ والعِلْميّات:** رَمَوْه بالتّشبِيه والتّجْسِيم والحيْدَة عنِ الْمُعْتَقَد السّلِيم والْحَقّ الْمُسْتَقِيم.

**وفي الفقْهيّات والعَمَليّات:** اتّهمُوه بالشُّذُوذ عن أقْوَالِ الأئِمّة وتفرُّدِه بفتَاوى

---

(١) الجامع لسيرة شيخ الإسلام: ص ٥٢.

(٢) والترسيم هو الحجر والحبس.

دُونَ عُلَمَاء الأمّة وهو الذِي تَرَبَّى بَيْنهم وَلِيدًا ولَبِثَ فيهم مِن عُمْرِه السِّنِين، فلَمْ يزَلْ بهم حتّى فَلَّ جُمُوعهم، ونصَرَهُ الله نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ولا يَزَالُ في زمانِنا أناسٌ على دَرْب خُصُوم شيخ الإسْلامِ لا سِيَّمَا من الْمُتأوِّلَة، فَلَا تَعْجَبْ مِنْ مُنْكِرٍ أَوْ مُعْتَرِضٍ أَوْ مُعَارِضٍ فهؤلاء أكثرهم على أبْصَارِهم غِشَاوةٌ أن يُبْصِروا عُلُومَه، وعلى قلوبِهم أكنّة أن يَفْقَهُوا كلامَه ويَعْقِلوا مَرَامَه.

فسُبحان منْ بصّر عبادًا بالهُدَى، وأَعْمَى آخَرِين حتّى سَلَكُوا سَبِيل الضَّلالة والرَّدى.

وَقُلْ لِلْعُيُونِ الْعُمْي لِلشَّمْسِ أَعَيْنٌ سِوَاكِ تَرَاهَا فِي مَغِيبٍ وَمَطْلَعِ
وَسَامِحْ نُفُوسًا أَطْفَأَ اللهُ نُورَهَا بِأَهْوَائِهَا لَا تَسْتَفِيقُ وَلَا تَعِي

وحالُ هؤلاءِ القَوْم كحالِ مَنْ أَعْيَاهُ العَطَش وأنْهَكَهُ الظَّمأ، فَلمَّا أوشَكَ على التَّلَف رأى شطًّا كشطِّ النَّهْر فظنَّه سَرَابًا لا شَرَابًا، فولَّى مُدْبِرًا ولم يُعقِّبْ، وأعْرَضَ وتَوَلّى فقُطِعت عُنُقُه من العَطَش وتَقَطَّعَتْ به الأَسْبَاب، وقد كان الماءُ بين يديْه فسُبْحان الهَادِي الْمُضِلّ.

كالعِيسِ في البَيْداءِ يقتلُها الظَّمَا والْمَاءُ فوقَ ظُهورها مَحْمولُ

وقد ظلّ شيخ الإسلام على مواقِفِه تلك لا يُبدّل ولا يُغيِّر، ولا يَنْكِص ولا يَرْجِع حتّى آخرَ رمقٍ وإلى أن قَضَى نحبَه على التّوحِيد ولقي ربّه على الإسلام.

لذا أعْلَى الله منارَه ورفع أعلامَه، وقيّض له من يَحْفظُ علومَه وينقُلُ كلامَه ويسجل عباراته وينشرُ كلماتِه، وينسخ كتبه ومؤلفّاتِه.

ومن العجب أنهم حَمَلُوا على كُتُبه حَمَلَاتٍ مُتتابِعة، فقد منَعُوه في آخِرِ حياتِه من الكِتَابة، وحَجَبُوا عنه الدَّوَاة والأقْلَام والأَوْرَاق، وصادرُوا كُتُبه وفتَّشُوا عنها ليَحْرِقُوها فحَمَاها الله وحفِظَها من التَّلَف والضَّيَاع، وظهرتْ في ذلك بعضُ

الْخَوَارِق والكَرَامَات، وقيَّض الله لها ناسًا كانوا في أصْلَاب آبائِهم لينْسَخُوها وينشُرُوها.

❁ قال ابن مُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن المعلوم أنّ البخاريّ مع جَلالة قَدْرِه أُخرِجَ طَرِيدًا، ثم ماتَ بعد ذلك غَرِيبًا، وعوّضه الله سبحانه عن ذلك قريبًا وأَخْلَف عليه من ذلك بِمَا لا خَطَر في بالِه، ولا مرّ في خَيَالِه، من عكُوف الْهِمم على كتابِه وشدّة احتفالِها به، وترجيحِها له على جميعِ السُّنن، وذلك لكمال صحَّتِه، وعظمة قدْرِه، وحُسْنِ تَرْتِيبه وجَمْعِه، وجَمِيل نيّة مؤلِّفه، وغيرِ ذلك منَ الأسْبَابِ.

ونحن نرْجُو أنْ يكونَ لِمُؤَلّفات شيخِنَا أبي العبّاس من هَذِه الوِرَاثَة الصَّالِحَة نَصِيبٌ كبيرٌ إن شاء الله تعالى؛ لأنَّه بنى جُمْلَة أمُورِه على الكِتَاب والسُّنَّة ونُصوص أئِمّة سلفِ الأُمّة.

وكان يقْصِدُ تَحْرِيرَ الصِّحّة بكل جَهْدِه، ويدفعُ الباطلَ بكلّ ما يقدر عليْه، لا يهابُ مُخَالَفة أحدٍ من النّاس في نَصْر هذه الطريقة وتَبْيين هذه الحقيقة.

وقد عُلم أن لكُتُبِه من الخُصُوصيّة والنَّفْع والصحّة والبَسْط والتَّحْقيق والإتْقَان والكَمَال وتَسْهِيل العِبَارَات، وجَمْع أشْتَات الْمُتَفرِّقات، والنُّطقِ في مَضَايِقِ الأبْوَاب بحقَائِق فصْل الْخِطَاب[1]. اهـ

وقد وَجدَ العلماءُ فيها من الخَيْر الكثير والتحريراتِ النّفيسَة والتّقييدَات التي لا توجد في مظانٍّ أخرى ففيها (تفجيرُ دِلالاتِ النّصوصِ وشَقِّ الأنهارِ مِنْها... وكانتْ مؤلّفَاتُه في غاية الإبداعِ، وقوّةِ الحِجَاجِ، وحُسْنِ التّصنِيف والتّرتِيب، غَير

(١) الجامع لسيرة شيخ الإسلام: ص ١٨٨.

مَشُوبَة بكَدَرٍ، بل خالصةٌ من الشَّبَه والشُّبَه)[١].

**وهنا أقول**: لَمَّا خَشِيتُ الفوتَ بسبب عَوارضِ القواطعِ، والفوتُ صعبٌ، لا سِيَّما والتّفريطُ والنسيانُ من آفاتِ ابن آدمَ، وغائلةٌ من غَوَائِل العِلْم انْتَهَزْتُ الفُرْصة واهْتَبَلْتُها، لا سِيَّما والدهرُ في إدبارٍ، والنّاس إلى سوءٍ بعد سوءٍ وإقْتَار - إلّا من رحم الله - والأمر ليس فيه من عوضٍ، والعمر كالذّاهِب الذِي ولّى مدبرًا ومَضَى، والوقت سَيْفٌ مُنتَضَى، عَكفْتُ على جَمْع هذه الرّسالة، وانْتَقَيْتُها انتقاءَ السُّلالة لإِخْرَاجِها في أحْسَن حُلّة وحِلْية.

وفي الخِتَامِ أذكرُ كلامَ ابنِ سيِّد النّاس في وصْفِ شيخِ الإسْلامِ وبيانِ سعَةِ عُلومِه واتّساع معَارِفِه.

وابنُ سيِّد النّاسِ لعبارتِه طلاوَة، ولكَلِمَاتِه حلاوَة، فألفَاظُهُ دَقِيقة الدِّيبَاجة، رَقِيقة الوَصْف خالية من اللَّجَاجَة، وفي صَفَائِها كالزُّجَاجة، لذا آثرْتُ أنْ أنقُلَ كلَامَه برُمَّتِه لِمَا فيه من عِزَّة الأوْصَاف النّبيلة، والخِلَال الجَمِيلة، والْمَوَاقف الجَلِيلة.

وأخيرًا فإني أنادي طلّابَ العِلْم الْحَاضِر منهم والبَادِي على السَّوَاءِ أنْ يُطَالِعُوا أحْوَالَ عُلَمَائنا في تَرَاجِمهم من كُتُبِ الطَّبَقاتِ والتَّرَاجِم لا سيَّمَا سِيرة إمامٍ كابنِ تَيْمِيّة فإنَّه بَلَغَ مَبْلغًا حَسَنًا في العِلْم والعَمَل والْجِهَاد والْمُجَاهَدَة وكان مُخَالِطًا للنّاس مُلِمًّا بالوَاقع الذي حَوْلَه فلَمْ يكنْ عَالِمًا مُقِيمًا بين جُدْرانِ البَيْتِ ولا مَاكِثًا بين أَكْدَاسِ الكُتُب بَلْ كانَ يَعْلَم ويُجَاهِدُ ويأْمُرُ بالْمَعْرُوفِ ويَنْهى عنِ الْمَنْكر ويدْخُل على السّلاطِينِ ويغْشَى الْحُرُوبَ.

ومثل هذا العالِم كابنِ تَيْمِيّة يحْتَاجُ الْمُسْلِمون إلى سِيرتِه لأنَّ زمانَنَا جَمَعَ أمُورًا مُنكَرَة وأحْوالًا عَسِرة، وظهرتْ فيه بوادرُ ضارّة، وغوائِلُ غائِلة، وأصبحْنَا بلا

---

(١) هذا وصْف وتعْبِير الشّيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



منظَرٍ ولا مَخْبَر، حتّى الْمَنَافِع صارتْ مَمْزُوجةً بالْمَضَارّ، وأمّا الْمَضارّ فإنها صارت بحتةً، نسأل الله السلامة منها والعافية من عَوَاقِبها.

لذَا لا تَعْجَب إذَا حُيّرتْ الألْباب، ووَلَهَت العُقُول، وأُطْفِئَتْ أنوارُ البَصَائِر، وعُدِم التَّوْفيق، واسْتَوْلى الْخِذْلان، وسافرَت الْخَيْرات، وارتفعَت البَركات.

فاللهم بصِّرْنا بالْحَقّ وأرِنَا الْحَقّ حَقًّا وارزُقْنا اتّباعَه وأرِنَا البَاطِلَ باطلًا وارزُقْنا اجْتِنَابَه.

فأسأل اللهَ الَّذِي بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ، وَالْإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ أَنْ يُعَظِّمَ الْأَجْرَ وَالنَّفْعَ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

والآن لنَشْرَع في مقْصُودِنا، ونسأل الله تعالى أن يوفِّق لإكماله ويُعين وهو حُسْبُنا ونعْمَ الوَكِيل.



# أولًا

# كُتُبُ تلمِيذِه الإمامِ ابنِ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ



# مِن كَلَامِ شيْخِ الإسْلامِ ابنِ تيميّة في العقَائِدِ

❁ القَدَرُ:

قال ابن القيم:

وَكَانَ شَيْخُنَا رَضِيَٱللَّهُعَنهُ يَقُولُ:

الْمَقْدُورُ يَكْتَنِفُهُ أَمْرَانِ: التَّوَكُّلُ قَبْلَهُ، وَالرِّضَا بَعْدَهُ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَرَضِيَ بِالْمَقْضِيِّ لَهُ بَعْدَ الْفِعْلِ فَقَدْ قَامَ بِالْعُبُودِيَّةِ. أَوْ مَعْنَى هَذَا[1].

❁ رُؤْية الله تعالى:

قال ابن القيم:

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[2] عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: مَعْنَاهُ: كَانَ ثَمَّ نُورٌ، أَوْ حَالَ دُونَ رُؤْيَتِهِ نُورٌ فَأَنَّى أَرَاهُ.

قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الصَّحِيحِ "هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ نُورًا"، وَقَدْ أُعْضِلَ أَمْرُ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى صَحَّفَهُ بَعْضُهُمْ

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ١٢٢، قال ابن القيم: قُلْتُ: وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَاءِ الِاسْتِخَارَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ» فَهَذَا تَوَكُّلٌ وَتَفْوِيضٌ اهـ.

(٢) الحديث (١٧٨).

فَقَالَ: «نُورَانِيٌّ أَرَاهُ»، عَلَى أَنَّهَا يَاءُ النَّسَبِ، وَالْكَلِمَةُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ وَهَذَا خَطَأٌ لَفْظًا وَمَعْنَى.

وَإِنَّمَا أَوْجَبَ لَهُمْ هَذَا الإِشْكَالَ وَالْخَطَأَ أَنَّهُمْ لَمَّا اعْتَقَدُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى رَبَّهُ وَكَانَ قَوْلُهُ: «أَنَّى أَرَاهُ»، كَالإِنْكَارِ لِلرُّؤْيَةِ حَارُوا فِي الْحَدِيثِ وَرَدَّهُ بَعْضُهُمْ بِاضْطِرَابِ لَفْظِهِ وَكُلُّ هَذَا عُدُولٌ عَنْ مُوجَبِ الدَّلِيلِ(١).

**وقال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابن تيمية قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ:

وَلَيْسَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّهُ رَآهُ» مُنَاقِضًا لِهَذَا، وَلَا قَوْلُهُ: "رَآهُ بِفُؤَادِهِ"، وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى» وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فِي الإِسْرَاءِ، وَلَكِنْ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ لَمَّا احْتُبِسَ عَنْهُمْ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي مَنَامِهِ.

وَعَلَى هَذَا بَنَى الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَالَ: نَعَمْ رَآهُ حَقًّا، فَإِنَّ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ حَقٌّ وَلَا بُدَّ، وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّهُ رَآهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ يَقَظَةً، وَمَنْ حَكَى عَنْهُ ذَلِكَ فَقَدْ وَهِمَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ قَالَ مَرَّةً: رَآهُ، وَمَرَّةً قَالَ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ، فَحُكِيَتْ عَنْهُ رِوَايَتَانِ، وَحُكِيَتْ عَنْهُ الثَّالِثَةُ مِنْ تَصَرُّفِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ، وَهَذِهِ نُصُوصُ أحمد مَوْجُودَةٌ، لَيْسَ فِيهَا ذَلِكَ.

**وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ**: أَنَّهُ رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ كَانَ اسْتِنَادُهُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم:١١] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣] وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُسْتَنَدُهُ، فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّ هَذَا الْمَرْئِيَّ جِبْرِيلُ، رَآهُ مَرَّتَيْنِ فِي صُورَتِهِ

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢/ ٤٧ – ٤٨.

الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا هُوَ مُسْتَنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي قَوْلِهِ: "رَآهُ بِفُؤَادِهِ"، وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

### ۞ عُلُوُّ الله تعالى على خَلْقِه:

قال ابن القيم:

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: وَهَذَا كِتَابُ اللهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ وَعَامَّةُ كَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكَلَامُ سَائِرِ الْأَئِمَّةِ مَمْلُوءٌ بِمَا هُوَ نَصٌّ أَوْ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ.

مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٣-٤]الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩] الْآيَةَ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف:٥٤] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن

(١) زاد المعاد: ٣/ ٣٣- ٣٤.

شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٣] فَذَكَرَ التَّوْحِيدَيْنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٤-٥].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٨-٥٩].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحديد:٤].

فَذَكَرَ عُمُومَ عِلْمِهِ وَعُمُومَ قُدْرَتِهِ وَعُمُومَ إِحَاطَتِهِ وَعُمُومَ رُؤْيَتِهِ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [المُلك:١٦-١٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر:١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر:٣٦-٣٧] الْآيَةَ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ: وَقَدِ احْتُجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللهَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ(١).

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢/ ٩٦ – ٩٧.



**وقال ابن القيم:**

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ:

وَإِنَّمَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ ذَلِكَ بَعْدَ ظُهُورِ جَهْمٍ الْمُنْكِرِ لِكَوْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَوْقَ عَرْشِهِ وَالنَّافِي لِصِفَاتِهِ لِيَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ كَانَ بِخِلَافِ قَوْلِهِ(١).

قَالَ إِمَامُ الْأَئِمَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: الْجَهْمِيَّةُ إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ:

وَهَذَا الَّذِي كَانَتِ الْجَهْمِيَّةُ يُحَاوِلُونَهُ قَدْ صَرَّحَ بِهِ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ وَكَانَ ظُهُورُ السُّنَّةِ وَكَثْرَةُ الْأَئِمَّةِ فِي عَصْرِ أُولَئِكَ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ التَّصْرِيحِ بِهِ فَلَمَّا بَعُدَ الْعَهْدُ وَخَفِيَتِ السُّنَّةُ وَانْقَرَضَتِ الْأَئِمَّةُ صَرَّحَتِ الْجَهْمِيَّةُ النُّفَاةُ بِمَا كَانَ سَلَفُهُمْ يُحَاوِلُونَهُ وَلَا يَتَمَكَّنُونَ مِنْ إِظْهَارِهِ(٢).

**وقال ابن القيم:**

قال شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَفِي هَذَا الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عِنْدَ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ كَفَّرَ الْوَاقِفَ الَّذِي يَقُولُ: لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟ فَكَيْفَ يَكُونُ الْجَاحِدُ النَّافِي

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢/ ١٣١.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢/ ١٣٦.

الَّذِي يَقُولُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ؟ وَاحْتَجَّ عَلَى كُفْرِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

قَالَ: وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] دَلَّ أَنَّ اللهَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّ الِاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ دَلَّ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى بِنَفْسِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ.

ثُمَّ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِكُفْرِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وَلَكِنْ تَوَقَّفَ فِي كَوْنِ الْعَرْشِ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ.

قَالَ: لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاءِ وَأَنَّ اللهَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ وَاحْتَجَّ بِأَنَّ اللهَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ.

وَكُلٌّ مِنْ هَاتَيْنِ الْحُجَّتَيْنِ فِطْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَفْطُورَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِي الْعُلُوِّ وَعَلَى أَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ.

وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ، كَأَبِي يُوسُفَ وَهِشَامِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الرَّازِيِّ كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ بِأَسَانِيدِهِمَا أَنَّ هِشَامَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ الرَّازِيَّ صَاحِبَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ قَاضِي الرَّيِّ حَبَسَ رَجُلًا فِي التَّجَهُّمِ فَتَابَ فَجِيءَ بِهِ إِلَى هِشَامٍ لِيَمْتَحِنَهُ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّوْبَةِ، فَامْتَحَنَهُ هِشَامٌ فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ وَلَا أَدْرِي مَا بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَالَ: رُدُّوهُ إِلَى الْحَبْسِ فَإِنَّهُ لَمْ يَتُبْ(١).

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢/ ١٤٠ – ١٤١.



وقال ابن القيم:

قَوْلُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ:

وَلَمَّا رَجَعَ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ سَلَكَ طَرِيقَ ابْنِ كِلَابٍ وَمَالَ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَانْتَسَبَ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ كَمَا قَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِ كُلِّهَا كَالْإِبَانَةِ وَالْمُوجَزِ وَالْمَقَالَاتِ وَغَيْرِهَا.

وَكَانَ الْقُدَمَاءُ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ كَأَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَبِي الْحُسَيْنِ التَّمِيمِيِّ وَأَمْثَالِهِمَا يَذْكُرُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ عَلَى طَرِيقِ الْمُوَافِقِ لِلسُّنَّةِ فِي الْجُمْلَةِ وَيَذْكُرُونَ رَدَّهُ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَأَبْدَى تُنَاقُضَهُمْ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا بَيْنَ الْأَشْعَرِيِّ وَقُدَمَاءِ أَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْحَنَابِلَةِ مِنَ التَّآلُفِ، لَاسِيَّمَا بَيْنَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْبَاقِلَّانِيِّ وَبَيْنَ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ التَّمِيمِيِّ، حَتَّى كَانَ ابْنُ الْبَاقِلَّانِيِّ يَكْتُبُ فِي أَجْوِبَتِهِ فِي الْمَسَائِلِ: كَتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ الْحَنْبَلِيُّ وَيَكْتُبُ أَيْضًا الْأَشْعَرِيَّ.

قَالَ: وَعَلَى الْعَقِيدَةِ الَّتِي صَنَّفَهَا أَبُو الْفَضْلِ التَّمِيمِيُّ اعْتَمَدَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي مَنَاقِبِ أَحْمَدَ، لَمَّا ذَكَرَ عَقِيدَةَ أَحْمَدَ قَالَ: وَأَمَّا ابْنُ حَامِدٍ وَابْنُ بَطَّةَ وَغَيْرُهُمَا فَإِنَّهُمْ مُخَالِفُونَ لِأَصْلِ قَوْلِ ابْنِ كِلَابٍ قَالَ:

وَالْأَشْعَرِيُّ وَأَئِمَّةُ أَصْحَابِهِ كَأَبِي الْحَسَنِ الطَّبَرِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُجَاهِدِ، وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ، مُتَّفِقُونَ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ كَالِاسْتِوَاءِ وَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ، وَإِبْطَالِ تَأْوِيلِهَا وَلَيْسَ لِلْأَشْعَرِيِّ فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ أَصْلًا، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ، وَلَكِنْ لِأَتْبَاعِهِ قَوْلَانِ فِي ذَلِكَ.

وَلِأَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ فِي تَأْوِيلِهَا قَوْلَانِ:

أَوَّلُهَا: فِي الْإِرْشَادِ وَرَجَعَ عَنِ التَّأْوِيلِ فِي الرِّسَالَةِ النَّظَّامِيَّةِ وَحَرَّمَهُ وَنَقَلَ إِجْمَاعَ



السَّلَفِ عَلَى تَحْرِيمِهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا جَائِزٍ[١].

## ۞ الحكمةُ والتّعليلُ في أفْعَال الله تعالى:

**قال ابن القيم:**

وسِرُّ الْمَسْألة[٢] أنه سُبْحَانَه حَكيمٌ رحيمٌ، إِنَّمَا يخلُقُ بِحِكْمَةٍ ورحْمَةٍ فإذا عَذَّب مَنْ يُعذِّب لِحِكْمَة كان هذا جاريًا على مقتضاها كما يوجد في الدُّنيا من العُقُوبات الشَّرعيّة والقدريّة من التّهذيب والتّأدِيبِ والزَّجر والرَّحمة واللُّطف ما يُزكّي النُّفوس ويُطيِّبها ويُمَحّصها ويخلِّصها من شرّها وخَبَثها.

والنُّفُوسُ الشِّرِّيرة الظَّالِمَة التي لو رُدّتْ إلى الدُّنْيا قَبْل العَذَابِ لعَادَتْ لِمَا نُهِيتْ عنه لا يصلُح أن تسكُنَ دارَ السّلام التي تُنافي الكذبَ والشَّرَّ والظُّلم.

فإذا عُذّبتْ هذه النفوسُ بالنّار عذَابًا يُخلّصها من ذلكَ الشرّ ويُخرجُ خَبَثها كان هذا معقولًا في الْحِكْمة كَمَا يوجد في عذاب الدّنيا.

وخَلْقُ من فيه شرٌّ يَزُولُ بالتَّعذيب من تَمَام الْحِكْمة، أمّا خَلْق نفوسٍ شرّيرةٍ لا يزولُ شرُّها البَتّة وإنّمَا خُلقَتْ للشرِّ الْمَحْض وللعَذَاب السَّرْمَد الدّائم بدَوَام خالِقها سبحانه فهذا لا يَظهرُ موافقتُه للحِكْمة والرّحمة، وإنْ دخلَ تحتَ القُدْرة فدُخُوله تحتَ الْحِكْمة والرّحمة ليسَ بالبيِّن فهذا ما وصلَ إليه النظرُ في هذه الْمَسْألة التي تَكِعُّ فيها عُقول العُقَلاء.

**وكنتُ سألتُ عنها شيخَ الإسلام قدّس الله رُوحه فقال لي:**

هذه الْمَسْألة عظيمةٌ كبيرة، ولم يُجبْ فيها بشيءٍ، فمضى على ذلك زمنٌ حتى

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢/ ٢٨٤ – ٢٨٦.

(٢) مسألة: إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى.

رأيتُ في "تفسير عبد بن حُميد الكشِّي" بعضَ تلك الآثار التي ذُكرت فأرسلتُ إليه الكتاب وهو في مَجْلِسِه الأخير، وعلّمتُ على ذلك الْمَوْضع، وقلتُ للرسول قُلْ له: هذا الموضع يُشكلُ عليْهِ ولا يَدْري ما هو، فكَتَب فيها مصنَّفه الْمَشهُور[1] رحمة الله عليه[2].

**وقال ابن القيم:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "تائيَّتِه":

| | |
|---|---|
| ويُـدْعَى خُصُـومُ اللهِ يـوْمَ مَعَـادِهِ | إلـى النَّـارِ طُـرًّا فِرْقَـة القَدَرِيَّـةِ |
| سَـوَاءٌ نَفَـوْهُ أو سَـعَوْا لِيُخَاصِـمُوا | بِـهِ اللهَ أَوْ مَـارَوْا بِـه لِلشَّـرِيعَةِ |

وسمعتُهُ يقُولُ: القدَرِيَّة الْمَذْمُومُون في السُّنّة وعلى لسَانِ السَّلَفِ هم هؤُلاءِ الفرق الثلاث: نُفَاتُهُ، وهم القَدَرِيّة الْمَجُوسِيَّة، والمعارضون به للشّريعة الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] وهم القدريّة الشِّرْكِيّة والْمُخَاصِمون بِهِ للرّبِّ سبحانَه وهم أعداءُ الله وخُصُومه وهم القدريّة الإبليسيّة وشيخهم إبليس، وهو أَوَّلُ مَنِ احْتَجَّ على اللهِ بالقَدَر فقالَ: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر:٣٩] ولم يَعْتَرِفْ بالذَّنب يَبُوءُ به كما اعترف به آدم، فمَنْ أَقَرَّ بالذَّنبِ وبَاءَ بِهِ ونَزَّه ربَّهُ فقَدْ أشْبَه أَبَاه آدَمَ، ومَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَم، ومَنْ برَّأ نفسَهُ واحتَجَّ على ربِّه بالقَدَر فقد أَشْبَهَ إبْلِيس[3].

---

(١) وهو كتاب: "الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك" لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد بن عبد الله السمهري، ط: دار بلنسية – الرياض، ط: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٢) شفاء العليل: ٣/ ١٢٩٥ – ١٢٩٧ ط: الصميعي.

(٣) طريق الهجرتين: ١/ ١٨٦ ط عالم الفوائد.

## ۞ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُؤَثِّرَ الْمُحْدَثُ فِي الْقَدِيمِ حُبًّا وَبُغْضًا وفَرَحًا وَغَيْرَ ذَلِكَ؟

**قال ابن القيم:**

وَسَأَلْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَوْمًا فَقُلْتُ لَهُ: إِذَا كَانَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ يَرْضَى بِطَاعَةِ الْعَبْدِ، وَيَفْرَحُ بِتَوْبَتِهِ، وَيَغْضَبُ مِنْ مُخَالَفَتِهِ، فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُؤَثِّرَ الْمُحْدَثُ فِي الْقَدِيمِ حُبًّا وَبُغْضًا وَفَرَحًا وَغَيْرَ ذَلِكَ؟

فَقَالَ لِي: الرَّبُّ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ أَسْبَابَ الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَالْفَرَحِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ بِمَشِيئَتِهِ وَخَلْقِهِ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ التَّأَثُّرُ مِنْ غَيْرِهِ، بَلْ مِنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، وَالْمُمْتَنِعُ أَنْ يُؤَثِّرَ غَيْرُهُ فِيهِ فَهَذَا مُحَالٌ، وَأَمَّا أَنْ يَخْلُقَ هُوَ أَسْبَابًا وَيَشَاءَهَا وَيُقَدِّرَهَا تَقْتَضِي رِضَاهُ وَمَحَبَّتَهُ وَفَرَحَهُ وَغَضَبَهُ: فَهَذَا لَيْسَ بِمُحَالٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ(١).

## ۞ الإرادةُ والاخْتِيارُ.

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

التَّحْقِيقُ أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الِاخْتِيَارِ، فَلَهُ اخْتِيَارٌ فِي الْفِعْلِ، وَبِهِ صَحَّ وُقُوعُهُ، فَإِنَّهُ لَوْلَا إِرَادَتُهُ وَاخْتِيَارُهُ: لَمَا وَقَعَ الْفِعْلُ، وَلَكِنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْإِرَادَةَ وَالِاخْتِيَارَ لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِهِ.

فَهُوَ مُخْتَارٌ بِاعْتِبَارِ أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِرَادَةِ وَالِاخْتِيَارِ مِنْهُ، وَغَيْرُ مُخْتَارٍ بِاعْتِبَارِ أَنَّ غَيْرَهُ حَمَلَهُ عَلَى الِاخْتِيَارِ، وَلَمْ يَكُنْ مُخْتَارًا مِنْ نَفْسِهِ. هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ(٢).

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٤٠٥.

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٣٤١.



# كَلَامُ شيْخِ الإسْلامِ عنِ البِدْعَة والْمُبْتَدِعَة

قال ابن القيم:

قال عبد الرحمن بن مَهْدي: هما مِلَّتانِ: الْجَهْمِيّة والرّافِضَة.

قال شيخ الإسلام: وهذا الكلام الذي قاله الإمام عبد الرَّحمن بنُ مَهْدِي قد قالَهُ غيرُه، وهو كلامٌ عظيمٌ فإنَّ هاتَيْن الفِرْقتَيْن هُمَا أعظَمُ الفِرَقِ فَسَادًا في الدِّين وأصلُهمَا من الزّنادقة الْمُنافِقِين ليسْتَا من ابْتِدَاع الْمُتَأَوّلين مثل قولِ الخَوَارج والْمُرْجِئَة والقدريّة فإنّ هذه الآراء ابتدَعَها قومٌ مسلمون بجَهْلِهم قَصَدُوا بها طاعةَ الله فوَقَعُوا في مَعْصِيَته ولم يقصِدُوا بها مُخَالَفَة الرسُولِ ولا مُحَادَّته.

بخلاف الرَّفْضِ والتَّجَهُّم فإنَّ مَبْدَأَهُما من قَوْمٍ منافِقينَ مكذِّبين لِمَا جاء به الرسولُ مُبْغِضين له لكن الْتبَسَ أمرُ كثيرٍ منهم على كثيرٍ من الْمُسلِمين الذين لَيْسُوا بِمُنافقين ولا زنَادِقَة، فَدَخَلُوا في أشْيَاءَ من الأَقْوالِ والأَفْعال التي ابتَدَعَها الزّنادقَة والْمُنافقُون ولبَّسُوا الحقَّ بالباطِلِ وفي الْمُسلِمين سمّاعُون للمُنَافِقِين كما قال الله تعالى ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧] أي: قابلون مُسْتجِيبُون لَهُم.

فإذَا كانَ جيلُ القُرآن كان بيْنَهم مُنافِقُونَ وفيهم سمَّاعون لَهُم، فَمَا الظنُّ بِمَن بعْدَهُم فلا يزالُ الْمُنَافِقُون في الأَرْض، ولا يزالُ في الْمُؤْمِنين سمَّاعُون لَهُم لجَهْلِهم بحقِيقَة أمْرِهم وعَدَم معْرِفَتهم بغَوْر كلامِهِم.

وأمَّا الرّفضُ فإنَّ الذي ابتَدَعه زنديقٌ منافقٌ وهو عبدُ الله بنُ سَبأَ الذي أَظْهَر الإسلامَ وكان يُبطن الكفرَ وقصدُه فسادُ الإسلام.

والتَّجهُّم مأخوذٌ في الأصْلِ عن الصّابِئين والْمُشْرِكين وهم أعظَمُ من الرَّفْضِ ولهذا تأَخَّرَ دخولُهُ في الأُمّة.

فهاتانِ الْمِلّتان يناقِضَان أصْلَي الإسلَامِ، وهمَا: شهادةُ أن لا إله إلا الله، وشهادةُ أنَّ محمدًا رسولُ الله ﷺ.

أمّا التجهُّم فإنّه نقضُ التّوحِيد وإنْ سَمَّى أصحابُه أنفُسَهم موحِّدِين، ولهذا كان السلف يترجمون الرَّدَّ على الجهميّة بالتّوحِيد والردَّ على الزّنادِقَة والجهميّة كما ترجَمَ البخاريُّ آخر كتاب الجامع ب"كتاب التوحيد والردّ على الجهميّة والزّنادقَة" وكذلك ابنُ خزيْمَة سَمَّى كتابَه "التّوحِيد" وهو في الرَّدِّ على الجهميّة.

وأمّا الرافضةُ فقَدْحُهم وطعْنُهم في الأَصْل الثّاني وهو شهادةُ أنَّ مُحَمّدًا رسُولُ الله ﷺ وإن كانوا يُظهِرُون مُوالَاةَ أهلِ بيتِ الرّسولِ ومَحَبَّتهم.

**قال طائفة من أهل العلم - منهم مالك بن أنس وغيره -:**

هؤلاء قومٌ أرادوا الطّعن في رسول الله ﷺ فلم يُمْكِنهم ذلك فطَعَنُوا في الصحابة ليقولَ القائلُ: رَجُلُ سُوءٍ كان له أصحابُ سُوءٍ ولو كان رجلًا صالِحًا لكان أصحابُه صَالِحِين(١).



(١) الصواعق المرسلة: ٤/ ١٤٠٤.



# الاتّباعُ والتّقليدُ

❁ إِنْكَارُ بَعْضِ الْمُقَلِّدِينَ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَدْرِيسَه بِمَدْرَسَةِ ابْنِ الْحَنْبَلِيِّ.

قال ابن القيم:

وَلَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ الْمُقَلِّدِينَ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي تَدْرِيسِهِ بِمَدْرَسَةِ ابْنِ الْحَنْبَلِيِّ وَهِيَ وَقْفٌ عَلَى الْحَنَابِلَةِ، وَالْمُجْتَهِدُ لَيْسَ مِنْهُمْ، فَقَالَ:

إِنَّمَا أَتَنَاوَلُ مَا أَتَنَاوَلُهُ مِنْهَا عَلَى مَعْرِفَتِي بِمَذْهَبِ أَحْمَدَ، لَا عَلَى تَقْلِيدِي لَهُ، وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرُونَ عَلَى مَذْهَبِ الْأَئِمَّةِ دُونَ أَصْحَابِهِمْ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُقَلِّدُونَهُمْ، فَأَتْبَعُ النَّاسِ لِمَالِكٍ ابْنُ وَهْبٍ وَطَبَقَتُهُ مِمَّنْ يُحَكِّمُ الْحُجَّةَ وَيَنْقَادُ لِلدَّلِيلِ أَيْنَ كَانَ.

وَكَذَلِكَ أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدٌ أَتْبَعُ لِأَبِي حَنِيفَةَ مِنْ الْمُقَلِّدِينَ لَهُ مَعَ كَثْرَةِ مُخَالَفَتِهِمَا لَهُ، وَكَذَلِكَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُد وَالْأَثْرَمُ وَهَذِهِ الطَّبَقَةُ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ أَتْبَعُ لَهُ مِنْ الْمُقَلِّدِينَ الْمَحْضِ الْمُنْتَسِبِينَ إلَيْهِ، وَعَلَى هَذَا فَالْوَقْفُ عَلَى أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ أَهْلِ الْحُجَّةِ وَالْعِلْمِ أَحَقُّ بِهِ مِنْ الْمُقَلِّدِينَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ[(١)].

❁ لا يقُولُ القَاضِي: هَذَا حُكْمُ اللهِ.

قال ابن القيم:

وَسَمِعْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ يَقُولُ:

حَضَرْت مَجْلِسًا فِيهِ الْقُضَاةُ وَغَيْرُهُمْ، فَجَرَتْ حُكُومَةٌ حَكَمَ فِيهَا أَحَدُهُمْ بِقَوْلِ

---

(١) إعلام الموقعين: ٢/ ١٧٠ - ١٧١.

زُفَرَ، فَقُلْت لَهُ: مَا هَذِهِ الْحُكُومَةُ؟

فَقَالَ: هَذَا حُكْمُ اللهِ، فَقُلْت لَهُ: صَارَ قَوْلُ زُفَرَ هُوَ حُكْمَ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ وَأَلْزَمَ بِهِ الْأُمَّةَ؟

قُلْ: هَذَا حُكْمُ زُفَرَ، وَلَا تَقُلْ هَذَا حُكْمُ اللهِ، أَوْ نَحْوُ هَذَا مِنْ الْكَلَامِ(١).

**۞ أَقْسَامُ الْمَذَاهِبِ ثَلَاثَةٌ:**

**قِسْمٌ الْحَقُّ فِيهِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ مُوَافِقٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَقِسْمٌ مَرْجُوحٌ وَمُخَالِفُهُ مَعَهُ الدَّلِيلُ، وَقِسْمٌ مِنْ مَسَائِلِ الِاجْتِهَادِ الَّتِي الْأَدِلَّةُ فِيهَا مُتَجَاذِبَةٌ.**

**قال ابن القيم:**

وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ:

جَاءَنِي بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنْ الْحَنَفِيَّةِ فَقَالَ: أَسْتَشِيرُكَ فِي أَمْرٍ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟

قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَنْتَقِلَ عَنْ مَذْهَبِي، قُلْتُ لَهُ: وَلِمَ؟

قَالَ: لِأَنِّي أَرَى الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ كَثِيرًا تُخَالِفُهُ، وَاسْتَشَرْتُ فِي هَذَا بَعْضَ أَئِمَّةِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ فَقَالَ لِي:

لَوْ رَجَعْتَ عَنْ مَذْهَبِكَ لَمْ يَرْتَفِعْ ذَلِكَ مِنْ الْمَذْهَبِ، وَقَدْ تَقَرَّرَتْ الْمَذَاهِبُ، وَرُجُوعُكَ غَيْرُ مُفِيدٍ، وَأَشَارَ عَلَيَّ بَعْضُ مَشَايِخِ التَّصَوُّفِ بِالِافْتِقَارِ إلَى اللهِ وَالتَّضَرُّعِ إلَيْهِ وَسُؤَالِ الْهِدَايَةِ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، فَمَاذَا تُشِيرُ بِهِ أَنْتَ عَلَيَّ؟

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: اجْعَلْ الْمَذْهَبَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ الْحَقُّ فِيهِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ مُوَافِقٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَاقْضِ بِهِ وَأَفْتِ بِهِ طَيِّبَ النَّفْسِ

---

(١) إعلام الموقعين: ٤/ ١٣٤.



مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ.

وَقِسْمٌ مَرْجُوحٌ وَمُخَالِفُهُ مَعَهُ الدَّلِيلُ فَلَا تُفْتِ بِهِ وَلَا تَحْكُمْ بِهِ وَادْفَعْهُ عَنْكَ.

وَقِسْمٌ مِنْ مَسَائِلِ الِاجْتِهَادِ الَّتِي الْأَدِلَّةُ فِيهَا مُتَجَاذِبَةٌ؛ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُفْتِيَ بِهِ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَدْفَعَهُ عَنْكَ، فَقَالَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، أَوْ كَمَا قَالَ[1].

**۞ إنْ أَخَذْتَ بِشَرِّ مَا فِي الْعُلَمَاءِ اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ.**

**قال ابن القيم:**

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: وَلَقَدْ أَخبرَنِي الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ:

رَآنِي أَبِي وَأَنَا أَنْشُدُ الشِّعْرَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لَا تَنْشُدُ الشِّعْرَ.

فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَانَ الْحَسَنُ يُنْشِدُ الشِّعْرَ، وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ يُنْشِدُ.

فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ إنْ أَخَذْتُ بِشَرِّ مَا فِي الْحَسَنِ وَبِشَرِّ مَا فِي ابْنِ سِيرِينَ اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ:

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَعْيَانِ الْأَئِمَّةِ مِنْ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إلَّا وَلَهُ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ خَفِيَ عَلَيْهِمْ فِيهَا السُّنَّةُ.

قُلْتُ: وَقَدْ قَالَهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي أَوَّلِ "اسْتِذْكَارِهِ".

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ:

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ لَا يُحْصَى، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَغُضُّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ، وَلَا يُسَوِّغُ

---

(١) إعلام الموقعين: ٤/ ١٨٢.

اتِّبَاعَهُمْ فِيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَكَمُ بْنُ عُتَيْبَةَ وَمَالِكٌ وَغَيْرُهُمْ: لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ.

وَقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ: إنْ أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ كُلِّ عَالِمٍ اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: هَذَا إجْمَاعٌ لَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا يَنْبَغِي تَأَمُّلُهُ[1].

**۞ الْمُقَلِّدُونَ طَافُوا عَلَى أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ فَفَازُوا بِأَخَسِّ الْمَطَالِبِ.**

**قال ابن القيم:**

وَقَالَ لِي شَيخُنَا مرّة فِي وصف هَؤُلَاءِ:

إِنَّهُمْ طَافُوا عَلَى أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ فَفَازُوا بِأَخَسِّ الْمَطَالِبِ.

وَيَكْفِيك دَلِيلًا عَلَى أَنَّ هَذَا الَّذِي عِنْدهُمْ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ مَا ترى فِيهِ من التَّنَاقُضِ وَالِاخْتِلَافِ ومُصَادمَةِ بَعْضِهِ لِبَعْضٍ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:٨٢] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا كَانَ مِنْ عِنْدهِ سُبْحَانَهُ لَا يَخْتَلفُ وَأَنَّ مَا اخْتَلَفَ وَتَنَاقَضَ فَلَيْسَ مِنْ عِنْدهِ وَكَيفَ تَكُونُ الآرَاءُ وَالْخَيالَاتُ وَسَوَانِحُ الأَفْكَارِ دِينًا يُدَانُ بِهِ وَيُحْكَمُ بِهِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور:١٦][2].



(١) إعلام الموقعين: ٣/ ٢٢١.

(٢) الفوائد: ص ١٠٥.



# فِقْهُ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنّهي عنِ الْمُنْكَرِ

قال ابن القيم:

وَسَمِعْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ يَقُولُ:

مَرَرْت أَنَا وَبَعْضُ أَصْحَابِي فِي زَمَنِ التَّتَارِ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ مَعِي، فَأَنْكَرْت عَلَيْهِ، وَقُلْت لَهُ:

إِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ الْخَمْرَ لِأَنَّهَا تَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ، وَهَؤُلَاءِ يَصُدُّهُمْ الْخَمْرُ عَنْ قَتْلِ النُّفُوسِ وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ فَدَعْهُمْ[١].



(١) إعلام الموقعين: ٣/ ١٣.

# من كَلامِ شيْخِ الإسْلامِ على بَعْضِ الأَحَادِيث وحُكْمِه على أسَانِيدِها

❁ كلامُهُ عن "الْمُخْتَارة" للضياء الْمَقْدِسي:

قال ابن القيم:

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ: هِيَ(١) أَصَحُّ مِنْ صَحِيحِ الْحَاكِمِ(٢).

❁ حديثُ القُنُوت في الفَجْر:

قال ابن القيم:

قال شيخ الإسلام:

وَهَذَا الْإِسْنَادُ نَفْسُهُ(٣) هُوَ إِسْنَادُ حَدِيثِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] حَدِيثَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ الطَّوِيلَ، وَفِيهِ: «**وَكَانَ رُوحُ عِيسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **مِنْ تِلْكَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي أَخَذَ عَلَيْهَا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ فِي زَمَنِ آدَمَ**،

(١) يقصد كِتَاب (الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَارَةِ) لِلْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَقْدِسِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) مختصر الصواعق: ص ٣٩٠.

(٣) الذي في حَدِيثُ أبي جعفر الرازي عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أنس قَالَ: مَا زَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا**) وَهُوَ فِي " الْمُسْنَدِ " وَالتِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِمَا. زاد المعاد:١/ ٢٦٦ – ٢٦٧.

**فَأَرْسَلَ تِلْكَ الرُّوحَ إِلَى مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ حِينَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَأَرْسَلَهُ اللهُ فِي صُورَةِ بَشَرٍ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَ: فَحَمَلَتِ الَّذِي يُخَاطِبُهَا، فَدَخَلَ مِنْ فِيهَا»**.

وَهَذَا غَلَطٌ مَحْضٌ، فَإِنَّ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهَا الْمَلَكَ الَّذِي قَالَ لَهَا: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩] وَلَمْ يَكُنِ الَّذِي خَاطَبَهَا بِهَذَا هُوَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، هَذَا مُحَالٌ(١).

❁ **حديث «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابنُ عبدِكَ... عدلٌ فِيَّ قضاؤك»**.

**قال ابن القيم:**

وَالْمَقْصُود قَوْله: «**عَدْلٌ فِيَّ قضاؤُك**» وَهَذَا يتَنَاوَل كل قَضَاء يَقْضِيه على عَبْدِهِ مِن عُقُوبَةٍ أَو أَلَمٍ، وَسَبَبُ ذَلِك فَهُوَ الَّذِي قضى بِالسَّبَبِ وَقضى بالْمُسَبَّب وَهُوَ عَدْلٌ فِي هَذَا الْقَضَاء، وَهَذَا الْقَضَاء خير لِلْمُؤمنِ كَمَا قَالَ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يقْضِي الله لِلْمُؤمنِ قَضَاء إِلَّا كَانَ خيرًا لَهُ وَلَيْسَ ذَلِك إِلَّا لِلْمُؤمنِ**».

**قَالَ ابْن الْقيم فَسَأَلت شَيخنَا:**

هَل يدْخل فِي ذَلِك قَضَاء الذَّنب؟ فَقَالَ: نَعَمْ، بِشَرْطِهِ.

فأجمل فِي لَفْظَة بِشَرْطِهِ مَا يَتَرَتَّب على الذَّنب من الْآثَار الْمَحْبُوبَة لله من التَّوْبَة والانكِسَار والنَّدَم والخُضُوعِ والذُّل والبُكَاء وَغير ذَلِك(٢).

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٢٦٧.

(٢) الفوائد: ص ٩٣ – ٩٤.

### حديث «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟».

**قال ابن القيم:**

وَأَمَّا التَّعْلِيلُ الثَّالِثُ فَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ:

إِنْكَارُ مَنْ أَنْكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى عُثْمَانَ غَيْرُ جَيِّدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ لِتَوَهُّمِ انْفِرَادِهِ بِهِ عَنْ اللَّيْثِ وَظَنِّهِمْ أَنَّهُ لَعَلَّهُ أَخْطَأَ فِيهِ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْهُمْ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ اللَّيْثِ، كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُ مَنْ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ أَنَّ الْحَدِيثَ إِذَا انْفَرَدَ بِهِ عَنْ الرَّجُلِ مَنْ لَيْسَ بِالْمَشْهُورِ مِنْ أَصْحَابِهِ كَانَ ذَلِكَ شُذُوذًا فِيهِ وَعِلَّةً قَادِحَةً.

**وَهَذَا لا يَتَوَجَّهُ هَهُنَا لِوَجْهَيْنِ:**

**أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ قَدْ تَابَعَهُ عَلَيْهِ أَبُو صَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ عَنْهُ، رَوَيْنَاهُ مِنْ حَدِيث أَبِي بَكْرٍ الْقَطِيعِيِّ ثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي فَرِيقٍ ثنا أَبُو صَالِحٍ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ بِهِ، فَذَكَرَهُ، وَرَوَاهُ أَيْضًا الدَّارَقُطْنِيُّ فِي سُنَنِهِ: ثنا أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ ثنا إبْرَاهِيمُ بْنُ الْهَيْثَمِ أَخْبَرَنَا أَبُو صَالِحٍ، فَذَكَرَهُ.

**الثَّانِي:** أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ صَالِحٍ هَذَا الْمِصْرِيُّ نَفْسُهُ رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ مَعِينٍ وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيّ، وَقَالَ: هُوَ شَيْخٌ صَالِحٌ سَلِيمُ التَّأْدِيَةِ، قِيلَ لَهُ: كَانَ يُلَقِّنُ؟ قَالَ: لَا، وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ كَانَ مَا يَنْفَرِدُ بِهِ حُجَّةً، وَإِنَّمَا الشَّاذُّ مَا خَالَفَ بِهِ الثِّقَاتِ، لَا مَا انْفَرَدَ بِهِ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ إذَا تَابَعَهُ مِثْلُ أَبِي صَالِحٍ وَهُوَ كَاتِبُ اللَّيْثِ وَأَكْثَرُ النَّاس حَدِيثًا عَنْهُ؟ وَهُوَ ثِقَةٌ أَيْضًا، وَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ غَلَطٌ، وَمِشْرَحُ بْنُ هَاعَانَ قَالَ فِيهِ ابْنُ مَعِينٍ: ثِقَةٌ، وَقَالَ فِيهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: هُوَ مَعْرُوفٌ.

فَثَبَتَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، انْتَهَى[1].

---

(١) إعلام الموقعين: ٣/ ٤٢ - ٤٣.

❁ حديث «مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَائِي».

قال ابن القيم:

قَالَ[١]: وَأَمَّا مَا يُرْوَى مِنَ الْأَثَرِ: مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَائِي.

فَهَذَا أَثَرٌ إِسْرَائِيلِيٌّ، لَيْسَ يَصِحُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[٢].

❁ حديث «فَمَنِ اسْتَطاعَ منكُم أنْ يُطيلَ غُرَّتَهُ فلْيَفْعَلْ».

قال ابن القيم:

وأما قوْلُه: «فَمَنِ اسْتَطاعَ منكُم أنْ يُطيلَ غُرَّتَهُ فلْيَفْعَلْ» فهَذِه الزِّيادةُ مُدْرَجةٌ في الحدِيثِ من كلامِ أبي هُرَيْرة، لا مِن كلامِ النَّبيّ ﷺ بيَّن ذلك غيرُ واحدٍ من الحفّاظ.

وفي مُسْنَدِ الإمَامِ أحْمَدَ[٣] في هذَا الحَدِيثِ قال نُعيم: فلا أَدْرِي قولَهُ: «فَمَنِ اسْتَطاعَ منكُم أنْ يُطيلَ غُرَّتَهُ فلْيَفْعَلْ» من كلام النبيِّ ﷺ، أو شيءٌ قاله أبو هريرة مِنْ عِندِهِ.

وكان شَيْخُنَا يقُولُ:

هَذِهِ اللفْظةُ لا يُمكِن أن تكونَ من كلَامِ رسُولِ الله فإنَّ الغُرَّة لا تكونُ في اليَدِ، لا تَكُونُ إلّا في الوَجْهِ وإطَالَتُه غير مُمْكِنةٍ؛ إذْ تدخُل في الرَّأْس فلَا تُسَمَّى لذلِكَ غُرّةً[٤].

(١) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ١٧٠.

(٣) المسند: ٢/ ٣٣٤.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ص ٢٠١.

❁ **حديث «لَا يَؤُمُّ عَبْدٌ قَوْمًا فَيَخُص نَفْسَهُ بِدَعْوَةٍ دُونَهُم، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ».**

**قال ابن القيم:**

قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي " صَحِيحِهِ ": وَقَدْ ذَكَرَ حَدِيثَ «**اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ**» الْحَدِيثَ.

قَالَ: فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى رَدِّ الْحَدِيثِ الْمَوْضُوعِ «**لَا يَؤُمُّ عَبْدٌ قَوْمًا فَيَخُصَّ نَفْسَهُ بِدَعْوَةٍ دُونَهُمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ**».

**وقال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابن تيمية يَقُولُ:

هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي فِي الدُّعَاءِ الَّذِي يَدْعُو بِهِ الْإِمَامُ لِنَفْسِهِ وَلِلْمَأْمُومِينَ وَيَشْتَرِكُونَ فِيهِ، كَدُعَاءِ الْقُنُوتِ وَنَحْوِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[(١)].

❁ **حديث «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَدَّ عَلَى وَسَطِهِ مِنْطَقَةً».**

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية:

لَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَدَّ عَلَى وَسَطِهِ مِنْطَقَةً[(٢)].

❁ **حديث «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْصُرُ فِي السَّفَرِ، وَيُتِمُّ، وَيُفْطِرُ، وَيَصُومُ».**

**قال ابن القيم:**

وَأَمَّا حَدِيثُ عائشة: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْصُرُ فِي السَّفَرِ، وَيُتِمُّ، وَيُفْطِرُ، وَيَصُومُ"

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٢٥٦.

(٢) زاد المعاد: ١/ ١٢٦.



فَلَا يَصِحَّ.

**وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ:**

هُوَ كَذِبٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ انْتَهى، وَقَدْ رُوِيَ كَانَ يَقْصُرُ وَتُتِمُّ، الْأَوَّلُ بِالْيَاءِ آخِرِ الْحُرُوفِ، وَالثَّانِي بِالتَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقٍ، وَكَذَلِكَ يُفْطِرُ وَتَصُومُ، أَيْ: تَأْخُذُ هِيَ بِالْعَزِيمَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ، قَالَ: شَيْخُنَا ابن تيمية:

وَهَذَا بَاطِلٌ مَا كَانَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ لِتُخَالِفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَجَمِيعَ أَصْحَابِهِ، فَتُصَلِّيَ خِلَافَ صَلَاتِهِمْ، كَيْفَ؟ وَالصَّحِيحُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ اللهَ فَرَضَ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ، وَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ.

فَكَيْفَ يُظَنُّ بِهَا مَعَ ذَلِكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِخِلَافِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ؟!(١)

**۞ حديث عائشة قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَصَرْتَ وَأَتْمَمْتُ، وَصُمْتَ وَأَفْطَرْتُ. قَالَ: «أَحْسَنْتِ يَا عائشة».**

**قال ابن القيم:**

سَاقَ مِنْ طَرِيقِ أبي بكر النيسابوري، عَنْ عَبَّاسٍ الدُّورِيِّ، أَنْبَأَنَا أبو نعيم، حَدَّثَنَا العلاء بن زهير، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ عَنْ عائشة أَنَّهَا اعْتَمَرَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا قَدِمَتْ مَكَّةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَصَرْتَ وَأَتْمَمْتُ، وَصُمْتَ وَأَفْطَرْتُ. قَالَ: «**أَحْسَنْتِ يَا عائشة**».

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٤٤٧ – ٤٤٨.

**وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ:**

هَذَا الْحَدِيثُ كَذِبٌ عَلَى عائشة، وَلَمْ تَكُنْ عائشة لِتُصَلِّيَ بِخِلَافِ صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ وَهِيَ تُشَاهِدُهُمْ يَقْصُرُونَ ثُمَّ تُتِمُّ هِيَ وَحْدَهَا بِلَا مُوجِبٍ.

كَيْفَ وَهِيَ الْقَائِلَةُ: «**فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ، وَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ**».

فَكَيْفَ يُظَنُّ أَنَّهَا تَزِيدُ عَلَى مَا فَرَضَ اللهُ، وَتُخَالِفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ؟!

قَالَ الزُّهْرِيُّ لعُرْوَةَ لَمَّا حَدَّثَهُ عَنْهَا بِذَلِكَ: فَمَا شَأْنُهَا كَانَتْ تُتِمُّ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَ: تَأَوَّلَتْ كَمَا تَأَوَّلَ عثمان.

فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ حَسَّنَ فِعْلَهَا وَأَقَرَّهَا عَلَيْهِ، فَمَا لِلتَّأْوِيلِ حِينَئِذٍ وَجْهٌ وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُضَافَ إِتْمَامُهَا إِلَى التَّأْوِيلِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، وَقَدْ أَخْبَرَ ابْنُ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَزِيدُ فِي السَّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ، وَلَا أبو بكر، وَلَا عمر.

أَفَيُظَنُّ بعائشة أَمِّ الْمُؤْمِنِين مُخَالَفَتُهُمْ، وَهِيَ تَرَاهُمْ يَقْصُرُونَ؟

وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ فَإِنَّهَا أَتَمَّتْ كَمَا أَتَمَّ عثمان، وَكِلَاهُمَا تَأَوَّلَ تَأْوِيلًا، وَالْحُجَّةُ فِي رِوَايَتِهِمْ لَا فِي تَأْوِيلِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مَعَ مُخَالَفَةِ غَيْرِهِ لَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ[(١)].

قَالَ الزُّهْرِيُّ لعروة لَمَّا حَدَّثَهُ عَنْهَا بِذَلِكَ: فَمَا شَأْنُهَا كَانَتْ تُتِمُّ الصَّلَاةَ؟

فَقَالَ: تَأَوَّلَتْ كَمَا تَأَوَّلَ عُثْمانُ.

فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ حَسَّنَ فِعْلَهَا وَأَقَرَّهَا عَلَيْهِ، فَمَا لِلتَّأْوِيلِ حِينَئِذٍ وَجْهٌ وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُضَافَ إِتْمَامُهَا إِلَى التَّأْوِيلِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، وَقَدْ أَخْبَرَ ابْنُ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٤٥٤ – ٤٥٥.

اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَزِيدُ فِي السَّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ، وَلَا أبو بكر، وَلَا عُمَرُ.

أَفَيُظَنُّ بعائشة أَمِّ الْمُؤْمِنِينَ مُخَالَفَتُهُمْ، وَهِيَ تَرَاهُمْ يَقْصُرُونَ؟ وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ فَإِنَّهَا أَتَمَّتْ كَمَا أَتَمَّ عثمان، وَكِلَاهُمَا تَأَوَّلَ تَأْوِيلًا، وَالْحُجَّةُ فِي رِوَايَتِهِمْ لَا فِي تَأْوِيلِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مَعَ مُخَالَفَةِ غَيْرِهِ لَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

### ۞ حَدِيثُ «لَا يَرْقُونَ».

**قال ابن القيم:**

فَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ «**لَا يَرْقُونَ**» غَلَطٌ مِنَ الرَّاوِي، سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابن تيمية يَقُولُ ذَلِكَ.

قَالَ: وَإِنَّمَا الْحَدِيثُ «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ**»(٢).

قُلْتُ: وَذَلِكَ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ دَخَلُوا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، لِكَمَالِ تَوْحِيدِهِمْ، وَلِهَذَا نَفَى عَنْهُمُ الِاسْتِرْقَاءَ، وَهُوَ سُؤَالُ النَّاسِ أَنْ يَرْقُوهُمْ.

وَلِهَذَا قَالَ «**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فَلِكَمَالِ تَوَكُّلِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَسُكُونِهِمْ إِلَيْهِ، وَثِقَتِهِمْ بِهِ، وَرِضَاهُمْ عَنْهُ، وَإِنْزَالِ حَوَائِجِهِمْ بِهِ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئًا لَا رُقْيَةً وَلَا غَيْرَهَا، وَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ طِيَرَةٌ تَصُدُّهُمْ عَمَّا يَقْصِدُونَهُ، فَإِنَّ الطِّيَرَةَ تُنْقِصُ التَّوْحِيدَ وَتُضْعِفُهُ.

قَالَ: وَالرَّاقِي مُتَصَدِّقٌ مُحْسِنٌ، وَالْمُسْتَرْقِي سَائِلٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ رَقَى، وَلَمْ يَسْتَرْقِ، وَقَالَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**»(٣).

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٤٦٢.

(٢) صحيح البخاري: (٥٧٠٥).

(٣) زاد المعاد: ١/ ٤٧٦ – ٤٧٧.

وَلَمَّا ضَاقَ هَذَا الْمَشْهَدُ وَالْجَمْعُ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ عَلَى بَعْضِ الْعَارِفِينَ يَوْمَ مَاتَ وَلَدُهُ، جعَلَ يَضْحَكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَضْحَكُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؟ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَضَى بِقَضَاءٍ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْضَى بِقَضَائِهِ**».

فَأَشْكَلَ هَذَا عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَقَالُوا: كَيْفَ يَبْكِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ أَرْضَى الْخَلْقِ عَنِ اللهِ، وَيَبْلُغُ الرِّضَى بِهَذَا الْعَارِفِ إِلَى أَنْ يَضْحَكَ، فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابن تيمية يَقُولُ:

هَدْيُ نَبِيِّنَا ﷺ كَانَ أَكْمَلَ مِنْ هَدْيِ هَذَا الْعَارِفِ، فَإِنَّهُ أَعْطَى الْعُبُودِيَّةَ حَقَّهَا، فَاتَّسَعَ قَلْبُهُ لِلرِّضَى عَنِ اللهِ، وَلِرَحْمَةِ الْوَلَدِ، وَالرِّقَّةِ عَلَيْهِ فَحَمِدَ اللهَ، وَرَضِيَ عَنْهُ فِي قَضَائِهِ، وَبَكَى رَحْمَةً وَرَأْفَةً، فَحَمَلَتْهُ الرَّأْفَةُ عَلَى الْبُكَاءِ، وَعُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ، وَمَحَبَّتُهُ لَهُ عَلَى الرِّضَى وَالْحَمْدِ، وَهَذَا الْعَارِفُ ضَاقَ قَلْبُهُ عَنِ اجْتِمَاعِ الْأَمْرَيْنِ، وَلَمْ يَتَّسِعْ بَاطِنُهُ لِشُهُودِهِمَا وَالْقِيَامِ بِهِمَا، فَشَغَلَتْهُ عُبُودِيَّةُ الرِّضَى عَنْ عُبُودِيَّةِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ(١).

**وقال ابن القيم:**

وَقد ثَبت فِي الصَّحِيحَيْنِ عَن النَّبِي أَنه قَالَ فِي وصف السّبْعين ألفًا الَّذين يدْخلُونَ الْجنَّة بِغَيْر حِسَاب أَنهم الَّذين «**لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يسْترقونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وعَلى رَبِّهم يَتَوَكَّلُونَ**» زَاد مُسلِمٌ(٢) وَحْدَهُ "وَلَا يَرْقُونَ".

فَسمِعت شَيْخَ الْإِسْلَام ابْن تَيْمِية يَقُول:

هَذِه الزِّيَادَة وَهْمٌ مِنَ الرّاوِي لَمْ يَقُلِ النَّبِي "وَلَا يَرْقُونَ" لِأَنَّ الرّاقِي مُحْسِنٌ إِلَى

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٤٨٠.

(٢) صحيح مسلم: (٢٢٠).

أَخِيه وَقد قَالَ النَّبي وَقد سُئِلَ عَن الرُّقى؟ فَقَالَ: «**من اسْتَطَاعَ مِنْكُم أَن ينفع أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**» وَقَالَ: «**لا بَأْس بالرُّقى ما لَمْ يكنْ شِرْكًا**»(١).

وَالْفرق بَين الرّاقي والْمُسْتَرْقِي: أَنَّ الْمُسْتَرْقِي سَائل مُسْقِطٌ مُلْتَفِتٌ إِلَى غَيْر الله بِقَلْبِه، والرّاقي مُحْسِنٌ نَافِعٌ(٢).

۞ **حديث «كَيْفَ يُورِّثُه وَهُو لَا يَحِلُّ لَهُ؟ كَيْفَ يَسْتَخْدِمُهُ وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ؟!».**

**قال ابن القيم:**

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**كَيْفَ يُوَرِّثُهُ وَهُوَ لا يَحِلُّ لَهُ؟ كَيْفَ يَسْتَخْدِمُهُ وَهُوَ لا يَحِلُّ لَهُ؟**» كَانَ شَيْخُنَا يَقُولُ فِي مَعْنَاهُ:

كَيْفَ يَجْعَلُهُ عَبْدًا مَوْرُوثًا عَنْهُ وَيَسْتَخْدِمُهُ اسْتِخْدَامَ الْعَبِيدِ وَهُوَ وَلَدُهُ؛ لِأَنَّ وَطْأَهُ زَادَ فِي خَلْقِهِ؟

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: الْوَطْءُ يَزِيدُ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ. قَالَ: فِيمَنِ اشْتَرَى جَارِيَةً حَامِلًا مِنْ غَيْرِهِ فَوَطِئَهَا قَبْلَ وَضْعِهَا، فَإِنَّ الْوَلَدَ لَا يَلْحَقُ بِالْمُشْتَرِي وَلَا يَتْبَعُهُ، لَكِنْ يُعْتِقُهُ لِأَنَّهُ قَدْ شَرِكَ فِيهِ لِأَنَّ الْمَاءَ يَزِيدُ فِي الْوَلَدِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّ بِامْرَأَةٍ مُجِحٍّ عَلَى بَابِ فُسْطَاطٍ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُلِمَّ بِهَا**» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

يَعْنِي: أَنَّهُ إِنِ اسْتَلْحَقَهُ وَشَرِكَهُ فِي مِيرَاثِهِ، لَمْ يَحِلَّ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِوَلَدِهِ، وَإِنْ أَخَذَهُ مَمْلُوكًا يَسْتَخْدِمُهُ لَمْ يَحِلَّ لَهُ لِأَنَّهُ قَدْ شَرِكَ فِيهِ لِكَوْنِ الْمَاءِ يَزِيدُ فِي الْوَلَدِ(٣).

---

(١) سنن أبي داود: (٣٨٨٦).

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٣٤.

(٣) زاد المعاد: ٥/ ١٤١ – ١٤٢.

۞ **حديث «الْحَمدُ لله نَحْمَدُه ونَسْتَعِينُه وَنَسْتَغفِرهُ» بِلَفظ الْجَمْع.**

**قال ابن القيم:**

وَالَّذِي حُفِظَ مِن تَحْمِيدِ النَّبِي ﷺ فِي الْمَجَامِعِ الْعِظَام كخُطْبَةِ الْجُمُعَة وَالْخُطْبَة فِي الْحَجِّ عِنْد الْجَمْرَة وخُطْبَةُ الْحَاجَة «**الْحَمدُ لله نَحْمَدُه ونَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِرهُ ونعوذُ بِالله من شُرور أَنْفُسنَا من يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمن يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله**» وفيهَا كلّهَا أشبه بِلَفْظ الْإِفْرَاد «**ونستعينه**» بِلَفْظ الْجمع «**ونَحْمَدُه وَنَسْتَغْفِرهُ**» بِلَفْظ الْجَمْع.

**فَقَالَ شيخ الْإِسْلَام أَبُو الْعَبَّاس ابْن تَيْمِية قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ:**

لَمّا كَانَ العَبْد قد يسْتَغْفر لَهُ ويَسْتَعِين لَهُ وَلغَيْرِهِ حَسُنَ لَفْظُ الْجَمْعِ فِي ذَلِك، وَأَمَّا الشَّهَادَة لله بالوَحْدَانِيّة وَلِرَسُولِهِ بالرِّسَالَةِ فَلَا يَفْعَلُهَا أَحَدٌ عَن غَيرِهِ وَلَا تُقْبَلُ الشَّهَادَةُ بِوَجْه من الْوُجُوهِ، وَلَا تتعَلَّق شَهَادَة الْإِنْسَان بِشَهَادَة غَيره، الْمُتَشَهّد لَا يَتَشَهَّد إِلَّا عَن نَفسه.

هَذَا مَعْنى كَلَامِهِ(١).

۞ **حَدِيثُ «وَضْعُ الْجِزْيَةِ عن أَهْلِ خَيْبَرَ».**

**قال ابن القيم:**

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ هَذَا الْكِتَابَ وَبَيَّنَ أَنَّهُ كَذِبٌ من عِدَّةِ وُجُوهٍ.

وأُحْضِرَ هَذَا الْكِتَابُ بَيْنَ يَدِيِّ شَيْخِ الإِسْلام وَحَوْلَهُ الْيَهُودِ يَزُفُّونَهُ وَيَجْلُونَهُ وَقَدْ غُشِيَ بِالْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ فَلَمَّا فَتَحَهُ وَتَأَمَّلَهُ بَزَقَ عَلَيْهِ وَقَالَ: هذا كَذِبٌ مِنْ عِدَّةِ

---

(١) صيغ الحمد: ٦٥.



أَوْجُهٍ، وَذَكَرَهَا، فَقَامُوا مِنْ عِنْدِهِ بِالذُّلِّ وَالصَّغَارِ[١].

وقال ابن القيم:

وَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ الَّتِي خَفِيَتْ فِيهَا السُّنَّةُ وَأَعْلَامُهَا، أَظْهَرَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ كِتَابًا قَدْ عَتَّقُوهُ وَزَوَّرُوهُ، وَفِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسْقَطَ عَنْ يَهُودِ خَيْبَرَ الْجِزْيَةَ، وَفِيهِ شَهَادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَرَاجَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ جَهِلَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَغَازِيَهُ وَسِيَرَهُ، وَتَوَهَّمُوا، بَلْ ظَنُّوا صِحَّتَهُ، فَجَرَوْا عَلَى حُكْمِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُزَوَّرِ حَتَّى أُلْقِيَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابن تيمية - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - وَطُلِبَ مِنْهُ أَنْ يُعِينَ عَلَى تَنْفِيذِهِ، وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ، فَبَصَقَ عَلَيْهِ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى كَذِبِهِ بِعَشَرَةِ أَوْجُهٍ:

مِنْهَا: أَنَّ فِيهِ شَهَادَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وسعد تُوُفِّيَ قَبْلَ خَيْبَرَ قَطْعًا.

وَمِنْهَا: أَنَّ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ أَسْقَطَ عَنْهُمُ الْجِزْيَةَ وَالْجِزْيَةُ لَمْ تَكُنْ نَزَلَتْ بَعْدُ، وَلَا يَعْرِفُهَا الصَّحَابَةُ حِينَئِذٍ، فَإِنَّ نُزُولَهَا كَانَ عَامَ تَبُوكَ بَعْدَ خَيْبَرَ بِثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ أَسْقَطَ عَنْهُمُ الْكُلَفَ وَالسُّخَرَ، وَهَذَا مُحَالٌ، فَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ كُلَفٌ وَلَا سُخَرٌ تُؤْخَذُ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَقَدْ أَعَاذَهُ اللهُ، وَأَعَاذَ أَصْحَابَهُ مِنْ أَخْذِ الْكُلَفِ وَالسُّخَرِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ وَضْعِ الْمُلُوكِ الظَّلَمَةِ وَاسْتَمَرَّ الْأَمْرُ عَلَيْهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ، فَلَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْإِفْتَاءِ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَلَا أَظْهَرُوهُ فِي زَمَانِ السَّلَفِ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ إِنْ زَوَّرُوا مِثْلَ ذَلِكَ، عَرَفُوا كَذِبَهُ وَبُطْلَانَهُ، فَلَمَّا اسْتَخَفُّوا

---

(١) المنار المنيف: ص ١٠٥.

بَعْضَ الدُّوَلِ فِي وَقْتِ فِتْنَةٍ وَخَفَاءِ بَعْضِ السُّنَّةِ، زَوَّرُوا ذَلِكَ، وَعَتَّقُوهُ وَأَظْهَرُوهُ وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ طَمَعُ بَعْضِ الْخَائِنِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَمْ يَسْتَمِرَّ لَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى كَشَفَ اللهُ أَمْرَهُ وَبَيَّنَ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ بُطْلَانَهُ وَكَذِبَهُ(١).

**۞ حديثُ «النَّظَرُ إلى الوَجْهِ الحَسَنِ عبادَةٌ».**

**قال ابن القيم:**

وسُئِلَ شَيْخُنَا عمّن يقُولُ: النَّظَرُ إلى الوَجْهِ الحَسَنِ عبَادَةٌ ويَرْوي ذلكَ عنِ النّبيِّ ﷺ فهَلْ ذلكَ صَحِيحٌ أَمْ لَا؟

**فأَجَابَ بأنْ قالَ:** هَذَا كذِبٌ باطِلٌ ومَنْ رَوَى ذلِكَ عنِ النّبي ﷺ أوْ ما يُشْبِهُه فقَدْ كذَبَ عَلَيْه فإنَّ هَذَا لَمْ يَرْوِه أَحَدٌ مَنْ أهْلِ الحَدِيثِ لا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ ولا ضَعِيفٍ، بَلْ هُوَ مِنَ الْمَوْضُوعاتِ وهُوَ مُخَالِفٌ لإجْمَاعِ الْمُسْلِمِين، فإنَّهُ لم يَقُلْ أَحَدٌ إنَّ النَّظَرَ إلى الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّة والصَّبِيِّ الأَمْرَدِ عِبَادَةٌ، ومَنْ زَعَمَ ذلكَ فإنَّهُ يُسْتَتَابُ فإنْ تابَ وإلّا قُتِلَ فإنَّ النَّظَرَ منْهُ ما هو حَرَامٌ ومنْهُ ما هُوَ مَكْرُوهٌ ومِنْهُ ما هُوَ مبَاحٌ واللهُ أعْلَم(٢).



---

(١) زاد المعاد: ٣/ ١٣٨ – ١٣٩، وانظر: البداية والنهاية: ١٨/ ٩.

(٢) روضة المحبين: ص ١٢٣.



# تَفْسيرُهُ لبَعْضِ الآيَاتِ

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى** ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

**قال ابن القيم:**

وَالْقَوْلَانِ مُرَتَّبَانِ عَلَى الْقَوْلَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] فَإِنَّ فِيهَا قَوْلَانِ.

**أَحَدُهُمَا:** يُحِبُّونَهُمْ كَمَا يُحِبُّونَ اللهَ. فَيَكُونُ قَدْ أَثْبَتَ لَهُمْ مَحَبَّةَ اللهِ. وَلَكِنَّهَا مَحَبَّةٌ يُشْرِكُونَ فِيهَا مَعَ اللهِ أَنْدَادًا.

**وَالثَّانِي:** أَنَّ الْمَعْنَى يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَمَا يُحِبُّ الْمُؤْمِنُونَ اللهَ. ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ أَشَدُّ مِنْ مَحَبَّةِ أَصْحَابِ الْأَنْدَادِ لِأَنْدَادِهِمْ.

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُرَجِّحُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ، وَيَقُولُ:

إِنَّمَا ذُمُّوا بِأَنْ أَشْرَكُوا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَنْدَادِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ، وَلَمْ يُخْلِصُوهَا لِلَّهِ كَمَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ(١).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [الفجر:١٥].

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ -:

(١) مدارج السالكين: ٣/ ٢١.

وَالْفَقْرُ وَالْغِنَى ابْتِلَاءٌ مِنَ اللهِ لِعَبْدِهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر:١٥-١٧] أَيْ: لَيْسَ كُلُّ مَنْ وَسَّعْتُ عَلَيْهِ وَأَعْطَيْتُهُ: أَكُونُ قَدْ أَكْرَمْتُهُ، وَلَا كُلُّ مَنْ ضَيَّقْتُ عَلَيْهِ وَقَتَّرْتُ: أَكُونُ قَدْ أَهَنْتُهُ، فَالْإِكْرَامُ: أَنْ يُكْرِمَ اللهُ الْعَبْدَ بِطَاعَتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ. وَالْإِهَانَةُ: أَنْ يَسْلُبَهُ ذَلِكَ.

قَالَ - يَعْنِي ابْنَ تَيْمِيَّةَ -:

وَلَا يَقَعُ التَّفَاضُلُ بِالْغِنَى وَالْفَقْرِ، بَلْ بِالتَّقْوَى، فَإِنِ اسْتَوَيَا فِي التَّقْوَى اسْتَوَيَا فِي الدَّرَجَةِ. سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ(١).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧].

**قال ابن القيم:**

وَجَرَتْ عَادَةُ الْقَوْمِ: أَنْ يَذْكُرُوا فِي هَذَا الْمَقَامِ قَوْلَهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، حِينَ أَرَاهُ مَا أَرَاهُ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧].

وَأَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ صَدَّرَ بَابَ الْأَدَبِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ.

وَكَأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ: إِنَّ هَذَا وَصْفٌ لِأَدَبِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، إِذْ لَمْ يَلْتَفِتْ جَانِبًا، وَلَا تَجَاوَزَ مَا رَآهُ، وَهَذَا كَمَالُ الْأَدَبِ. وَالْإِخْلَالُ بِهِ: أَنْ يَلْتَفِتَ النَّاظِرُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، أَوْ يَتَطَلَّعَ أَمَامَ الْمَنْظُورِ. فَالِالْتِفَاتُ زَيْغٌ، وَالتَّطَلُّعُ إِلَى مَا أَمَامَ الْمَنْظُورِ: طُغْيَانٌ وَمُجَاوَزَةٌ، فَكَمَالُ إِقْبَالِ النَّاظِرِ عَلَى الْمَنْظُورِ: أَنْ لَا يَصْرِفَ بَصَرَهُ عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، وَلَا يَتَجَاوَزَهُ.

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٤١٣.

هَذَا مَعْنَى مَا حَصَّلْتُهُ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ -(١).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

**قال ابن القيم:**

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ.

ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤](٢).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

**قال ابن القيم:**

وَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] تَدْفَعُ الرِّيَاءَ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] تَدْفَعُ الْكِبْرِيَاءَ(٣).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢].

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٣٦١.
(٢) مدارج السالكين: ٢/ ١٥٣.
(٣) مدارج السالكين: ١/ ٧٨.

قال ابن القيم:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢].

فَقِيلَ: لَابْتَغَوُا السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِالْمُغَالَبَةِ وَالْقَهْرِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُلُوكُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون:٩١].

قَالَ شَيْخُنَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَعْنَى: لَابْتَغَوْا إِلَيْهِ سَبِيلًا بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَطَاعَتِهِ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ؟ وَهُمْ لَوْ كَانُوا آلِهَةً كَمَا يَقُولُونَ لَكَانُوا عَبِيدًا لَهُ، قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا وُجُوهٌ:

مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧].

أَيْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِي هُمْ عِبَادِي كَمَا أَنْتُمْ عِبَادِي، وَيَرْجُونَ رَحْمَتِي وَيَخَافُونَ عَذَابِي، فَلِمَاذَا تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِي؟

الثَّانِي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقُلْ لَابْتَغَوْا عَلَيْهِ سَبِيلًا، بَلْ قَالَ: لَابْتَغَوْا إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَهَذَا اللَّفْظُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي التَّقَرُّبِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥] (١).

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢]

(١) الداء والدواء: ص ٢٠٣.



۞ **قوله تعالى:** ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢].

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْله تَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢].

فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اسْتِشْهَادَ امْرَأَتَيْنِ مَكَانَ رَجُلٍ إِنَّمَا هُوَ لِإِذْكَارِ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى إِذَا ضَلَّتْ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِيمَا يَكُونُ فِيهِ الضَّلَالُ فِي الْعَادَةِ، وَهُوَ النِّسْيَانُ وَعَدَمُ الضَّبْطِ.

وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ:

«**وَأَمَّا نُقْصَانُ عَقْلِهِنَّ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ**»، فَبَيَّنَ أَنَّ شَطْرَ شَهَادَتِهِنَّ إِنَّمَا هُوَ لِضَعْفِ الْعَقْلِ لَا لِضَعْفِ الدِّينِ، فَعُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ عَدْلَ النِّسَاءِ بِمَنْزِلَةِ عَدْلِ الرِّجَالِ، وَإِنَّمَا عَقْلُهَا يَنْقُصُ عَنْهُ، فَمَا كَانَ مِنْ الشَّهَادَاتِ لَا يُخَافُ فِيهِ الضَّلَالُ فِي الْعَادَةِ، لَمْ تَكُنْ فِيهِ عَلَى نِصْفِ رَجُلٍ، وَمَا تُقْبَلُ فِيهَا شَهَادَتُهُنَّ مُنْفَرِدَاتٍ، إِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءُ تَرَاهَا بِعَيْنِهَا، أَوْ تَلْمِسُهَا بِيَدِهَا، أَوْ تَسْمَعُهَا بِأُذُنِهَا مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ عَلَى عَقْلٍ، كَالْوِلَادَةِ وَالِاسْتِهْلَالِ، وَالِارْتِضَاعِ، وَالْحَيْضِ، وَالْعُيُوبِ تَحْتَ الثِّيَابِ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُنْسَى فِي الْعَادَةِ وَلَا تَحْتَاجُ مَعْرِفَتُهُ إِلَى إِعْمَالِ الْعَقْلِ، كَمَعَانِي الْأَقْوَالِ الَّتِي تَسْمَعُهَا مِنْ الْإِقْرَارِ بِالدَّيْنِ وَغَيْرِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ مَعَانٍ مَعْقُولَةٌ، وَيَطُولُ الْعَهْدُ بِهَا فِي الْجُمْلَةِ(١).

---

(١) الطرق الحكمية: ص ١٢٨.

❁ **قَوْلُه تَعالَى:** ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩].

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الإِسْلامِ يُقَرِّرُ الاسْتِدْلالَ بالآيَةِ على أَنَّ الْمُصْحَفَ لَا يَمَسُّهُ الْمُحْدِثُ بِوَجْه آخَرَ فقال: هذَا من بابِ التّنبيه والإِشَارَةِ إذَا كانَتْ الصُّحُفُ الّتي في السّمَاءِ لَا يَمَسُّهَا إلّا الْمُطَهَّرُون فكذَلِكَ الصُّحُف التي بأَيْدِينَا من القُرْآنِ لا يَنبَغِي أنْ يَمَسَّهَا إلّا طَاهِرٌ والحَدِيثُ مُشْتَقٌّ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ(١).

❁ ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩] **الصَّحِيحُ فِي الْآيَةِ، أَنَّ الْمُرادَ بِهِ: الصُّحُفُ الَّتي بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: الصَّحِيحُ مِنْهَا: مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ بِإِشَارَتِهِ مِنْ بَابِ قِيَاسِ الْأَوْلَى.

قُلْتُ: مِثالُهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩].

قَالَ: وَالصَّحِيحُ فِي الْآيَةِ، أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: الصُّحُفُ الَّتِي بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ. لِوُجُوهٍ عَدِيدَةٍ.

مِنْهَا: أَنَّهُ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَكْنُونٌ وَالْمَكْنُونُ: الْمَسْتُورُ عَنِ الْعُيُونِ، وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الصُّحُفِ الَّتِي بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ قَالَ ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩] وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَلَوْ أَرَادَ الْمُتَوَضِّئِينَ لَقَالَ: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُتَطَهِّرُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ

(١) التبيان في أقسام القرآن: ص ٢٢٩.



﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] فَالْمَلَائِكَةُ مُطَهَّرُونَ، وَالْمُؤْمِنُونَ مُتَطَهِّرُونَ.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذَا إِخْبَارٌ، وَلَوْ كَانَ نَهْيًا لَقَالَ: لَا يَمْسَسْهُ بِالْجَزْمِ، وَالْأَصْلُ فِي الْخَبَرِ: أَنْ يَكُونَ خَبَرًا صُورَةً وَمَعْنًى.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذَا رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا تَنَالُهُ الشَّيَاطِينُ، وَلَا وُصُولَ لَهَا إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ الشُّعَرَاءِ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء:٢١٠-٢١١] وَإِنَّمَا تَنَالُهُ الْأَرْوَاحُ الْمُطَهَّرَةُ. وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذَا نَظِيرُ الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ عَبَسَ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٢-١٦].

قَالَ مَالِكٌ فِي مُوَطَّئِهِ: أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩] أَنَّهَا مِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ عَبَسَ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ مِنْ سُورَةٍ مَكِّيَّةٍ. تَتَضَمَّنُ تَقْرِيرَ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، وَإِثْبَاتِ الصَّانِعِ، وَالرَّدَّ عَلَى الْكُفَّارِ، وَهَذَا الْمَعْنَى أَلْيَقُ بِالْمَقْصُودِ مِنْ فَرْعٍ عَمَلِيٍّ. وَهُوَ حُكْمُ مَسِّ الْمُحْدِثِ الْمُصْحَفَ(١).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت:٤٥].

**قال ابن القيم:**

وكانَ شَيْخُ الإسْلامِ أبُو العبّاسِ - قدَّسَ الله رُوحَهُ - يقول:

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٣٩٠.

الصَّحِيحُ أنَّ مَعْنَى الآيَةِ أنَّ الصَّلاةَ فيها مَقْصُودَانِ عَظِيمانِ، وأَحَدُهُمَا أعْظَمُ من الآخَرِ: فإنَّها تَنْهى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ، وهِيَ مُشْتَمِلَةٌ على ذِكْرِ اللهِ تَعَالى، ولِمَا فيها مِنْ ذِكْرِ الله أَعْظَمُ مِن نَهْيِها عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ(١).

۞ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٢٧].

**قال ابن القيم:**

﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [السجدة:٢٧] هِيَ أرْضٌ لا يَأْتِيها الْمَطَرُ إنَّمَا يُساقُ إليها الْمَاءُ وقد مَرَرْتُ بها بِلَيْل.

قُلْتُ: وَكَانَ شَيْخُنا أبُو العبَّاس أحمدُ بنُ تيميَّة يقولُ:

هي أرضُ مصرَ وهي أرضُ إيليز لا يَنفَعُها الْمَطَر فلو أُمْطِرَتْ مَطَرَ العَادَةِ لَمْ يَنفَعْها ولم يَرْوِها ولو دَاومَ عليها الْمَطَر لَهَدَم البُيُوتَ وقَطَع الْمَعَايِش فأَمْطَر الله بلادَ الْحَبَشَة والنُّوبَة ثُمّ ساقَ الْمَاء إلَيها(٢).

۞ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠].

**قال ابن القيم:**

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة:٤٠] قال: على أبي بكر، وكان النبي ﷺ قد أُنزلَتْ علَيْه السّكِينَةُ.

قلتُ: وكانَ شيخُنا أبُو العبّاس ابنُ تيمية - قدّس الله رُوحَه - يذْهَبُ إلى خِلافِ هذا ويقولُ:

---

(١) الوابل الصيب: ص ٧٥.

(٢) بدائع الفوائد: ٣/ ١١٠.

الضّميرُ عائدٌ إلى النبيّ ﷺ وإلى صاحِبِه تبعًا له فهُوَ الذِي أُنزلَتْ علَيْه السّكينَة وهو الذِي أيَّده الله بالْجُنُود وسَرَى ذلك إلى صاحِبِه. انتهى (١).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٠].

**قال ابن القيم:**

قَوْلُهُ: "إنَّ الاسْتِثْناء في قولِهِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٠] منقَطِعٌ"، قَدْ قالَهُ أكثرُ النّاس ووَجْههُ أنَّ الظالمِ لا حُجَّة له فاسْتِثْناؤُه مِمّا ذُكِرَ قَبْله مُنقَطِع.

**وسمعتُ شَيْخَ الإسلامِ ابنَ تيْمِيَّة يقول:** ليْسَ الاسْتِثْناء بِمُنقطِع بل هو متَّصلٌ على بابِه، وإنَّمَا أوجَبَ لهم أنْ حَكَموا بانقِطَاعِهِ حيْثُ ظَنُّوا أنَّ الحُجَّة ههنا الْمُرَادُ بها الْحُجَّة الصّحيحَة الحَقّ.

❁ **والْحُجَّةُ في كتاب الله يُرادُ بها نَوْعان:**

أحدُهمَا: الحجّةُ الحَقّ الصّحيحَة كقوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٨٣] وقوله: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

ويُراد بها مطلقُ الاحْتِجَاجِ بِحَقٍّ أو بِبَاطلٍ كقوله: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠] وقوله: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الجاثية: ٢٥] وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الشورى: ١٦].

وإذا كانت الْحُجّة اسْمًا لِمَا يُحتجُّ به من حقٍّ أو باطِلٍ صحَّ استِثْناءُ حُجّة

---

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ١١٢.

الظَّالِمِين من قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠] (١).

❁ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

**قال ابن القيم:**

فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؟

قِيلَ: هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا قَوْلَانِ لِلنَّاسِ.

**أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ قُرْبُهُ بِعِلْمِهِ، وَلِهَذَا قَرَنَهُ بِعِلْمِهِ بِوَسْوَسَةِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ.

وَحَبْلُ الْوَرِيدِ حَبْلُ الْعُنُقِ، وَهُوَ عِرْقٌ بَيْنَ الْحُلْقُومِ وَالْوَدَجَيْنِ الَّذِي مَتَى قُطِعَ مَاتَ صَاحِبُهُ.

وَأَجْزَاءُ الْقَلْبِ وَهَذَا الْحَبْلُ يَحْجُبُ بَعْضَهَا بَعْضًا. وَعِلْمُ اللهِ بِأَسْرَارِ الْعَبْدِ وَمَا فِي ضَمِيرِهِ لَا يَحْجُبُهُ شَيْءٌ.

**وَالْقَوْلُ الثَّانِي:** أَنَّهُ قُرْبُهُ مِنَ الْعَبْدِ بِمَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَلْبِهِ، فَيَكُونُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْعِرْقِ. اخْتَارَهُ شَيْخُنَا.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي قَصَّهُ عَلَيْهِ بِأَمْرِ اللهِ. فَنَسَبَ تَعْلِيمَهُ إِلَيْهِ. إِذْ هُوَ بِأَمْرِهِ، وَكَذَلِكَ جِبْرِيلُ هُوَ الَّذِي قَرَأَهُ عَلَيْهِ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: فَإِذَا قَرَأَهُ رَسُولُنَا فَأَنْصِتْ لِقِرَاءَتِهِ حَتَّى يَقْضِيَهَا.

---

(١) بدائع الفوائد: ٤/ ١٧٣.

قُلْتُ: أَوَّلُ الآيَةِ يَأْبَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ قَالَ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:١٦] قَالَ: وَكَذَلِكَ خَلْقُهُ لِلْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِالْأَسْبَابِ وَتَخْلِيقِ الْمَلَائِكَةِ.

قُلْتُ: وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(١) مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَخْلِيقِ النُّطْفَةِ «**فَيَقُولُ الْمَلَكُ الَّذِي يَخْلُقُهُ: يَا رَبِّ، ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَسَوِيٌّ أَمْ غَيْرُ سَوِيٍّ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ**».

فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْخَالِقُ وَحْدَهُ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فِي التَّخْلِيقِ، فَإِنَّ أَفْعَالَهُمْ وَتَخْلِيقَهُمْ خَلْقٌ لَهُ سُبْحَانَهُ. فَمَا ثَمَّ خَالِقٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ غَيْرُهُ(٢).

**قوله تعالى:** ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣].

**قال ابن القيم:**

وَلِهَذَا لَمَّا قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام:٥٣] أَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣].

**سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ:**

هُمُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ قَدْرَ نِعْمَةِ الْإِيمَانِ، وَيَشْكُرُونَ اللهَ عَلَيْهَا.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَا أَعْطَى إِلَّا بِحِكْمَتِهِ، وَلَا مَنَعَ إِلَّا بِحِكْمَتِهِ، وَلَا أَضَلَّ إِلَّا بِحِكْمَتِهِ(٣).

---

(١) الحديث (٢٦٤٤).

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٢٧٦.

(٣) مدارج السالكين: ٢/ ٤٥٠.

❁ **قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾ [محمد: ٣٠].

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

عَلَّقَ مَعْرِفَتَهُ إِيَّاهُمْ بِالنَّظَرِ عَلَى الْمَشِيئَةِ، وَلَمْ يُعَلِّقْ تَعْرِيفَهُمْ بِلَحْنِ خِطَابِهِمْ عَلَى شَرْطٍ، بَلْ أَخْبَرَ بِهِ خَبَرًا مُؤَكَّدًا بِالْقَسَمِ فَقَالَ: "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ" وَهُوَ تَعْرِيضُ الْخِطَابِ، وَفَحْوَى الْكَلَامِ وَمَغْزَاهُ[1].



(١) مدارج السالكين: ٢/ ٤٥٢.



# مِنْ كلامِهِ في معَانِي الأَحَادِيثِ

❁ **دُعَاءِ: «اللّهُمَّ طَهِّرْني مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ»:**

**قال ابن القيم:**

وسَأَلْتُ شَيْخَ الإسْلَامِ عن مَعْنَى دُعَاءِ النّبي ﷺ: «**اللّهُمَّ طَهِّرْني مِنْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**».

كَيْفَ يُطَهِّر الخَطَايَا بذَلِكَ؟ وما فائِدَةُ التَّخْصِيصِ بذَلِكَ؟ وقَوْلِه في لَفْظٍ آخَرَ «**والْمَاءِ البَارِدِ**» والحَارُّ أَبْلَغُ في الإنقَاءِ؟

فقال: الْخَطَايا تُوجِبُ لِلْقَلْبِ حَرَارَةً ونَجَاسَةً وضَعْفًا، فَيَرْتَخِي القَلْبُ وتَضطَّرِمُ فيه نَارُ الشَّهْوَةِ وتُنَجِّسُهُ، فإنَّ الْخَطَايَا والذُّنُوبَ له بِمَنْزِلَةِ الْحَطَبِ الذِي يَمُدُّ النَّارَ ويُوقِدُها ولهَذَا كلَّمَا كَثُرَتْ الْخَطَايَا اشْتَدَّتْ نَارُ القَلْبِ وَضَعْفُه، والْمَاءُ يَغْسِلُ الْخَبَثَ ويُطْفِئ النّارَ، فإنْ كانَ بارِدًا أَوْرَثَ الْجِسْمَ صَلابَةً وقُوَّةً، فإنْ كانَ مَعَهُ ثَلْجٌ وبَرَدٌ كانَ أَقْوَى في التَّبْرِيدِ وصَلَابَةِ الْجِسْمِ وشِدَّتِهِ، فكانَ أَذْهَبَ لأَثَرِ الخَطَايَا.

هذَا مَعْنَى كلامِهِ، وهُوَ مُحْتَاجٌ إلى مَزِيدِ بَيَانٍ وشَرْحٍ[1].

❁ **قول أمِّ سلَمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعمر: «لَنْ أُبرئَ بَعْدَكَ أَحداً».**

**قال ابن القيم:**

وقال الإمامُ أحْمَدُ: حدّثنا حَجَّاج: حدّثنا شَرِيكٌ عن عاصِمٍ عن أبي وَائِلٍ عن مَسْرُوقٍ، قال: دَخَلَ عبْدُ الرّحمنِ علي أمِّ سلَمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالتْ:

---

(١) إغاثة اللهفان: ١/ ٥٧.

سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ مِنْ أصْحَابي لمَنْ لا يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أَمُوتَ أَبَدا فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحمنِ مِنْ عِنْدِهَا مَذْعُوراً، حَتَّى دَخَلَ عَلَي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ لهُ: اسْمَعْ مَا تَقُولُ أُمُّكَ، فَقَامَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى أَتَاهَا فَدَخَلَ عَلَيهَا فَسَأَلَهَا، ثُمَّ قَالَ: أَنْشُدُكِ بِاللهِ، أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قالَتْ: لا، وَلَنْ أُبَرِئَ بَعْدَكَ أَحَداً».

فَسَمِعْتُ شَيْخَنَا يَقُولُ: إنَّمَا أَرَادَتْ أني لا أَفْتَحُ علَيْها هَذَا البَابَ، ولَمْ تُرِدْ أَنَّك وَحْدَكَ البَرِيءُ مِن ذلكَ دُونَ سائِرِ الصَّحَابَةِ.

ومَقْتُ النَّفْسِ في ذَاتِ اللهِ مِنْ صِفَاتِ الصِّدِّيقينَ، ويدْنُو العَبْدُ به مِنَ الله سُبْحانَه في لَحْظَةٍ واحِدَةٍ أضْعافَ أضْعَافَ مَا يَدْنُو بِهِ بالعَمَلِ(١).

۞ **حديث «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ».**

**قال ابن القيم:**

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ:

لَكِنْ تَدُلُّ الْآيَةَ بِإِشَارَتِهَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَمَسُّ الْمُصْحَفَ إِلَّا طَاهِرٌ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الصُّحُفُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، لِكَرَامَتِهَا عَلَى اللهِ، فَهَذِهِ الصُّحُفُ أَوْلَى أَنْ لَا يَمَسَّهَا إِلَّا طَاهِرٌ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**»:

إِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ الْمَخْلُوقُونَ يَمْنَعُهَا الْكَلْبُ وَالصُّورَةُ عَنْ دُخُولِ الْبَيْتِ، فَكَيْفَ تَلِجُ مَعْرِفَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَحَبَّتُهُ وَحَلَاوَةُ ذِكْرِهِ، وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ، فِي قَلْبٍ مُمْتَلِئٍ بِكِلَابِ الشَّهَوَاتِ وَصُوَرِهَا؟

فَهَذَا مِنْ إِشَارَةِ اللَّفْظِ الصَّحِيحَةِ(٢).

(١) إغاثة اللهفان: ١/ ٨٧.

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٣٩١.

# من كلامِهِ في الأَحْكَام الفِقْهِيّة

## الطهارة:

### مَسُّ الْمُحْدِثُ للْمُصْحَف.

قال ابن القيم:

وسَمِعْتُ شَيْخَ الإسْلَامِ يُقَرِّرُ الاسْتِدْلالَ بالآيَةِ على أنَّ الْمُصْحَفَ لا يَمَسُّه الْمُحْدِثُ بوَجْهٍ آخَرَ فقالَ:

هَذَا مِنْ بابِ التَّنْبِيهِ والإشَارَةِ إذا كانَتِ الصُّحُفُ التي في السّمَاءِ لا يَمَسُّها إلا الْمُطَهَّرون فكَذَلِك الصُّحُفُ التي بأَيْدِينا من القُرْآن لا ينبَغِي أنْ يَمَسّها إلّا طاهِرٌ والحَدِيثُ مُشْتَقٌّ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ[1].

وقال ابن القيم:

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ:

لَكِنْ تَدُلُّ الْآيَةَ بِإِشَارَتِها عَلَى أَنَّهُ لَا يَمَسُّ الْمُصْحَفَ إِلَّا طَاهِرٌ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الصُّحُفُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهِّرُونَ، لِكَرَامَتِهَا عَلَى اللهِ، فَهَذِهِ الصُّحُفُ أَوْلَى أَنْ لَا يَمَسَّهَا إِلَّا طَاهِرٌ.

وَسَمِعَتْهُ يَقُولُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«لا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»**[2]:

---

(١) التبيان في أقسام القرآن: ص ٢٢٩.

(٢) صحيح البخاري: (٣٢٢٥) وصحيح مسلم: (٢١٠٦).

إِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ الْمَخْلُوقُونَ يَمْنَعُهَا الْكَلْبُ وَالصُّورَةُ عَنْ دُخُولِ الْبَيْتِ، فَكَيْفَ تَلِجُ مَعْرِفَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَحَبَّتُهُ وَحَلَاوَةُ ذِكْرِهِ، وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ، فِي قَلْبٍ مُمْتَلِئٍ بِكِلَابِ الشَّهَوَاتِ وَصُوَرِهَا؟

فَهَذَا مِنْ إِشَارَةِ اللَّفْظِ الصَّحِيحَةِ(١).

❁ **خِتَانُ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ.**

**قال ابن القيم:**

قَالَ مَكْحُولٌ: خَتَنَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ إِسْحَاقَ لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَخَتَنَ إِسْمَاعِيلَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ذَكَرَهُ الخلال.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية: فَصَارَ خِتَانُ إِسْحَاقَ سُنَّةً فِي وَلَدِهِ، وَخِتَانُ إِسْمَاعِيلَ سُنَّةً فِي وَلَده(٢).

**وقال ابن القيم:**

وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّفُ ضِدَّ حَالِهِ الَّتِي عَلَيْهَا قَدَمَاهُ، بَلْ إِنْ كَانَتَا فِي الْخُفِّ مَسَحَ عَلَيْهِمَا وَلَمْ يَنْزِعْهُمَا، وَإِنْ كَانَتَا مَكْشُوفَتَيْنِ غَسَلَ الْقَدَمَيْنِ وَلَمْ يَلْبَسِ الْخُفَّ لِيَمْسَحَ عَلَيْهِ.

وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ فِي مَسْأَلَةِ الْأَفْضَلِ مِنَ الْمَسْحِ وَالْغَسْلِ، قَالَهُ شَيْخُنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ(٣).

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٣٩١.

(٢) زاد المعاد: ٢/ ٣٠٤.

(٣) زاد المعاد: ١/ ١٩٢.



## ۞ اجْتنَابُ النَّجَاسَة من بابِ الْمَحْظُوراتِ.

**قال ابن القيم:**

قال شيخنا: اجْتِنَابُ النَّجَاسَة من بابِ الْمَحْظُوراتِ، فإذَا تَحَرَّى وغلَبَ على ظَنِّه طَهَارَةِ ثَوْبٍ منها فصَلَّى فِيهِ، لَمْ يَحْكُم ببُطْلانِ صَلاَتِه بالشَّكِّ، فإنَّ الأَصْل عَدَمُ النَّجَاسَةِ، وقدْ شَكَّ فِيها في هَذَا الثَّوْبِ، فيُصَلِّي فِيهِ، كَمَا لَو اسْتَعارَ ثَوْبـًا أو اشْتَرَاه ولا يَعْلَمُ حَالَهُ(١).

## ۞ لَيْسَ لِلنِّسَاءِ فِي الْحَيْضِ عَادَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ.

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا: وَلَيْسَ لِلنِّسَاءِ فِي ذَلِكَ عَادَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ بَلْ فِيهِنَّ مَنْ لَا تَحِيضُ وَإِنْ بَلَغَتْ وَفِيهِنَّ مَنْ تَحِيضُ حَيْضًا يَسِيرًا يَتَبَاعَدُ مَا بَيْنَ أَقْرَائِهَا حَتَّى تَحِيضَ فِي السَّنَةِ مَرَّةً، وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ الطُّهْرِ بَيْنَ الْحَيْضَتَيْنِ لَا حَدَّ لَهُ، وَغَالِبُ النِّسَاءِ يَحِضْنَ كُلَّ شَهْرٍ مَرَّةً وَيَحِضْنَ رُبُعَ الشَّهْرِ وَيَكُونُ طُهْرُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ.

وَمِنْهُنَّ مَنْ تَطْهُرُ الشُّهُورَ الْمُتَعَدِّدَةَ لِقِلَّةِ رُطُوبَتِهَا.

وَمِنْهُنَّ مَنْ يُسْرِعُ إِلَيْهَا الْجَفَافُ فَيَنْقَطِعُ حَيْضُهَا وَتَيْأَسُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ لَهَا دُونَ الْخَمْسِينَ بَلْ وَالْأَرْبَعِينَ.

وَمِنْهُنَّ مَنْ لَا يُسْرِعُ إِلَيْهَا الْجَفَافُ فَتُجَاوِزُ الْخَمْسِينَ وَهِيَ تَحِيضُ.

قَالَ: وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَلَا السُّنَّةِ تَحْدِيدُ الْيَأْسِ بِوَقْتٍ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْآيِسَةِ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ لَهَا خَمْسُونَ سَنَةً، أَوْ سِتُّونَ سَنَةً، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ لَقِيلَ: وَاللَّائِي يَبْلُغْنَ مِنَ السِّنِّ كَذَا وَكَذَا، وَلَمْ يَقُلْ: يَئِسْنَ(٢).

---

(١) إغاثة اللهفان: ١/ ١٧٦.

(٢) زاد المعاد: ٥/ ٥٨٧ – ٥٨٨.



# الصَّلاةُ

۞ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

**مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ فِي الصَّلَاةِ فَائِدَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ:**

**إِحْدَاهُمَا:** نَهْيُهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

**وَالثَّانِيَةُ:** اشْتِمَالُهَا عَلَى ذِكْرِ اللهِ وَتَضَمُّنِهَا لَهُ وَلَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ نَهْيِهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ[1] .

۞ **الزِّينةُ في الصَّلاةِ.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

أَمَرَ اللهُ بِقَدْرٍ زَائِدٍ عَلَى سَتْرِ الْعَوْرَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ أَخْذُ الزِّينَةِ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١] فَعَلَّقَ الْأَمْرَ بِأَخْذِ الزِّينَةِ، لَا بِسَتْرِ الْعَوْرَةِ، إِيذَانًا بِأَنَّ الْعَبْدَ يَنْبَغِي لَهُ: أَنْ يَلْبَسَ أَزْيَنَ ثِيَابِهِ، وَأَجْمَلَهَا فِي الصَّلَاةِ[2] .

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٣٩٨.

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٣٦٣.



## ۞ صَلاةُ الْمُنْفَرِدِ خَلْفَ الصَّفِّ.

**قال ابن القيم:**

وسمعْتُ شيْخُ الإسْلام ابن تيميّة – قدَّس الله رُوحَه – يُنكِرُه أيضًا ويقولُ: يُصلِّي خَلْفَ الصَّفِّ فذًّا ولا يجذِبُ غيرُه.

قال: وتَصِحُّ صلاتُه في هذِهِ الحَالَة فذًّا لأَنَّ غَايَةَ الْمَصَافة أنْ تكونَ واجِبَة فَتَسْقُطُ بالعُذْرِ(١).

## ۞ نهيُ الْمُصَلِّيَ: «أَنْ يَرْفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ».

**قال ابن القيم:**

وَمِنَ الْأَدَبِ: نَهْيُ النَّبِيِّ ﷺ الْمُصَلِّيَ: «**أَنْ يَرْفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ**».

فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ – قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ – يَقُولُ:

هَذَا مِنْ كَمَالِ أَدَبِ الصَّلَاةِ: أَنْ يَقِفَ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ مُطْرِقًا، خَافِضًا طَرْفَهُ إِلَى الْأَرْضِ. وَلَا يَرْفَعَ بَصَرَهُ إِلَى فَوْقٍ.

قَالَ: وَالْجَهْمِيَّةُ – لَمَّا لَمْ يَفْقَهُوا هَذَا الْأَدَبَ، وَلَا عَرَفُوهُ – ظَنُّوا أَنَّ هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ اللهَ لَيْسَ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ. كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهِ رُسُلُهُ وَجَمِيعُ أَهْلِ السُّنَّةِ.

قَالَ: وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِمْ، بَلْ هَذَا دَلِيلٌ لِمَنْ عَقَلَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى نَقِيضِ قَوْلِهِمْ؛ إِذْ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ الْمُلُوكِ: أَنَّ الْوَاقِفَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَطْرُقُ إِلَى الْأَرْضِ. وَلَا يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَيْهِمْ. فَمَا الظَّنُّ بِمَلِكِ الْمُلُوكِ سُبْحَانَهُ؟

---

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ٨٧.

**﴿ نَهْيُ الْمُصَلِّي عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُود.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ - فِي نَهْيِهِ ﷺ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ -:

إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ أَشْرَفُ الْكَلَامِ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ. وَحَالَتَا الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ حَالَتَا ذُلٍّ وَانْخِفَاضٍ مِنَ الْعَبْدِ.

فَمِنَ الْأَدَبِ مَعَ كَلَامِ اللهِ: أَنْ لَا يُقْرَأَ فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ، وَيَكُونَ حَالُ الْقِيَامِ وَالِانْتِصَابِ أَوْلَى بِهِ[1].

**﴿ مَوضِعُ دُعاءِ «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبادَتِكَ».**

**قال ابن القيم:**

وَأَوْصَى معاذا أَنْ يَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

وَدُبُرُ الصَّلَاةِ يَحْتَمِلُ قَبْلَ السَّلَامِ وَبَعْدَهُ، وَكَانَ شَيْخُنَا يُرَجِّحُ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ السَّلَامِ، فَرَاجَعْتُهُ فِيهِ، فَقَالَ: دُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ، كَدُبُرِ الْحَيَوَانِ[2].

**﴿ حديث "كَانَ ﷺ يُصَلِّي فِي النَّهارِ ستَّ عَشْرَةَ رَكْعَةً".**

**قال ابن القيم:**

وَأَمَّا الْأَرْبَعُ قَبْلَ الْعَصْرِ، فَلَمْ يَصِحَّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي فِعْلِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَدِيثُ عاصم بن ضمرة عَنْ عليٍّ... الْحَدِيثَ الطَّوِيلَ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُصَلِّي فِي النَّهَارِ سِتَّ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا كَهَيْئَتِهَا مِنْ هَاهُنَا لِصَلَاةِ الظُّهْرِ

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٣٦٤.

(٢) زاد المعاد: ١/ ٢٩٥.

أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَكَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَبَعْدَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ، وَقَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ(١).

وَفِي لَفْظٍ: كَانَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا كَهَيْئَتِهَا مِنْ هَاهُنَا عِنْدَ الْعَصْرِ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَإِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا كَهَيْئَتِهَا مِنْ هَاهُنَا عِنْدَ الظُّهْرِ، صَلَّى أَرْبَعًا، وَيُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَقَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا، وَيَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ"(٢).

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يُنْكِرُ هَذَا الْحَدِيثَ وَيَدْفَعُهُ جِدًّا، وَيَقُولُ: إِنَّهُ مَوْضُوعٌ(٣).

### ۞ أَيُّ الصَّلَاتَيْنِ آكَدُ: سُنَّةُ الْفَجْرِ أَوِ الْوِتْرُ؟

**قال ابن القيم:**

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ: أَيُّ الصَّلَاتَيْنِ آكَدُ سُنَّةُ الْفَجْرِ أَوِ الْوِتْرُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَلَا يُمْكِنُ التَّرْجِيحُ بِاخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ فِي وُجُوبِ الْوِتْرِ، فَقَدِ اخْتَلَفُوا أَيْضًا فِي وُجُوبِ سُنَّةِ الْفَجْرِ، وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ:

سُنَّةُ الْفَجْرِ تَجْرِي مَجْرَى بِدَايَةِ الْعَمَلِ، وَالْوِتْرُ خَاتِمَتُهُ. وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي سُنَّةَ الْفَجْرِ وَالْوِتْرَ بِسُورَتَي الْإِخْلَاصِ وَهُمَا الْجَامِعَتَانِ لِتَوْحِيدِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَتَوْحِيدِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَتَوْحِيدِ الِاعْتِقَادِ وَالْقَصْدِ، انْتَهَى(٤).

---

(١) جامع الترمذي: (٤٢٤، ٤٢٩) والنسائي: ٢/ ١٢٠ (٨٧٥) وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ اهـ.

(٢) ابن ماجه: (١١٦١) وأحمد: ١/ ٨٥.

(٣) زاد المعاد: ١/ ٣٠١.

(٤) زاد المعاد: ١/ ٣٠٦.

❁ لَا يُقْضَى الْوِتْرُ لِفَوَاتِ مَحَلِّهِ.

قال ابن القيم:

فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ:

فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْوِتْرَ لَا يُقْضَى لِفَوَاتِ مَحَلِّهِ، فَهُوَ كَتَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ، وَصَلَاةِ الْكُسُوفِ وَالِاسْتِسْقَاءِ وَنَحْوِهَا، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ أَنْ يَكُونَ آخِرُ صَلَاةِ اللَّيْلِ وِتْرًا، كَمَا أَنَّ الْمَغْرِبَ آخِرُ صَلَاةِ النَّهَارِ، فَإِذَا انْقَضَى اللَّيْلُ وَصَلَّيْتَ الصُّبْحَ، لَمْ يَقَعِ الْوِتْرُ مَوْقِعَهُ. هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ(١).

❁ حَدِيثُ نُعَيْمِ بنِ همَّار: «ابْنَ آدَمَ لَا تَعْجِزْ لِي عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، أَكْفِكَ آخِرَهُ».

قال ابن القيم:

وَأَمَّا حَدِيثُ نُعَيْمِ بنِ همَّار: «ابْنَ آدَمَ لَا تَعْجِزْ لِي عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، أَكْفِكَ آخِرَهُ»(٢)، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وأبي ذر(٣)، فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: هَذِهِ الْأَرْبَعُ عِنْدِي هِيَ الْفَجْرُ وَسُنَّتُهَا(٤).

❁ الْحِكْمَةُ مِن قِرَاءَةِ السَّجْدَةِ والإنسَانِ فِي فَجْرِ الْجُمُعَةِ.

قال ابن القيم:

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ:

إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي فَجْرِ الْجُمُعَةِ؛ لِأَنَّهُمَا تَضَمَّنَتَا مَا كَانَ

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٣١٣.

(٢) سنن أبي داود: (١٢٨٩)

(٣) جامع الترمذي: (٤٧٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ اهـ.

(٤) زاد المعاد: ١/ ٣٤٨.

وَيَكُونُ فِي يَوْمِهَا، فَإِنَّهُمَا اشْتَمَلَتَا عَلَى خَلْقِ آدَمَ، وَعَلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ وَحَشْرِ الْعِبَادِ، وَذَلِكَ يَكُونُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ فِي قِرَاءَتِهِمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ تَذْكِيرٌ لِلْأُمَّةِ بِمَا كَانَ فِيهِ وَيَكُونُ، وَالسَّجْدَةُ جَاءَتْ تَبَعًا لَيْسَتْ مَقْصُودَةً حَتَّى يَقْصِدَ الْمُصَلِّي قِرَاءَتَهَا حَيْثُ اتَّفَقَتْ. فَهَذِهِ خَاصَّةٌ مِنْ خَوَاصِّ يَوْمِ الْجُمُعَةِ[١].

**يَوْمُ الْجُمُعَةِ لا يُكْرَهُ فِعْلُ الصَّلَاةِ فِيهِ وَقْتَ الزَّوَالِ.**

**قال ابن القيم:**

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ[٢]: إِنَّهُ لَا يُكْرَهُ فِعْلُ الصَّلَاةِ فِيهِ وَقْتَ الزَّوَالِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَمَنْ وَافَقَهُ.

وَهُوَ اخْتِيَارُ شَيْخِنَا أبي العباس ابن تيمية، وَلَمْ يَكُنِ اعْتِمَادُهُ عَلَى حَدِيثِ ليث عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أبي الخليل عَنْ أبي قتادة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَرِهَ الصَّلَاةَ نِصْفَ النَّهَارِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَالَ: «**إِنَّ جَهَنَّمَ تُسَجَّرُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ**».

وَإِنَّمَا كَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَى أَنَّ مَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ حَتَّى يَخْرُجَ الْإِمَامُ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «**لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[٣].

فَنَدَبَهُ إِلَى الصَّلَاةِ مَا كُتِبَ لَهُ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ عَنْهَا إِلَّا فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْإِمَامِ، وَلِهَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَتَبِعَهُ عَلَيْهِ الْإِمَامُ

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٣٦٤.
(٢) أي: مِن خَصَائصِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.
(٣) صحيح البخاري: (٨٨٣).

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: خُرُوجُ الإِمَامِ يَمْنَعُ الصَّلَاةَ وَخُطْبَتُهُ تَمْنَعُ الْكَلَامَ، فَجَعَلُوا الْمَانِعَ مِنَ الصَّلَاةِ خُرُوجَ الْإِمَامِ لَا انْتِصَافَ النَّهَارِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ فِي الْمَسْجِدِ تَحْتَ السُّقُوفِ، وَلَا يَشْعُرُونَ بِوَقْتِ الزَّوَالِ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ مُتَشَاغِلًا بِالصَّلَاةِ لَا يَدْرِي بِوَقْتِ الزَّوَالِ، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَخْرُجَ، وَيَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، وَيَنْظُرَ إِلَى الشَّمْسِ وَيَرْجِعَ، وَلَا يُشْرَعُ لَهُ ذَلِكَ[1].

## ۞ الصَّدَقَةُ عِندَ الخُرُوجِ إِلَى الْجُمُعَةِ.

**قال ابن القيم:**

وَشَاهَدْتُ شَيْخَ الْإِسْلَام ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - إِذَا خَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ يَأْخُذُ مَا وَجَدَ فِي الْبَيْتِ مِنْ خُبْزٍ أَوْ غَيْرِهِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فِي طَرِيقِهِ سِرًّا، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:

إِذَا كَانَ اللهُ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدَيْ مُنَاجَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَالصَّدَقَةُ بَيْنَ يَدَيْ مُنَاجَاتِهِ تَعَالَى أَفْضَلُ وَأَوْلَى بِالْفَضِيلَةِ[2].

## ۞ حديث "أَصَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ؟".

**قال ابن القيم:**

وَمِنْهُمْ مَنِ احْتَجَّ بِمَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي " سُنَنِهِ "[3] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وجابر، قَالَ: جَاءَ سُلَيْكٌ الغطفاني وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ لَهُ: «**أَصَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ**

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٣٦٧.

(٢) زاد المعاد: ١/ ٣٩٥.

(٣) الحديث (١١١٤).

تَجِيءَ؟» قَالَ لَا. قَالَ: «**فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا**». وَإِسْنَادُهُ ثِقَاتٌ.

قَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ:

وَقَوْلُهُ: «**قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ**» يَدُلُّ عَنْ أَنَّ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ سُنَّةُ الْجُمُعَةِ وَلَيْسَتَا تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ.

قَالَ: شَيْخُنَا حَفِيدُهُ أبو العبَّاسِ: وَهَذَا غَلَطٌ، وَالْحَدِيثُ الْمَعْرُوفُ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ جابر، قَالَ:

دَخَلَ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ: «**أَصَلَّيْتَ قَالَ: لا، قَالَ: فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ**».

وَقَالَ: «**إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا**».

فَهَذَا هُوَ الْمَحْفُوظُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَأَفْرَادُ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْغَالِبِ غَيْرُ صَحِيحَةٍ، هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ[1].

**۞ حديث «أَمَّا النَّارُ فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا» حَدِيثٌ مَقْلُوبٌ.**

**قال ابن القيم:**

قُلْتُ: وَنَظِيرُ هَذَا مَا قَالَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «**لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَزْوِي بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطْ قَطْ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ: فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا خَلْقًا**»[2] فَانْقَلَبَ عَلَى

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٤١٩.

(٢) صحيح البخاري: (٧٣٨٤) وهو عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ثبت عن أبي هريرة لكن ليس

بَعْضِ الرُّوَاةِ، فَقَالَ: «أَمَّا النَّارُ فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا خَلْقًا»(١) (٢).

**❁ سُنَّةُ الْجُمْعَة: إنْ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِنْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ.**

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا أبو العباس ابن تيمية:

إِنْ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِنْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ.

قُلْتُ: وَعَلَى هَذَا تَدُلُّ الْأَحَادِيثُ، وَقَدْ ذَكَرَ أبو داود، عَنِ ابْنِ عُمَرَ «**أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِذَا صَلَّى فِي بَيْتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ**»(٣).

وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ.

وَفِي صَحِيحِ مسلم(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ**». وَاللهُ أَعْلَمُ(٥).

---

(١) رواه البخاري (٧٤٤٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ: - يَعْنِي - أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الجَنَّةُ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلاَثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ**».

(٢) زاد المعاد: ١/ ٤٢٣ - ٤٢٤، وانظر تفصيل ذلك في فتح الباري: ١٣/ ٤٦٦.

(٣) سنن أبي داود: (١١٣٠) وإسناده صحيح.

(٤) (٨٨١).

(٥) زاد المعاد: ١/ ٤٢٥.



## من أفْعَالِ أُمراءِ بَنِي أُميَّةَ التي أَحْدَثُوهَا فِي الصَّلَاةِ.

**قال ابن القيم:**

وَأَمَّا حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: كَانَ رُكُوعُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسُجُودُهُ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مَا خَلَا الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

فَقَدْ تَشَبَّثَ بِهِ مَنْ ظَنَّ تَقْصِيرَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ وَلَا مُتَعَلَّقَ لَهُ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ مُصَرِّحٌ فِيهِ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْأَرْكَانِ، فَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ وَالْقُعُودُ الْمُسْتَثْنَيَيْنِ هُوَ الْقِيَامَ بَعْدَ الرُّكُوعِ وَالْقُعُودِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ لَنَاقَضَ الْحَدِيثُ الْوَاحِدُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَتَعَيَّنَ قَطْعًا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ قِيَامَ الْقِرَاءَةِ وَقُعُودَ التَّشَهُّدِ، وَلِهَذَا كَانَ هَدْيُهُ ﷺ فِيهِمَا إِطَالَتَهُمَا عَلَى سَائِرِ الْأَرْكَانِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، وَهَذَا بِحَمْدِ اللهِ وَاضِحٌ، وَهُوَ مِمَّا خَفِيَ مِنْ هَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صِلَاتِهِ عَلَى مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ.

**قَالَ شَيْخُنَا:**

وَتَقْصِيرُ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ مِمَّا تَصَرَّفَ فِيهِ أُمَرَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الصَّلَاةِ وَأَحْدَثُوهُ فِيهَا، كَمَا أَحْدَثُوا فِيهَا تَرْكَ إِتْمَامِ التَّكْبِيرِ، وَكَمَا أَحْدَثُوا التَّأْخِيرَ الشَّدِيدَ، وَكَمَا أَحْدَثُوا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُخَالِفُ هَدْيَهُ ﷺ، وَرُبِّيَ فِي ذَلِكَ مَنْ رُبِّيَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنَ السُّنَّةِ(٢).

---

(١) صحيح البخاري: (٧٩٢).

(٢) زاد المعاد: ١/ ٢١٤ – ٢١٥.

**۞ الْقِيَامُ أَفْضَلُ بِذِكْرِهِ، وَالسُّجُودُ أَفْضَلُ بِهَيْئَتِهِ.**

**قال ابن القيم:**

وَقَالَ شَيْخُنَا: الصَّوَابُ أَنَّهُمَا[١] سَوَاءٌ، وَالْقِيَامُ أَفْضَلُ بِذِكْرِهِ وَهُوَ الْقِرَاءَةُ، وَالسُّجُودُ أَفْضَلُ بِهَيْئَتِهِ، فَهَيْئَةُ السُّجُودِ أَفْضَلُ مِنْ هَيْئَةِ الْقِيَامِ، وَذِكْرُ الْقِيَامِ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِ السُّجُودِ.

وَهَكَذَا كَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا أَطَالَ الْقِيَامَ أَطَالَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، كَمَا فَعَلَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ، وَفِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَكَانَ إِذَا خَفَّفَ الْقِيَامَ خَفَّفَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ فِي الْفَرْضِ، كَمَا قَالَهُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: كَانَ قِيَامُهُ وَرُكُوعُهُ وَسُجُودُهُ وَاعْتِدَالُهُ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٢].

**۞ اخْتَلَفَ العُلَماءُ هلْ قوْلُهُ: «مَنْ صلَّى قاعِدًا» في الفَرْضِ أو النَّفْلِ؟**

**قال ابن القيم:**

اخْتَلَفَ العُلَماءُ هلْ قوْلُهُ: «**مَنْ صلَّى قاعِدًا**» في الفَرْضِ أو النَّفْلِ؟

فقالتْ طائِفَةٌ: هذَا في الفَرْضِ وهُوَ قَوْلُ كَثِيرٍ من الْمُحَدِّثِينَ واخْتِيَارُ شَيْخِنَا فوَرَدَ على هذَا أنَّ مَنْ صلّى الفَرْضَ قاعِدًا مع قُدْرتِه على القِيَامِ فَصلَاتُه باطِلَةٌ وإِنْ كانَ مَعَ عَجْزِهِ فأَجْرُ القَاعِدِ مُسَاوٍ لأَجْرِ القَائِم لِقَوْله ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أو سَافَرَ كُتِبَ لَهُ ما كانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا**».

**فقال لي شيخُنَا:**

وَضْعُ صلاةِ القَاعِدِ على النِّصْفِ مُطْلَقًا وإِنَّمَا كَمُلَ الأجْرُ بالنِّيّة لِلْعَجْزِ[٣].

---

(١) وهو اخْتِلَافُ النَّاسُ فِي الْقِيَامِ وَالسُّجُودِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

(٢) زاد المعاد: ١/ ٢٣٠.

(٣) بدائع الفوائد: ٤/ ٢١٠.



# الْجَنَائِز

۞ صَلَاةُ الْغَائِبِ.

قال ابن القيم:

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ:

الصَّوَابُ أَنَّ الْغَائِبَ إِنْ مَاتَ بِبَلَدٍ لَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِ فِيهِ، صُلِّيَ عَلَيْهِ صَلَاةَ الْغَائِبِ، كَمَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى النَّجَاشِيِّ، لِأَنَّهُ مَاتَ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِ، وَإِنْ صُلِّيَ عَلَيْهِ حَيْثُ مَاتَ، لَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِ صَلَاةَ الْغَائِبِ؛ لِأَنَّ الْفَرْضَ قَدْ سَقَطَ بِصَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ صَلَّى عَلَى الْغَائِبِ، وَتَرَكَهُ، وَفِعْلُهُ وَتَرْكُهُ سُنَّةٌ، وَهَذَا لَهُ مَوْضِعٌ، وَهَذَا لَهُ مَوْضِعٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

۞ قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ فِي صَلَاةِ الْجِنَازَةِ سُنَّةٌ.

قال ابن القيم:

قَالَ شَيْخُنَا: لَا تَجِبُ قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ فِي صَلَاةِ الْجِنَازَةِ، بَلْ هِيَ سُنَّةٌ(٢).

۞ معنى حديث «إِذَا تَبِعْتُمُ الْجِنَازَةَ فَلَا تَجْلِسُوا حَتَّى تُوضَعَ».

قال ابن القيم:

وَكَانَ إِذَا تَبِعَهَا لَمْ يَجْلِسْ حَتَّى تُوضَعَ، وَقَالَ: «**إِذَا تَبِعْتُمُ الْجِنَازَةَ فَلَا تَجْلِسُوا**

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٥٠١.

(٢) زاد المعاد: ١/ ٤٨٦.



حَتَّى تُوضَعَ»(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْمُرَادُ وَضْعُهَا بِالْأَرْضِ(٢).

**۞ صلاةُ الْجَنَائِزِ عَلَى مَنْ يُشْكِلُ حَالُه، هَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ أَوْ مُنَافِقٌ؟**

**قال ابن القيم:**

وَقَالَ شَيْخُنَا: كَانَ يُشْكِلُ عَلَيَّ أَحْيَانًا حَالُ مَنْ أُصَلِّي عَلَيْهِ الْجَنَائِزَ، هَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ أَوْ مُنَافِقٌ؟ فَرَأَيْت رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ فَسَأَلْته عَنْ مَسَائِلَ عَدِيدَةٍ مِنْهَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ الشَّرْطَ الشَّرْطَ، أَوْ قَالَ: عَلِّقْ الدُّعَاءَ بِالشَّرْطِ(٣).



(١) صحيح البخاري: (١٣١٠) ومسلم (٩٥٩).

(٢) زاد المعاد: ١/ ٤٩٩.

(٣) إعلام الموقعين: ٣/ ٣٠٠.



# كلامُهُ عن القُبُور

## ۞ العِلَّةُ الّتي لأَجْلِها نَهَى الشّارِعُ عن اتِّخَاذِ الْمَساجِدِ على القُبُورِ.

قال ابن القيم:

قال شيخنا:

وهَذِهِ العِلَّةُ الّتي لأَجْلِها نَهَى الشّارِعُ عن اتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ على القُبُورِ هي التي أَوْقَعَتْ كَثِيراً من الأُمَمِ إمَّا في الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، أو فيما دُونَهُ من الشِّرْكِ.

فإنَّ النُّفُوسَ قدْ أَشْرَكَتْ بتَمَاثِيلِ القَوْمِ الصّالِحِين، وتَمَاثِيلَ يزْعُمُونَ أنَّهُ طَلاسِمَ للكَوَاكِبِ ونَحْو ذَلِكَ.

فإنَّ الشِّرْكَ بقَبْرِ الرَّجُلِ الذي يُعْتَقَدُ صلاحُهُ أَقْرَبُ إلى النُّفُوسِ من الشِّركِ بِخَشَبَةٍ أو حَجَرٍ.

ولِهَذَا نَجِدُ أَهْلَ الشِّرْكِ كَثِيراً يتَضَرَّعُون عندَهَا، ويَخْشَعُون ويَخْضَعُون، ويَعْبُدُونَهم بقُلوبِهِم عِبَادَةً (١).

(١) إغاثة اللهفان: ١/ ١٨٤.

**❁ قَبْرُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَفْضلُ قَبْرٍ على وجْهِ الأرض، وقد نَهَى عن اتّخاذِه عِيداً.**

**قال ابن القيم:**

قال شيخ الإسلام - قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ -:

**ووَجْه الدّلالة:** أنَّ قبْرَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَفْضل قَبْرٍ على وجْهِ الأرض، وقد نَهَى عن اتّخاذِه عِيداً، فقبْرُ غيرِه أوْلى بالنّهي كائنًا من كانَ، ثُمّ إنَّهُ قَرَنَ ذلك بقَوْلِه «**ولا تتَّخِذُوا بُيُوتَكم قُبُوراً**»(١) أي لا تعطّلُوها من الصّلاة فِيها، والدُّعاء والقِرَاءة، فتكُون بِمَنْزِلَة القُبُور.

فأَمَر بتَحَرّي النّافِلَة في البُيُوت، ونَهَى عن تحَرِّي العبادة عندَ القُبُور، وهذَا ضِدُّ ما علَيْه الْمُشْركون من النّصارى وأشْبَاههم، ثُمّ إنه عَقّب النهيَ عن اتّخاذِه عِيداً بقَوْله: «**وصلُّوا عليَّ فإنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنتُمْ**» يُشِير بذلكَ إلى أنَّ ما يَنالُني منكُم من الصَّلاة والسّلام تحْصُل مع قُرْبِكم من قَبْري وبَعْدكم، فلا حاجَةَ بكم إلى اتّخاذِه عِيداً"(٢).

**❁ سُنّة النهي عن الصلاة عند القبر كَيْفَ مَخْرَجُها من أهلِ الْمَدِينة وأهْلِ البَيْت.**

**وقال ابن القيم:**

وهذَا أفضلُ التّابعينَ من أهْلِ بيْتِه عليُّ بنُ الْحُسَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَهَى ذلك الرُّجلَ أن يتحرَّى الدُّعَاءَ عند قَبْرِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واستدلَّ بالْحَدِيث، وهو الذى رواهُ وسمعهُ من أبيهِ الْحُسَيْن عن جدِّهِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أعْلَمُ بِمَعْنَاه من هؤلاء الضلال.

---

(١) سنن أبي داود: (٢٠٤٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) إغاثة اللهفان: ١/ ١٩٢.

وكذلك ابنُ عمّه الْحَسن بن الْحَسَن، شيخُ أَهْلِ بيْتِه، كرهَ أن يَقصِدَ الرجلُ القَبْرَ إذا لم يكنْ يريدُ الْمَسْجِد، ورأى أنَّ ذلكَ من اتخاذِهِ عِيداً.

**قال شَيْخنا:**

فانظُرْ هذِهِ السُّنّة كَيْفَ مَخْرَجُها من أهلِ الْمَدِينة وأهْلِ البَيْت، الذِينَ لَهُمْ من رسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُرْبُ النَّسَبِ، وقُرْبُ الدَّارِ، لأَنَّهم إلى ذلِكَ أَحْوَجُ من غَيْرِهِم، فكَانُوا لَهُ أضْبَطَ(١).

**❁ مِن بِدَعِ الْقُبُور.**

**قال ابن القيم:**

قال شيخنا – قدس الله روحه –:

وهذهِ الأُمورُ المبْتَدَعة عند القُبورِ مَراتبُ، أبْعَدُها عن الشّرْع: أنْ يَسأَلَ الميِّت حَاجَتَه، ويَسْتَغِيثُ به فيها، كما يَفْعَلُه كَثِيرٌ منَ النّاس.

قال: وهؤلاء من جنس عُبّادِ الأصْنَام، ولهَذا قد يَتَمثّل لَهُم الشّيطانُ في صُورة الْمَيِّت أو الغَائِب كما يَتَمثّل لعُبّاد الأصنام.

وهذا يحصل للكفّارِ من الْمُشرِكين وأهْلِ الكِتَاب، يدْعُو أحَدُهم من يعظِّمُه فيَتَمثّل له الشّيطانُ أحيانـًا.

وقد يخاطبُهم ببعض الأمُور الغَائبة، وكذلك السُّجود للقَبْر، والتَّمَسّح به وتَقْبِيله.

---

(١) إغاثة اللهفان: ١/ ١٩٣.

**والمرتبة الثانية**: أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ بِهِ، وهذا يفعَلُه كثيرٌ من الْمُتَأخّرين، وهو بدْعَةٌ باتّفاق الْمُسْلِمين.

**الثالثة**: أن يسألَه نفْسَه.

**الرابعة**: أن يظنَّ أنَّ الدعاءَ عند قبْرِه مسْتَجَاب، أو أنّه أفضَلُ من الدُّعاء في الْمَسْجد فيَقْصِدُ زِيَارَتَه والصّلاة عندَهُ لأَجْل طَلَبِ حَوائِجه.

فهذا أيضـًا من الْمُنْكَرَاتِ الْمُبْتَدَعة باتّفاقِ الْمُسْلِمِين، وهى مُحَرَّمة، وما عَلِمْت في ذلك نِزَاعـًا بين أئِمّة الدِّين وإنْ كان كثيرٌ من الْمُتَأَخّرين يفعل ذلك، ويقول بعضهم: قبرُ فلان تِرْياقٌ مُجرَّبٌ.

والحكايةُ المنقولَةُ عن الشافعي أنه كانَ يقصدُ الدُّعاء عند قبْرِ أبى حَنِيفَة، من الكَذِبِ الظّاهِرِ(١).

### ۞ الكِبْرُ والشِّرْكُ.

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

التَّكَبُّرُ شَرٌّ مِنَ الشِّرْكِ، فَإِنَّ الْمُتَكَبِّرَ يَتَكَبَّرُ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَالْمُشْرِكَ يَعْبُدُ اللهَ وَغَيْرَهُ(٢).



(١) إغاثة اللهفان: ١/ ٢١٨.

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٣١٦.



# الصِّيَام

۞ **الصيام في شهر الله الْمُحَرَّم.**

**قال ابن القيم:**

وَالَّذِي فِي الصَّحِيحِ(١) "أَنَّهُ سُئِلَ: أَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: **«شَهْرُ اللهِ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُحَرَّمَ قِيلَ: فَأَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»**.

قَالَ شَيْخُنَا: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِشَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ أَوَّلَ الْعَامِ، وَأَنْ يُرِيدَ بِهِ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ، وَاللهُ أَعْلَمُ(٢).

۞ **يَوْمُ عَرَفَةَ عِيدٌ لِأَهْلِ عَرَفَةَ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ، كَاجْتِمَاعِ النَّاسِ يَوْمَ الْعِيدِ.**

**قال ابن القيم:**

وَمِنْهَا(٣): أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَدْ نَهَى عَنْ إِفْرَادِهِ بِالصَّوْمِ فَأَحَبَّ أَنْ يَرَى النَّاسُ فِطْرَهُ فِيهِ تَأْكِيدًا لِنَهْيِهِ عَنْ تَخْصِيصِهِ بِالصَّوْمِ، وَإِنْ كَانَ صَوْمُهُ لِكَوْنِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ لَا يَوْمَ جُمُعَةٍ.

وَكَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ يَسْلُكُ مَسْلَكًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ لِأَهْلِ عَرَفَةَ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ، كَاجْتِمَاعِ النَّاسِ يَوْمَ الْعِيدِ، وَهَذَا الِاجْتِمَاعُ يَخْتَصُّ بِمَنْ بِعَرَفَةَ دُونَ

---

(١) صحيح مسلم: (١١٦٣).

(٢) إعلام الموقعين: ٤/ ٢٢٥.

(٣) أي: من حِكَمِ فِطْرِه ﷺ بِعَرَفَة.

أَهْلِ الْآفَاقِ. قَالَ: وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ: «**يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ مِنًى، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ**». وَمَعْلُومٌ أَنَّ كَوْنَهُ عِيدًا هُوَ لِأَهْلِ ذَلِكَ الْجَمْعِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ[1].

**۞ من اختياراته البديعة.**

**قال ابن القيم:**

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي حِكْمَةِ اسْتِحْبَابِ فِطْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لِيَتَقَوَّى عَلَى الدُّعَاءِ، وَهَذَا هُوَ قَوْلُ الخرقي وَغَيْرِهِ، وَقَالَ غَيْرُهُمْ - مِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية -:

الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّهُ عِيدٌ لِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَلَا يُسْتَحَبُّ صَوْمُهُ لَهُمْ، قَالَ: وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الَّذِي فِي " السُّنَنِ "[2] عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ مِنًى، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ**».

قَالَ شَيْخُنَا: وَإِنَّمَا يَكُونُ يَوْمُ عَرَفَةَ عِيدًا فِي حَقِّ أَهْلِ عَرَفَةَ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ، بِخِلَافِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَجْتَمِعُونَ يَوْمَ النَّحْرِ، فَكَانَ هُوَ الْعِيدَ فِي حَقِّهِمْ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ إِذَا اتَّفَقَ يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ جُمُعَةٍ، فَقَدِ اتَّفَقَ عِيدَانِ مَعًا[3].

**۞ الفِطْرُ للتَّقَوِّي على جِهَادِ العَدُوِّ أوْلَى مِنَ الفِطْرِ للسَّفَرِ.**

**قال ابن القيم:**

قلتُ: أَسْبَابُ الفِطْرِ أَرْبَعَةٌ: السَفَرُ، والْمَرَضُ، والحيْضُ، والخَوْفُ على هَلَاكِ

---

(١) زاد المعاد: ٢/ ٧٤.

(٢) شنن أبي داود: (٢٤١٩).

(٣) زاد المعاد: ١/ ٦١ – ٦٢.

مَنْ يُخْشَى علَيْه بِصَوْمٍ كالْمُرْضعِ والحَامِلِ إذَا خَافَتَا على وَلَدَيْهما ومِثْلُه مَسْأَلَةُ الغَرِيقِ.

وأجَازَ شَيْخُنا ابنُ تيميّة الفِطْرَ للتّقَوِّي على الجِهَادِ وفَعَلَهُ وأَفْتَى بِهِ لَمَّا نازَلَ العَدُوُّ دِمْشَقَ في رمَضَانَ فأَنكرَ عَلَيْه بَعضُ الْمُتَفَقِّهين وقال: لَيْسَ سَفَرًا طَوِيلًا.

فقال الشيخ: هذَا فِطْرٌ للتَّقَوِّي على جِهَادِ العَدُوِّ وهُوَ أوْلَى مِنَ الفِطْرِ للسَّفرِ يَوْمَيْنِ سَفَرًا مُبَاحًا أو مَعْصِيةً والْمُسْلِمون إذَا قاتَلُوا عدُوَّهم وهمْ صيَامٌ لم يُمْكِنْهم النِّكايَة فِيهم ورُبَّمَا أضْعَفُهم الصَّومُ عن القِتَالِ فاسْتَبَاحَ العَدُوُّ بَيْضَة الإسْلام وهلْ يَشُكُّ فقِيهٌ أنّ الفِطْرَ ههُنَا أَوْلى مِنْ فِطْر الْمُسَافِر وقَدْ أَمَرهم النبيُّ ﷺ في غَزْوَة الفَتْحِ بالإفْطَارِ ليَتَقَوَّوا على عدُوِّهم" فعَلَّل ذلكَ للقُوَّةِ على العَدُوِّ لا للسَّفَرِ والله أعْلَم.

قُلْتُ: إذا جَازَ فِطْرُ الحَامِلِ والْمُرْضعِ لخَوْفِهما على وَلَدَيْهما، وفِطْرُ مَنْ يُخَلِّصُ الغَرِيقَ ففِطْرُ الْمُقَاتِلينَ أَوْلَى بالجَوَازِ ومَنْ جَعَلَ هذَا مِنَ الْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ فقَدْ غَلِطَ بَلْ هَذَا أَمْرٌ من بابِ قياسِ الأَوْلَى ومِنْ بابِ دِلَالَةِ النَّصِّ وإيمائِه(١).



(١) بدائع الفوائد: ٤/ ٤٥.

# الشَّهَادَةُ

❁ تَحْلِيفُ الشَّاهِدَيْنِ إِذَا كَانَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْمِلَّةِ عَلَى الْوَصِيَّةِ فِي السَّفَرِ، وَتَحْلِيفُ الْمَرْأَةِ إِذَا شَهِدَتْ فِي الرَّضَاعِ.

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ -:

هَذَانِ الْمَوْضِعَانِ قُبِلَ فِيهِمَا الْكَافِرُ وَالْمَرْأَةُ وَحْدَهَا لِلضَّرُورَةِ، فَقِيَاسُهُ: أَنَّ كُلَّ مَنْ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ لِلضَّرُورَةِ اُسْتُحْلِفَ.

قُلْتُ: وَإِذَا كَانَ لِلْحَاكِمِ أَنْ يُفَرِّقَ الشُّهُودَ إِذَا ارْتَابَ فِيهِمْ، فَأَوْلَى أَنْ يُحَلِّفَهُمْ إِذَا ارْتَابَ بِهِمْ(١).

❁ صِحَّةُ الدَّعْوَى بِالشَّهَادَةِ.

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا: لَوْ قِيلَ إِنَّهُ تَصِحُّ الدَّعْوَى بِالشَّهَادَةِ لَتَوَجَّهَ، لِأَنَّ الشَّهَادَةَ سَبَبٌ مُوجِبٌ لِلْحَقِّ، فَإِذَا ادَّعَى عَلَى رَجُلٍ أَنَّهُ شَاهِدٌ لَهُ بِحَقِّهِ، وَسَأَلَ يَمِينَهُ: كَانَ لَهُ ذَلِكَ، فَإِذَا نَكَلَ عَنْ الْيَمِينِ لَزِمَهُ مَا ادَّعَى بِشَهَادَتِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ كِتْمَانَ الشَّهَادَةِ مُوجِبٌ لِلضَّمَانِ لَمَا تَلِفَ، وَمَا هُوَ بِبَعِيدٍ، كَمَا قُلْنَا: يَجِبُ الضَّمَانُ عَلَى مَنْ تَرَكَ الطَّعَامَ الْوَاجِبَ إِذَا كَانَ مُوجِبًا لِلتَّلَفِ، أَوْجَبَ الضَّمَانَ

---

(١) الطرق الحكمية: ص ١٢٢.

كَفِعْلِ الْمُحَرَّمِ، إِلَّا أَنَّهُ يُعَارِضُ هَذَا: أَنَّ هَذَا تُهْمَةٌ لِلشَّاهِدِ، وَهُوَ يَقْدَحُ فِي عَدَالَتِهِ فَلَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: لِي شَاهِدٌ فَاسِقٌ بِكِتْمَانِهِ إِلَّا أَنَّ هَذَا لَا يَنْفِي الضَّمَانَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ(١).

**❁ قَبُولِ شَهَادَةِ الكُفَّارِ فِي كُلِّ ضَرُورَةٍ.**

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي قَبُولِ شَهَادَتِهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ(٢): " هُوَ ضَرُورَةٌ " يَقْتَضِي هَذَا التَّعْلِيلُ قَبُولَهَا فِي كُلِّ ضَرُورَةٍ حَضَرًا وَسَفَرًا(٣).

**❁ لَا يُشْتَرَطُ فِي الشَّهَادَةِ التَّلَفُّظُ بِلَفْظِ " أَشْهَدُ ".**

**قال ابن القيم:**

وَفِي الْقِصَّةِ دَلِيلٌ عَلَى مَسْأَلَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ فِي الشَّهَادَةِ التَّلَفُّظُ بِلَفْظِ " أَشْهَدُ " وَهَذَا أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ عَنْ أحمد فِي الدَّلِيلِ، وَإِنْ كَانَ الْأَشْهَرُ عِنْدَ أَصْحَابِهِ الِاشْتِرَاطَ، وَهِيَ مَذْهَبُ مالك.

قَالَ شَيْخُنَا: وَلَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ اشْتِرَاطُ لَفْظِ الشَّهَادَةِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: شَهِدَ عِنْدِي رِجَالٌ مَرْضِيُّونَ وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عمر أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ وَبَعْدَ الصُّبْحِ(٤).

---

(١) الطرق الحكمية: ص ١٢٥.

(٢) القسامة على المال.

(٣) الطرق الحكمية: ص ١٦٠.

(٤) صحيح البخاري: (٥٨١) ومسلم: (٨٢٦).

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَلَفَّظُوا لَهُ بِلَفْظِ "أَشْهَدُ" إِنَّمَا كَانَ مُجَرَّدَ إِخْبَارٍ[١].

وقال ابن القيم:

قَالَ شَيْخُنَا:

فَاشْتِرَاطُ لَفْظِ " الشَّهَادَةِ " لَا أَصْلَ لَهُ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ، وَلَا قَوْلِ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ، وَلَا يَتَوَقَّفُ إِطْلَاقُ لَفْظِ " الشَّهَادَةِ " لُغَةً عَلَى ذَلِكَ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ[٢].

**۞ إِذَا زَنَى الذِّمِّيُّ بِالْمُسْلِمَةِ قُتِلَ.**

قال ابن القيم:

قَالَ شَيْخُنَا فِي الذِّمِّيِّ: إِذَا زَنَى بِالْمُسْلِمَةِ قُتِلَ، وَلَا يَرْفَعُ عَنْهُ الْقَتْلَ الْإِسْلَامُ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهِ أَدَاءُ الشَّهَادَةِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُعْتَبَرِ فِي الْمُسْلِمِ، بَلْ يَكْفِي اسْتِفَاضَةُ ذَلِكَ وَاشْتِهَارُهُ.

هَذَا نَصُّ كَلَامِهِ[٣].

**۞ الرَّجُلُ يَمُوتُ، وَتُوجَدُ لَهُ وَصِيَّةٌ تَحْتَ رَأْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَشْهَدَ عَلَيْهَا، أَوْ أَعْلَمَ بِهَا أَحَدًا، هَلْ يَجُوزُ إِنْفَاذُ مَا فِيهَا؟**

قال ابن القيم:

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ: الرَّجُلُ يَمُوتُ، وَتُوجَدُ لَهُ وَصِيَّةٌ تَحْتَ رَأْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَشْهَدَ عَلَيْهَا، أَوْ أَعْلَمَ بِهَا أَحَدًا، هَلْ يَجُوزُ إِنْفَاذُ مَا فِيهَا؟

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ٤٣١.

(٢) الطرق الحكمية: ص ١٧٣.

(٣) الطرق الحكمية: ص ١٧٠.



قَالَ: إِنْ كَانَ قَدْ عُرِفَ خَطُّهُ، وَكَانَ مَشْهُورَ الْخَطِّ: فَإِنَّهُ يَنْفُذُ مَا فِيهَا.

وَقَدْ نَصَّ فِي الشَّهَادَةِ: أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَذْكُرْهَا وَرَأَى خَطَّهُ: لَا يَشْهَدُ حَتَّى يَذْكُرَهَا.

وَنَصَّ فِيمَنْ كَتَبَ وَصِيَّتَهُ وَقَالَ: اشْهَدُوا عَلَيَّ بِمَا فِيهَا: أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ إِلَّا أَنْ يَسْمَعُوهَا مِنْهُ، أَوْ تُقْرَأَ عَلَيْهِ فَيُقِرُّ بِهَا.

فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا، فَمِنْهُمْ مَنْ خَرَّجَ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ حُكْمَ الْأُخْرَى، وَجَعَلَ فِيهَا وَجْهَيْنِ بِالنَّقْلِ وَالتَّخْرِيجِ، وَمِنْهُمْ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ التَّخْرِيجِ، وَأَقَرَّ النَّصَّيْنِ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا.

وَاخْتَارَ شَيْخُنَا التَّفْرِيقَ.

قَالَ: وَالْفَرْقُ: أَنَّهُ إِذَا كَتَبَ وَصِيَّتَهُ، وَقَالَ: اشْهَدُوا عَلَيَّ بِمَا فِيهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ، لِجَوَازِ أَنْ يَزِيدَ فِي الْوَصِيَّةِ وَيَنْقُصَ وَيُغَيِّرَ، وَأَمَّا إِذَا كَتَبَ وَصِيَّتَهُ ثُمَّ مَاتَ، وَعَرَفَ أَنَّهُ خَطُّهُ، فَإِنَّهُ يَشْهَدُ بِهِ لِزَوَالِ هَذَا الْمَحْذُورِ.

وَالْحَدِيثُ الْمُتَقَدِّمُ كَالنَّصِّ فِي جَوَازِ الِاعْتِمَادِ عَلَى خَطِّ الْمُوصِي، وَكُتُبِهِ ﷺ إِلَى عُمَّالِهِ وَإِلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَلِأَنَّ الْكِتَابَةَ تَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ، فَهِيَ كَاللَّفْظِ، وَلِهَذَا يَقَعُ بِهَا الطَّلَاقُ[1].

**۞ الأَخْذُ بالاحْتِيَاطِ حَسَنٌ، مَا لَمْ يُفْضِ بِصَاحِبِه إلى مُخَالَفَة السُّنَّة.**

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنا: والاحْتِيَاطُ حَسَنٌ، مَا لَمْ يُفْضِ بِصَاحِبِه إلى مُخَالَفَة السُّنَّة، فإذَا أَفْضَى إلى ذَلِكَ فالاحْتِيَاطُ تَرْكُ هذَا الاحْتِيَاطِ[2].

---

(١) الطرق الحكمية: ص ١٧٤ – ١٧٥.

(٢) إغاثة اللهفان: ١/ ١٦٣.

قال ابن القيم:

❁ **إن اسْتَغْرَقَت الدُّيونُ مَالَ الْمِدْيَانِ لَمْ يَصِحَّ تَبَرُّعُهُ بِمَا يَضُرُّ بِأَرْبَابِ الدُّيُونِ.**

قال ابن القيم:

إن اسْتَغْرَقَت الدُّيُونُ مَالَهُ لَمْ يَصِحَّ تَبَرُّعُهُ بِمَا يَضُرُّ بِأَرْبَابِ الدُّيُونِ، سَوَاءٌ حَجَرَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ، أَوْ لَمْ يَحْجُرْ عَلَيْهِ، هَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَاخْتِيَارُ شَيْخِنَا، وَعِنْدَ الثَّلَاثَةِ يَصِحُّ تَصَرُّفُهُ فِي مَالِهِ قَبْلَ الْحَجْرِ بِأَنْوَاعِ التَّصَرُّفِ، وَالصَّحِيحُ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ.

وَهُوَ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِأُصُولِ الْمَذْهَبِ غَيْرُهُ، بَلْ هُوَ مُقْتَضَى أُصُولِ الشَّرْعِ وَقَوَاعِدِهِ؛ لِأَنَّ حَقَّ الْغُرَمَاءِ قَدْ تَعَلَّقَ بِمَالِهِ؛ وَلِهَذَا يَحْجُرُ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ، وَلَوْلَا تَعَلُّقُ حَقِّ الْغُرَمَاءِ بِمَالِهِ، لَمْ يَسَعْ الْحَاكِمَ الْحَجْرُ عَلَيْهِ، فَصَارَ كَالْمَرِيضِ مَرَضَ الْمَوْتِ؛ لَمَّا تَعَلَّقَ حَقُّ الْوَرَثَةِ بِمَالِهِ مَنَعَهُ الشَّارِعُ مِنْ التَّبَرُّعِ بِمَا زَادَ عَلَى الثُّلُثِ، فَإِنَّ فِي تَمْكِينِهِ مِنْ التَّبَرُّعِ بِمَالِهِ إبْطَالَ حَقِّ الْوَرَثَةِ مِنْهُ.

وَفِي تَمْكِينِ هَذَا الْمِدْيَانِ مِنْ التَّبَرُّعِ إبْطَالُ حُقُوقِ الْغُرَمَاءِ، وَالشَّرِيعَةُ لَا تَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا؛ فَإِنَّهَا إنَّمَا جَاءَتْ بِحِفْظِ حُقُوقِ أَرْبَابِ الْحُقُوقِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَسَدِّ الطُّرُقِ الْمُفْضِيَةِ إلَى إضَاعَتِهَا، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**».

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا التَّبَرُّعَ إتْلَافٌ لَهَا، فَكَيْفَ يَنْفُذُ تَبَرُّعُ مَنْ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى فَاعِلِهِ؟

وَسَمِعْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَحْكِي عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ هَذَا الْمَذْهَبَ وَيُضَعِّفُهُ، قَالَ:

إلَى أَنْ بُلِيَ بِغَرِيمٍ تَبَرَّعَ قَبْلَ الْحَجْرِ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

وَاَللهِ مَذْهَبُ مَالِكٍ هُوَ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَتَبْوِيبُ الْبُخَارِيِّ وَتَرْجَمَتُهُ

وَاسْتِدْلَالُهُ يَدُلُّ عَلَى اخْتِيَارِهِ هَذَا الْمَذْهَبَ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي "بَابِ مَنْ رَدَّ أَمْرَ السَّفِيهِ وَالضَّعِيفِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَجَرَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ":

وَيُذْكَرُ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَدَّ عَلَى الْمُتَصَدِّقِ قَبْلَ النَّهْيِ ثُمَّ نَهَاهُ(١).

فَتَأَمَّلْ هَذَا الِاسْتِدْلَالَ(٢).

**۞ جَوَازُ مُشَارَكَةُ الْعَامِلِ لِلْمَالِكِ كَالْمُسَاقَاةِ وَالْمُزَارَعَةِ.**

**قال ابن القيم:**

وَالصَّوَابُ جَوَازُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ مُقْتَضَى أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَقَوَاعِدِهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِ الْمُشَارَكَةِ الَّتِي يَكُونُ الْعَامِلُ فِيهَا شَرِيكَ الْمَالِكِ هَذَا بِمَالِهِ، وَهَذَا بِعَمَلِهِ، وَمَا رَزَقَ اللهُ فَهُوَ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا أَوْلَى، بِالْجَوَازِ مِنْ الْإِجَارَةِ، حَتَّى قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ:

هَذِهِ الْمُشَارَكَاتُ أَحَلُّ مِنْ الْإِجَارَةِ، قَالَ: لِأَنَّ الْمُسْتَأْجِرَ يَدْفَعُ مَالَهُ، وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُ مَقْصُودُهُ، وَقَدْ لَا يَحْصُلُ، فَيَفُوزُ الْمُؤَجِّرُ بِالْمَالِ وَالْمُسْتَأْجِرُ عَلَى الْخَطَرِ، إذْ قَدْ يَكْمُلُ الزَّرْعُ.

وَقَدْ لَا يَكْمُلُ، بِخِلَافِ الْمُشَارَكَةِ؛ فَإِنَّ الشَّرِيكَيْنِ فِي الْفَوْزِ وَعَدَمِهِ عَلَى السَّوَاءِ، إنْ رَزَقَ اللهُ الْفَائِدَةَ كَانَتْ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ مَنَعَهَا اسْتَوَيَا فِي الْحِرْمَانِ، وَهَذَا غَايَةُ الْعَدْلِ؛ فَلَا تَأْتِي الشَّرِيعَةُ بِحِلِّ الْإِجَارَةِ وَتَحْرِيمِ هَذِهِ الْمُشَارَكَاتِ(٣).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الخصومات ٣/ ١٢١.

(٢) إعلام الموقعين: ٤/ ٧-٨.

(٣) إعلام الموقعين: ٤/ ١٦.

❁ حَبْسُ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ.

قال ابن القيم:

قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُ: إِنَّ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الدَّعَاوَى يَحْلِفُ، وَيُرْسَلُ بِلَا حَبْسٍ وَلَا غَيْرِهِ فَلَيْسَ هَذَا - عَلَى إِطْلَاقِهِ - مَذْهَبًا لِأَحَدٍ مِنْ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَلَا غَيْرِهِمْ مِنْ الْأَئِمَّةِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا - عَلَى إِطْلَاقِهِ وَعُمُومِهِ - هُوَ الشَّرْعُ فَقَدْ غَلِطَ غَلَطًا فَاحِشًا مُخَالِفًا لِنُصُوصِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ(١).

❁ ضَرْبُ الْمُتَّهَمِينَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْإِجْرَامِ.

قال ابن القيم:

وَالَّذِينَ جَعَلُوا عُقُوبَتَهُ لِلْوَالِي، دُونَ الْقَاضِي، قَالُوا: وِلَايَةُ أَمِيرِ الْحَرْبِ مُعْتَمَدُهَا الْمَنْعُ مِنْ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَقَمْعُ أَهْلِ الشَّرِّ وَالْعُدْوَانِ.

وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعُقُوبَةِ لِلْمُتَّهَمِينَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْإِجْرَامِ، بِخِلَافِ وِلَايَةِ الْحُكْمِ، فَإِنَّ مَقْصُودَهَا إِيصَالُ الْحُقُوقِ إِلَى أَرْبَابِهَا وَإِثْبَاتُهَا.

قَالَ شَيْخُنَا: وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ قَوْلٌ بِجَوَازِ ذَلِكَ فِي الشَّرِيعَةِ، لَكِنَّ كُلَّ وَلِيِّ أَمْرٍ يَفْعَلُ مَا فُوِّضَ إِلَيْهِ، فَكَمَا أَنَّ وَالِيَ الصَّدَقَاتِ يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ الْقَبْضِ وَالصَّرْفِ مَا لَا يَمْلِكُهُ وَالِي الْخَرَاجِ وَعَكْسِهِ، كَذَلِكَ وَالِي الْحَرْبِ وَوَالِي الْحُكْمِ يَفْعَلُ كُلٌّ مِنْهُمَا مَا اقْتَضَتْهُ وِلَايَتُهُ الشَّرْعِيَّةُ، مَعَ رِعَايَةِ الْعَدْلِ وَالتَّقَيُّدِ بِالشَّرِيعَةِ(٢).

---

(١) الطرق الحكمية: ص ٩١.

(٢) الطرق الحكمية: ص ٩٢.



**❁ تَعْزِيرُ الْمُدَّعِي فِي بَعْضِ الدَّعَاوَى.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا الْعَلَّامَةَ - ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ:

كُنَّا عِنْدَ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَأَنَا إِلَى جَانِبِهِ، فَادَّعَى بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: أَنَّ لَهُ قِبَلِي وَدِيعَةً، وَسَأَلَ إِجْلَاسِي مَعَهُ وَإِحْلَافِي، فَقُلْتُ لِقَاضِي الْمَالِكِيَّةِ - وَكَانَ حَاضِرًا -: أَتَسُوغُ هَذِهِ الدَّعْوَى وَتُسْمَعُ؟ فَقَالَ: لَا، فَقُلْتُ: فَمَا مَذْهَبُكَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَعْزِيرُ الْمُدَّعِي، فَقُلْتُ: فَاحْكُمْ بِمَذْهَبِكَ فَأُقِيمَ الْمُدَّعِي، وَأُخْرِجَ(١).

**❁ نَفْسُ الْمَالِ الذِي قَبَضَه الدَّائِنُ يَحْصُلُ بِهِ الوَفَاءُ.**

**قال ابن القيم:**

ظَنَّ بعْضُ الفُقَهاءِ أَنَّ الوَفْاءَ إِنَّمَا يَحْصُل باسْتِيفَاءِ الدَّيْن بِسَبَبِ أَنَّ الغَرِيمَ إذا قَبَضَ الْمَالَ صارَ في ذمَّتِه للمَدِين مِثْلُهُ ثُمَّ يَقعُ التَّقَاضِي مِنْهُمَا والَّذِي أَوْجَبَ لَهُم هَذَا إِيجابَ الْمُمَاثَلَةِ بيْنَ الوَاجِبِ ووَفَائِه ليَكُونَ قدْ وفَّى الدَّيْنَ بالدَّيْنِ.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية:**

وهذا تَكَلُّفٌ أنكَرَهُ جُمْهورُ الفُقَهاءِ وقالُوا: بَلْ نَفْسُ الْمَالِ الذِي قَبَضَه يَحْصُل به الوَفَاءُ ولا حاجَةَ إلى أن يُقَدِّرُوا في ذمَّةِ الْمُسْتَوْفِي دَيْنًا والدَّيْنُ في الذِّمَّة مِنْ جِنْسِ الْمُطْلَقِ الكُلِّي والعَيْنُ من جِنْسِ العَيْنِ الجُزْئِيّ فإذَا ثَبَتَ في ذِمَّتِه دَيْنٌ مُطْلَقٌ كُلِّيٌّ كانَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ الأَعْيَانَ الشَّخْصِيَّة الجُزْئِيَّة فأيُّ مُعَيِّنٍ اسْتَوْفَاهُ حصَلَ بِهِ مَقْصُودُهُ لِمُطَابَقَتِه لِلْكُلِّ مُطَابَقَة الأَفْرَادِ الْجُزْئِيَّةِ(٢).

---

(١) الطرق الحكمية: ص ٩٩.

(٢) بدائع الفوائد: ٤/ ١٢٣.

# القِصَاص

**قال ابن القيم:**

وَسَأَلْتُ شَيْخَنَا أَبَا الْعَبَّاسِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - عَنِ الْقَتْلِ بِالْحَالِ هَلْ يُوجِبُ الْقِصَاصَ؟

فَقَالَ: لِلْوَلِيِّ أَنْ يَقْتُلَهُ بِالْحَالِ كَمَا قَتَلَ بِهِ[1].



(١) مدارج السالكين: ١/ ٤٠٥.

# الدَّعَاءُ والابْتِهَال

۞ فَضْلُ عُمُومِ الدُّعَاءِ على خُصُوصِه.

قال ابن القيم:

وسَمِعْتُ شيْخَ الإِسْلامِ ابنَ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ يقُولُ: فَضْلُ عُمُومِ الدُّعَاءِ علَى خُصُوصِهِ كفَضْلِ السَّمَاءِ علَى الأَرْضِ.

وذكر في ذلك حديثًا مرفوعًا عن عليٍّ أنَّ النبيَّ ﷺ: مَرَّ بِهِ وهو يدْعُو فقالَ: «**يَا عَلِيّ عُمَّ فَإِنَّ فضْلَ العُمُومِ على الْخُصُوصِ كفَضْلِ السَّمَاءِ على الأَرْضِ**»[(١)].

۞ دُعَاؤُه في سُجُودِه وهُوَ مَحْبُوسٌ.

قال ابن القيم:

وكان يَقُولُ في سُجُودِهِ وهُوَ مَحْبُوسٌ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلى ذِكْرِكَ وشُكْرِكِ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ، ما شَاءَ اللهُ[(٢)].

۞ فضْلُ دعاءِ «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

قال ابن القيم:

وَمِنْ تَجْرِيبَاتِ السَّالِكِينَ الَّتِي جَرَّبُوهَا فَأَلْفَوْهَا صَحِيحَةً أَنَّ مَنْ أَدْمَنَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ.

---

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ١٧٤.

(٢) الوابل الصيب: ص ٤٨.

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ شَدِيدَ اللَّهْجِ بِهَا جِدًّا، وَقَالَ لِي يَوْمًا:

لِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ وَهُمَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ وَاظَبَ عَلَى أَرْبَعِينَ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ" حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ(١).

### ۞ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فِي الفَاتِحَة.

**قال ابن القيم:**

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ -:

تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] (٢).

### ۞ حَالُ ابنِ تَيْمِيَّة إِذَا أَعيَتْهُ الْمَسَائِلُ وَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ.

**قال ابن القيم:**

وَشَهِدْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - إِذَا أَعْيَتْهُ الْمَسَائِلُ وَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ فَرَّ مِنْهَا إِلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِاَللهِ وَاللَّجَأِ إلَيْهِ، وَاسْتِنْزَالِ الصَّوَابِ مِنْ عِنْدِهِ، وَالِاسْتِفْتَاحِ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ، فَقَلَّمَا يَلْبَثُ الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ أَنْ يَتَتَابَعَ عَلَيْهِ مَدًّا، وَتَزْدَلِف الْفُتُوحَاتُ الْإِلَهِيَّةُ إلَيْهِ بِأَيَّتِهِنَّ يَبْدَأُ.

---

(١) مدارج السالكين: ١/ ٤٤٦.

(٢) مدارج السالكين: ١/ ١٠٠، ٢/ ٢٤٦.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ وُفِّقَ هَذَا الِافْتِقَارَ عِلْمًا وَحَالًا، وَسَارَ قَلْبُهُ فِي مَيَادِينِهِ بِحَقِيقَةٍ وَقَصْدٍ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ التَّوْفِيقِ، وَمَنْ حُرِمَهُ فَقَدْ مُنِعَ الطَّرِيقَ وَالرَّفِيقَ، فَمَتَى أُعِينَ مَعَ هَذَا الِافْتِقَارِ بِبَذْلِ الْجَهْدِ فِي دَرْكِ الْحَقِّ فَقَدْ سُلِكَ بِهِ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(١).

**سِرُّ الإِتْيَانُ بِضَمِيرِ الجَمْعِ في** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

**قال ابن القيم:**

أَمَّا الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: وهي الإِتْيَانُ بالضَّمِيرِ في قَوْلِه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ [الفاتحة:٦] ضَمِيرُ جَمْعٍ فقَدْ قالَ بَعْضُ النَّاسِ في جَوابِه:

إنَّ كُلَّ عُضْوٍ مِن أَعْضَاءِ العَبْدِ وكُلَّ حَاسَّةٍ ظَاهِرَةٍ وبَاطِنَةٍ مُفْتَقِرَةٌ إلى هِدَايَةٍ خاصَّةٍ به فأَتَى بِصِيغَةِ الجَمْعِ تَنْزِيلًا لِكُلِّ عُضْوٍ من أَعْضَائِهِ مَنْزِلَةَ الْمُسْتَرْشِدِ الطَّالِبِ لِهُدَاهُ وعَرَضتُّ هذَا الجَوابَ على شَيْخِ الإِسْلَامِ ابنِ تَيْمِيّة قدّسَ الله رُوحَهُ فاسْتَضْعَفَهُ جِدًّا وهُوَ كما قالَ.

فإنَّ الإنسانَ اسْمٌ للجُمْلَةِ لا لِكُلِّ جُزْءٍ من أَجْزَائِهِ وعُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِه، والقَائِلُ إذا قالَ: «**اغْفِرْ لِي وَارْحَمْني واجْبُرْنِي وأَصْلِحْني واهْدِنِي**» سَائِلٌ من اللهِ ما يَحْصُلُ لجِمُلْتِهِ ظَاهِرِهِ وبَاطِنِهِ فلا يَحتَاجُ أَنْ يَسْتَشْعِرَ لِكُلِّ عُضْوٍ مَسْأَلَةً تَخُصُّهُ يُفْرِدُ لها لَفْظَةً.

**فالصَّوابُ أَنْ يُقَالَ:** هَذَا مُطَابِقٌ لِقَوْلِه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] والإِتْيَانُ بِضَمِيرِ الجَمْعِ في الْمَوْضِعَيْنِ أَحْسَنُ وأَفْخَمُ فإِنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ عُبُودِيَّة وافْتِقَارٍ إلى الرَّبِّ تعالى وإِقْرَارٍ بالفَاقَةِ إلى عُبُودِيَّتِه واسْتِعَانَتِه وهِدَايَتِه فأَتَى

---

(١) إعلام الموقعين: ٤/ ١٣٢.

بِهِ بِصِيغَةِ ضَمِيرِ الجَمْعِ، أيْ: نَحْنُ مَعَاشِرُ عَبِيدِك مُقِرُّونَ لكَ بالعُبُودِيّة وهَذَا كما يقُولُ العَبْدُ لِلْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ شَأْنُه: نَحْنُ عَبِيدُكَ ومَمَالِيكُكَ وتَحْتَ طَاعَتِك ولا نُخَالِفُ أمْرَكَ فيكُونُ هذَا أَحْسَنَ وأعْظَمَ مَوْقِعًا عِندَ الْمَلِكِ مِنْ أَنْ يَقُولَ: أَنَا عَبْدُكَ ومَمْلُوكُكَ.

**ولهَذَا لو قَالَ**: أنَا وَحْدِي مَمْلُوكُك اسْتَدْعَى مَقْتَهُ فإِذَا قالَ: أَنَا وَكُلُّ مَنْ في الْبلَدِ مَمَالِيكُكَ وعَبِيدُكَ وجُنْدٌ لَكَ كانَ أَعْظَمَ وأَفْخَمَ لأَنَّ ذلِكَ يَتَضَمَّنُ أنَّ عَبِيدَكَ كَثِيرٌ جِدًّا وأَنَا وَاحِدٌ مِنْهُم وكُلُّنَا مُشْتَرِكُونَ في عُبُودِيَّتِك والاسْتِعَانَةِ بِكَ وطَلَبِ الهِدَايَةِ منْكَ فَقَدْ تَضَمَّنَ ذلكَ مِنَ الثّناءِ على الرَّبِّ بِسَعَةِ مَجْدِهِ وكَثْرَةِ عَبِيدِهِ وكَثْرَةِ سَائِلِيهِ الهِدَايَةَ ما لا يَتَضَمَّنُهُ لفْظُ الإِفْرَادِ فَتَأَمَّلْهُ.

وإذَا تَأَمَّلْتَ أدْعِيَةَ القُرْآنِ رَأَيْتَ عَامَّتها على هَذَا النَّمَطِ نَحْو: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] ونَحْوَ دُعَاءِ آخِرِ البَقَرَةِ وآخِرِ آل عِمْرَان وأَوّلِها وهو أَكْثَرُ أَدْعِيَةِ القُرْآنِ الكَرِيم[١].

## ۞ وَصْفُ الفَقْرِ مُلازِمٌ لابْنِ آدَمَ.

**قال ابن القيم:**

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفَقْرُ لـي وَصْـفُ ذَاتٍ لازِمٌ أَبَـداً ... كَمَا الغِنَى أَبَداً وصْفٌ له ذَاتِي[٢]

---

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٣٩ – ٤٠.

(٢) طريق الهجرتين: ص ٨، مدارج السالكين: ١/ ٤٣٩، ٢/ ٤١١.

**۞ فسادُ قوْلِ من يتْرُكُ الدُّعاءَ جُمْلةً، ويقولُ: المدْعُوُّ بِهِ إنْ سبق العِلْمُ والحُكْمُ بِحُصُولِه حَصَلَ.**

قال ابن القيم:

وَمِنْهُمْ مَنْ يَتْرُكُ الدُّعَاءَ جُمْلَةً، بِنَاءً عَلَى هَذَا الْأَصْلِ، وَيَقُولُ: الْمَدْعُوُّ بِهِ إِنْ سَبَقَ الْعِلْمُ وَالْحُكْمُ بِحُصُولِهِ حَصَلَ، دَعَوْنَا أَوْ لَمْ نَدْعُ، وَإِنْ سَبَقَ بِعَدَمِ حُصُولِهِ لَمْ يَحْصُلْ وَإِنْ دَعَوْنَا.

قَالَ شَيْخُنَا:

وَهَذَا الْأَصْلُ الْفَاسِدُ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ وَأَئِمَّةِ الدِّينِ "، بَلْ وَمُخَالِفٌ لِصَرِيحِ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ وَالْمُشَاهَدَةِ، وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ إِسْقَاطِ الْأَسْبَابِ نَظَرًا إِلَى الْقَدَرِ؟ فَرَدَّ ذَلِكَ، وَأَلْزَمَ الْقِيَامَ بِالْأَسْبَابِ كَمَا فِي الصَّحِيحِ(١) عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَدَعُ الْعَمَلَ وَنَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابِ؟ فَقَالَ: لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «**يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَكْدَحُ النَّاسُ فِيهِ**»(٢).

**۞ دُعاءُ المُسْلِمِ لأخِيهِ واسْتِغْفارُه لَهُ.**

قال ابن القيم:

فَكَمَا يحبُّ أن يسْتَغْفر لَهُ اخوه الْمُسلم كَذَلِك هُوَ أيضا يَنْبَغِي أن يسْتَغْفر لأَخِيهِ الْمُسلِم فَيَصِيرُ هِجِّيرَاهُ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ولِوَالِدَيَّ وللْمُسْلِمِينَ وَالْمُسلمَات وَلِلْمُؤْمنِينَ وَالْمُؤْمِنَات. وَقد كَانَ بعض السّلف يسْتَحبّ لكلِّ أَحدٍ أنْ يُدَاوم على

---

(١) صحيح البخاري: (٤٩٤٩).

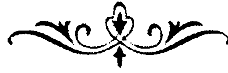
(٢) مدارج السالكين: ٣/ ٤٦٠ – ٤٦١.



هَذَا الدُّعَاء كل يَوْم سَبْعِينَ مرَّةً فَيجْعَل لَهُ مِنْهُ وِرْدًا لَا يُخِلُّ بِهِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا يذكرهُ وَذكرَ فِيهِ فضلًا عَظِيمًا لَا أحفظُهُ وَرُبّمَا كَانَ من جُملَة أوراده الَّتِي لَا يُخلّ بهَا.

وسمعْتُهُ يَقُولُ: إنَّ جَعْلَهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ جَائِزٌ[1].



(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٢٩٨.

# الرُّقْيَةُ

❁ الذِّكْرُ الَّذِي يُوقِفُ الدَّابَّةَ الصَّعْبَةَ.

قال ابن القيم:

قال يونس بن عُبَيْد: ليسَ رَجُلٌ يكونُ على دَابَّةٍ صَعْبَةٍ فَيَقُول في أُذُنِها ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران:٨٣] إلَّا وَقَفَتْ بِإِذْنِ الله تعالى.

قال شَيْخُنَا قدَّسَ الله رُوحَهُ: وَقَدْ فَعَلْنَا ذَلِكَ فَكَانَ كَذَلِكَ(١).

❁ عِلَاجُ الْمَصْرُوعِ.

قال ابن القيم:

وَشَاهَدْتُ شَيْخَنَا يُرْسِلُ إِلَى الْمَصْرُوعِ مَنْ يُخَاطِبُ الرُّوحَ الَّتِي فِيهِ، وَيَقُولُ:

قَالَ لَكِ الشَّيْخُ: اخْرُجِي، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَكِ، فَيُفِيقُ الْمَصْرُوعُ، وَرُبَّمَا خَاطَبَهَا بِنَفْسِهِ، وَرُبَّمَا كَانَتِ الرُّوحُ مَارِدَةً فَيُخْرِجُهَا بِالضَّرْبِ فَيُفِيقُ الْمَصْرُوعُ وَلَا يَحُسُّ بِأَلَمٍ، وَقَدْ شَاهَدْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْهُ ذَلِكَ مِرَارًا.

وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَقْرَأُ فِي أُذُنِ الْمَصْرُوعِ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥].

(١) الفوائد: ص ١٢٥.

وَحَدَّثَنِي أَنَّهُ قَرَأَهَا مَرَّةً فِي أُذُنِ الْمَصْرُوعِ، فَقَالَتِ الرُّوحُ: نَعَمْ، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ.

قَالَ: فَأَخَذْتُ لَهُ عَصًا وَضَرَبْتُهُ بِهَا فِي عُرُوقِ عُنُقِهِ حَتَّى كَلَّتْ يَدَايَ مِنَ الضَّرْبِ، وَلَمْ يَشُكَّ الْحَاضِرُونَ أَنَّهُ يَمُوتُ لِذَلِكَ الضَّرْبِ.

فَفِي أَثْنَاءِ الضَّرْبِ قَالَتْ: أَنَا أُحِبُّهُ، فَقُلْتُ لَهَا: هُوَ لَا يُحِبُّكِ، قَالَتْ: أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَحُجَّ بِهِ فَقُلْتُ لَهَا: هُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَحُجَّ مَعَكِ، فَقَالَتْ: أَنَا أَدَعُهُ كَرَامَةً لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا وَلَكِنْ طَاعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، قَالَتْ: فَأَنَا أَخْرُجُ مِنْهُ، قَالَ: فَقَعَدَ الْمَصْرُوعُ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِي إِلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ؟ قَالُوا لَهُ: وَهَذَا الضَّرْبُ كُلُّهُ؟ فَقَالَ وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَضْرِبُنِي الشَّيْخُ وَلَمْ أُذْنِبْ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِأَنَّهُ وَقَعَ بِهِ ضَرْبٌ الْبَتَّةَ.

وَكَانَ يُعَالِجُ بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِكَثْرَةِ قِرَاءَتِهَا الْمَصْرُوعَ وَمَنْ يُعَالِجُهُ بِهَا وَبِقِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ(١).

### ۞ عِلَاجُ الرُّعَافِ.

**قال ابن القيم:**

كَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَكْتُبُ عَلَى جَبْهَتِهِ:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ﴾ [هود: ٤٤].

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:

كَتَبْتُهَا لِغَيْرِ وَاحِدٍ فَبَرَأَ، فَقَالَ: وَلَا يَجُوزُ كِتَابَتُهَا بِدَمِ الرَّاعِفِ، كَمَا يَفْعَلُهُ

(١) زاد المعاد: ٤/ ٦٢ – ٦٣.



الْجُهَّالُ، فَإِنَّ الدَّمَ نَجِسٌ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُكْتَبَ بِهِ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى [١].

## ❁ قِراءَتُهُ آيَاتِ السَّكِينَةِ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ.

**قال ابن القيم:**

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ: قَرَأَ آيَاتَ السَّكِينَةِ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي وَاقِعَةٍ عَظِيمَةٍ جَرَتْ لَهُ فِي مَرَضِهِ، تَعْجِزُ الْعُقُولُ عَنْ حَمْلِهَا - مِنْ مُحَارَبَةِ أَرْوَاحٍ شَيْطَانِيَّةٍ، ظَهَرَتْ لَهُ إِذْ ذَاكَ فِي حَالِ ضَعْفِ الْقُوَّةِ - قَالَ:

فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيَّ الْأَمْرُ، قُلْتُ لِأَقَارِبِي وَمَنْ حَوْلِي: اقْرَءُوا آيَاتِ السَّكِينَةِ، قَالَ: ثُمَّ أَقْلَعَ عَنِّي ذَلِكَ الْحَالُ، وَجَلَسْتُ وَمَا بِي قَلَبَةٌ [٢].



(١) زاد المعاد: ٤/ ٣٢٨.

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٤٧١.

# الذِّكْرُ

❁ **الذِّكْرُ الحَقِيقِيُّ مَحِلُّهُ القَلْبُ.**

**قال ابن القيم:**

الجَوَابُ الصَّحِيحُ: أنَّ الذِّكْرَ الحَقِيقِيَّ مَحِلُّهُ القَلْبُ لأنَّهُ ضِدُّ النِّسْيَانِ، والتّسْبِيحُ نَوْعٌ مِن الذِّكْرِ، فَلَوْ أُطْلِقَ الذِّكْرُ والتّسْبِيحُ لَمَا فُهِمَ منْهُ إلّا ذلكَ دُونَ اللَّفْظِ باللِّسَانِ، والله تعالى أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ الأَمْرَيْنِ جَمِيعًا ولَمْ يَقْبَلْ الإِيمانَ وعَقْدَ الإِسْلَامِ إلا باقْتِرانِهما واجْتِمَاعِهِما فَصَارَ مَعْنَى الآيَتَيْنِ سَبِّحِ رَبَّكَ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ واذْكُر ربَّك بِقَلْبِكَ ولِسَانِكَ فأُقْحِمَ الاسْمُ تَنبيهًا على هذا الْمَعْنَى حتّى لا يَخْلُو الذِّكْرُ والتّسْبِيحُ من اللّفظِ باللّسَانِ لأنَّ ذَكْرَ القَلْب مُتَعَلّقُهُ الْمُسَمَّى الْمَدْلُول علَيْه بالاسْمِ دُونَ مَا سَواهُ والذِّكْر باللّسَانِ مُتَعَلِّقُه اللَّفْظُ مع مَدْلُولِه لأَنَّ اللَّفْظَ لا يُرَادُ لِنَفْسِه فلا يَتَوَهَّم أَحَدٌ أنَّ اللَّفْظَ هو الْمُسَبَّحُ دُونَ ما يَدُلُّ علَيْهِ من الْمَعْنَى.

وعَبَّرَ لِي شيخُنَا أبُو العبّاسِ ابنُ تيميّة - قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِعِبَارَةٍ لَطِيفَةٍ وَجِيزَةٍ فقالَ:

الْمَعْنَى: سَبِّح نَاطِقًا باسْمِ ربِّكَ مُتَكَلِّمًا بِهِ وكذا: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءً سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ [يوسف:٤٠] ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى:١] الْمَعْنَى: سَبِّحِ ربَّكَ ذَاكِرًا اسْمَهُ.

وهَذِهِ الفَائِدَةُ تُساوِي رِحْلَةً لكِنْ لِمَنْ يَعْرِفُ قَدْرَها، فالحَمْدُ للهِ الْمَنَّانِ بِفَضْلِه،

ونَسْأَلُهُ تَمَامَ نِعْمَتِهِ[١].

### ۞ جُلُوسُ ابن تَيْمِيّة بَعْدَ الفَجْرِ يذْكُرُ اللهَ تعالَى إلى قَرِيبٍ مِن انتِصَافِ النَّهارِ.

قال ابن القيم في فَوائِدِ الذِّكْرِ:

إِنَّهُ قُوتُ القَلْبِ والرُّوحِ، فإذَا فَقَدَهُ العَبْدُ صارَ بِمَنْزِلَةِ الجِسْم إذَا حِيلَ بَيْنَه وبَيْنَ قُوتِهِ.

وحَضَرْتُ شَيْخَ الإِسْلَامِ ابنَ تَيْمِيّة مرّةً صلّى الفَجْرَ ثُمَّ جَلَسَ يذْكُرُ اللهَ تعالَى إلى قَرِيبٍ مِن انتِصَافِ النّهار، ثُمَّ الْتَفَتَ إلَيَّ وقالَ: هَذِهِ غَدْوَتِي، ولَوْ لَمْ أَتَغَدَّ الغَدَاءَ سَقَطَتْ قُوَّتِي.

أو كَلَاماً قَرِيباً من هَذَا[٢].

### ۞ تَرْكُهُ الذِّكْرَ بِنِيَّةِ إِجْمَامِ نَفْسِهِ.

قال ابن القيم:

وقالَ لي مَرَّةً: لا أَتْرُكُ الذِّكْرَ إلا بِنِيَّةِ إِجْمَامِ نَفْسِي وإِرَاحَتِها لأَسْتَعِدَّ بِتِلْكَ الرّاحَةِ لِذِكْرٍ آخَرَ.

أو كَلَاماً هذَا مَعْنَاهُ[٣].

### ۞ الذّكْرُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ الْمَاءِ للسَّمَكِ.

قال ابن القيم:

وسَمِعْتُ شَيْخَ الإِسْلامِ ابنَ تيميّة - قدَّسَ الله تعالى رُوحَه - يقولُ:

---

(١) بدائع الفوائد: ١/ ١٩.
(٢) الوابل الصيب: ص ٤٢.
(٣) الوابل الصيب: ص ٤٢.

الذِّكْرُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ الْمَاءِ لِلسَّمَكِ فَكَيْفَ يَكونُ حَالُ السَّمَكِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ؟![1]

❁ **قوَّته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العِلْمِ والعَمَلِ.**

**قال ابن القيم:**

وقد شاهَدتُّ من قُوَّةُ شَيْخ الإسْلَامِ ابنِ تيميَّة في سُنَنِه وكلامِهُ وإقْدَامِه وكِتابه أمْراً عَجِيباً...، وقد عَلَّم النبيُّ ﷺ ابنتَهُ فاطمةَ وعليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن يُسَبِّحَا كلَّ لَيْلَة إذَا أخَذُوا مَضَاجِعَهُمَا ثلاثًا وثلاثِينَ ويَحْمَدَا ثَلاثاً وثَلاثِين ويُكَبِّرا أَرْبعاً وثلاثِينَ لَمّا سَأَلْته الخَادِمَ وشَكَتْ إلَيْه ما تُقَاسِيهِ من الطَّحْنِ والسَّعْيِ والخِدْمَةِ، فَعَلَّمها ذلكَ وقالَ: "إنَّهُ خيْرٌ لكُمَا مِن خَادِمٍ"[2].

فقِيلَ: إنَّ من دَاوَمَ على ذَلِكَ وجَدَ قُوَّةً في يَوْمِه مُغْنيةً عن خَادِمٍ.

وسَمِعْتُ شَيْخَ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُذْكُر أَثَراً في هذا البابِ ويقولُ:

إنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا أُمِرُوا بِحَمْلِ العَرْشِ قالُوا: يا رَبَّنا كَيْفَ نَحْمِلُ عَرْشَك وعَلَيْه عَظَمَتُك وجلالُكَ؟ فقالَ: قُولُوا: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله، فلمَّا قالُوا حَمَلُوهُ[3].

❁ **فَائدَةُ الذِّكْرِ عندَ الْمَضْجَعِ.**

**قال ابن القيم:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّسَ الله تعالى رُوحَه -:

بَلَغَنا أَنَّهُ من حَافَظَ على هذِهِ الكَلِمَاتِ لَمْ يأْخُذْهُ إعْيَاءٌ فيما يُعَانِيه مِنْ شُغْلٍ ومِنْ غَيْرِهِ[4].

---

(١) الوابل الصيب: ص ٤٨.
(٢) صحيح البخاري: (٣٧٠٥) عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٣) الوابل الصيب: ص ٧٧.
(٤) الوابل الصيب: ص ٩٧.

﴿ مُوَاظَبَتُه على ذَلِكَ.

قال ابن القيم:

وَبَلَغَنِي عَنْ شَيْخِنَا أبي العباس ابن تيمية - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - أَنَّهُ قَالَ: مَا تَرَكْتُهَا عَقِيبَ كُلِّ صَلَاةٍ(١).

﴿ جَنَّةُ الدُّنْيَا.

قال ابن القيم:

وسَمِعْتُ شَيْخَ الإسْلَامِ ابنَ تَيْمِيَّة - قدَّسَ الله تعالى رُوحَه - يقول: إنَّ في الدُّنْيَا جَنَّةً مَن لَمْ يَدْخُلْها لا يَدْخُلُ جَنَّةَ الآخِرَةِ(٢).

﴿ خُرُوجُه أحْيَانًا إِلَى الصَّحْرَاءِ.

قال ابن القيم:

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَقَارِبِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ:

كَانَ فِي بِدَايَةِ أَمْرِهِ يَخْرُجُ أَحْيَانًا إِلَى الصَّحْرَاءِ يَخْلُو عَنِ النَّاسِ، لِقُوَّةِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ، فَتَبِعْتُهُ يَوْمًا فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ، ثُمَّ جعَلَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ - وَهُوَ لِمَجْنُونِ لَيْلَى مِنْ قَصِيدَتِهِ الطَّوِيلَةِ -:

وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَلَّنِي ... أُحَدِّثُ عَنْكَ النَّفْسَ بِالسِّرِّ خَالِيًا(٣)

(١) زاد المعاد: ٢/ ٢٩٤.

(٢) الوابل الصيب: ص ٤٨.

(٣) مدارج السالكين: ٣/ ٦١.



**من واظَبَ على «يا حيُّ يا قيُّوم، لا إله إلا أنتَ» أحيى اللهُ بها قلبَه.**

قال ابن القيم:

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ:

مَنْ وَاظَبَ عَلَى «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً أَحْيَى اللهُ بِهَا قَلْبَهُ[1].



(١) مدارج السالكين: ٣/ ٢٤٨.

# الإِفْتَاءُ وَالْمُفْتُونَ

## ۞ حُسْنُ فَتْوَاهُ.

**قال ابن القيم:**

وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - فِي ذَلِكَ أَمْرًا عَجِيبًا:

كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ حُكْمِيَّةٍ، ذَكَرَ فِي جَوَابِهَا مَذَاهِبَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، إِذَا قَدَرَ، وَمَأْخَذَ الْخِلَافِ، وَتَرْجِيحَ الْقَوْلِ الرَّاجِحِ. وَذَكَرَ مُتَعَلَّقَاتِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ أَنْفَعَ لِلسَّائِلِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ.

فَيَكُونُ فَرَحُهُ بِتِلْكَ الْمُتَعَلَّقَاتِ، وَاللَّوَازِمِ: أَعْظَمَ مِنْ فَرَحِهِ بِمَسْأَلَتِهِ وَهَذِهِ فَتَاوِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ. فَمَنْ أَحَبَّ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا رَأَى ذَلِكَ[١].

## ۞ جُودُهُ بِالْعِلْمِ.

**قال ابن القيم:**

وَكَانَ خُصُومُهُ - يَعْنِي شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ - يَعِيبُونَهُ بِذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: سَأَلَهُ السَّائِلُ عَنْ طَرِيقِ مِصْرَ - مَثَلًا - فَيَذْكُرُ لَهُ مَعَهَا طَرِيقَ مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةِ، وَخُرَاسَانَ، وَالْعِرَاقِ، وَالْهِنْدِ. وَأَيُّ حَاجَةٍ بِالسَّائِلِ إِلَى ذَلِكَ؟

وَلَعَمْرُ اللهِ لَيْسَ ذَلِكَ بِعَيْبٍ، وَإِنَّمَا الْعَيْبُ: الْجَهْلُ وَالْكِبْرُ.

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٢٧٩.

وَهَذَا مَوْضِعُ الْمَثَلِ الْمَشْهُورِ:

مِثْلَ مَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْعُنْقُودِ لَقَّبُوهُ بِحَامِضٍ وَهْوَ خَلٌّ[(١)]

**۞ دَلَالَةِ الْعَالِمِ لِلْمُسْتَفْتِي عَلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مُعِينٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِمَّا مُعِينٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.**

**قال ابن القيم:**

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ:

فِي دَلَالَةِ الْعَالِمِ لِلْمُسْتَفْتِي عَلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ مَوْضِعُ خَطَرٍ جِدًّا، فَلْيَنْظُرْ الرَّجُلُ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مُتَسَبِّبٌ بِدَلَالَتِهِ إِمَّا إِلَى الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فِي أَحْكَامِهِ أَوْ الْقَوْلِ عَلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ، فَهُوَ مُعِينٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِمَّا مُعِينٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَلْيَنْظُرْ الْإِنْسَانُ إِلَى مَنْ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ.

فَكَانَ شَيْخُنَا - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - شَدِيدَ التَّجَنُّبِ لِذَلِكَ، وَدَلَّلْتُ مَرَّةً بِحَضْرَتِهِ عَلَى مُفْتٍ أَوْ مَذْهَبٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مَا لَكَ وَلَهُ؟ دَعْهُ.

فَفَهِمْتُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّكَ لَتَبُوءُ بِمَا عَسَاهُ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ الْإِثْمِ وَلِمَنْ أَفْتَاهُ، ثُمَّ رَأَيْتُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِعَيْنِهَا مَنْصُوصَةً عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

قَالَ أَبُو دَاوُد فِي مَسَائِلِهِ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ: الرَّجُلُ يَسْأَلُ عَنْ الْمَسْأَلَةِ فَأَدُلُّهُ عَلَى إِنْسَانٍ يَسْأَلُهُ؟ فَقَالَ: إِذَا كَانَ - يَعْنِي الَّذِي أَرْشَدْتَهُ إِلَيْهِ - مُتَّبِعًا وَيُفْتِي بِالسُّنَّةِ، فَقِيلَ لِأَحْمَدَ: إِنَّهُ يُرِيدُ الِاتِّبَاعَ وَلَيْسَ كُلُّ قَوْلِهِ يُصِيبُ، فَقَالَ أَحْمَدُ: وَمَنْ يُصِيبُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؟ قُلْتُ لَهُ: فَرَأْيُ مَالِكٍ، فَقَالَ: لَا تَتَقَلَّدْ فِي مِثْلِ هَذَا بِشَيْءٍ، قُلْتُ: وَأَحْمَدُ كَانَ يَدُلُّ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَيَدُلُّ عَلَى الشَّافِعِيِّ وَيَدُلُّ عَلَى إِسْحَاقَ وَلَا خِلَافَ عَنْهُ فِي

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٢٨٠ - ٢٨١.

اسْتِفْتَاءِ هَؤُلَاءِ، وَلَا خِلَافَ عَنْهُ فِي أَنَّهُ لَا يَسْتَفْتِي أَهْلَ الرَّأْيِ الْمُخَالِفُونَ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ، وَلَا سِيَّمَا كَثِيرٌ مِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى الْفَتْوَى فِي هَذَا الزَّمَانِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ رَأَى رَجُلٌ رَبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ اسْتُفْتِيَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَظَهَرَ فِي الْإِسْلَامِ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

قَالَ: وَلِبَعْضِ مَنْ يُفْتِي هَهُنَا أَحَقُّ بِالسِّجْنِ مِنْ السُّرَّاقِ.

**قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ:** فَكَيْفَ لَوْ رَأَى رَبِيعَةُ زَمَانَنَا، وَإِقْدَامُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ عَلَى الْفُتْيَا، وَتَوَثُّبُهُ عَلَيْهَا، وَمَدَّ بَاعِ التَّكَلُّفِ إلَيْهَا، وَتَسَلُّقَهُ بِالْجَهْلِ وَالْجُرْأَةَ عَلَيْهَا مَعَ قِلَّةِ الْخِبْرَةِ وَسُوءِ السِّيرَةِ وَشُؤْمِ السَّرِيرَةِ، وَهُوَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْعِلْمِ مُنْكَرٌ أَوْ غَرِيبٌ، فَلَيْسَ لَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ نَصِيبٌ، وَلَا يُبْدِي جَوَابًا بِإِحْسَانٍ، وَإِنْ سَاعَدَ الْقَدْرُ فَتْوَاهُ كَذَلِكَ يَقُولُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ.

يَمُدُّونَ لِلْإِفْتَاءِ بَاعًا قَصِيرَةً ... وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الْفَتَاوَى يُكَذْلِكُ

**وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ نَصِيبُهُمْ مِثْلُ مَا حَكَاهُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ، قَالَ:**

كَانَ عِنْدَنَا مُفْتٍ قَلِيلُ الْبِضَاعَةِ، فَكَانَ لَا يُفْتِي حَتَّى يَتَقَدَّمَهُ مَنْ يَكْتُبُ الْجَوَابَ فَيَكْتُبُ تَحْتَهُ: جَوَابِي مِثْلُ جَوَابِ الشَّيْخِ، فَقُدِّرَ أَنْ اخْتَلَفَ مُفْتِيَانِ فِي جَوَابٍ، فَكَتَبَ تَحْتَهُمَا: جَوَابِي مِثْلُ جَوَابِ الشَّيْخَيْنِ، فَقِيلَ لَهُ: إنَّهُمَا قَدْ تَنَاقَضَا، فَقَالَ: وَأَنَا أَيْضًا تَنَاقَضْتُ كَمَا تَنَاقَضَا.

وَقَدْ أَقَامَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلِّ عَالِمٍ وَرَئِيسٍ وَفَاضِلٍ مِنْ يُظْهِرُ مُمَاثَلَتَهُ، وَيَرَى الْجُهَّالُ وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ مُسَاجَلَتَهُ وَمُشَاكَلَتَهُ، وَأَنَّهُ يَجْرِي مَعَهُ فِي الْمَيْدَانِ، وَأَنَّهُمَا عِنْدَ الْمُسَابَقَةِ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، وَلَا سِيَّمَا إذَا طَوَّلَ الْأَرْدَانَ، وَأَرْخَى الذَّوَائِبَ الطَّوِيلَةَ وَرَاءَهُ كَذَنَبِ الْأَتَانِ، وَهَدَرَ بِاللِّسَانِ، وَخَلَا لَهُ الْمَيْدَانُ الطَّوِيلُ مِنْ الْفُرْسَانِ.

**فَلَوْ لَبِسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ لَقَالَ النَّاسُ: يَا لَكَ مِنْ حِمَارِ**

وَهَذَا الضَّرْبُ إِنَّمَا يُسْتَفْتَوْنَ بِالشَّكْلِ لَا بِالْفَضْلِ، وَبِالْمَنَاصِبِ لَا بِالْأَهْلِيَّةِ، قَدْ غَرَّهُمْ عُكُوفُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ عَلَيْهِمْ، وَمُسَارَعَةُ مَنْ أَجْهَلُ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، تَعُجُّ مِنْهُمْ الْحُقُوقُ إِلَى اللهِ - تَعَالَى - عَجِيجًا، وَتَضِجُّ مِنْهُمْ الْأَحْكَامُ إِلَى مَنْ أَنْزَلَهَا ضَجِيجًا.

فَمَنْ أَقْدَمَ بِالْجُرْأَةِ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ مِنْ فُتْيَا أَوْ قَضَاءٍ أَوْ تَدْرِيسٍ، اسْتَحَقَّ اسْمَ الذَّمِّ، وَلَمْ يَحِلَّ قَبُولُ فُتْيَاهُ وَلَا قَضَائِهِ، هَذَا حُكْمُ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفٌ مِنْ أُنَاسٍ ... فَقُلْ يَا رَبِّ لَا تُرْغِمْ سِوَاهَا(١)

### ۞ عبثُ المُفْتِينَ.

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا يَقُولُ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ يَقُولُ عَنْ بَعْضِ الْمُفْتِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ: يَكُونُ عِنْدَهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

**أَحَدُهَا** الْجَوَازُ، **وَالثَّانِي** الْمَنْعُ، **وَالثَّالِثُ** التَّفْصِيلُ، فَالْجَوَازُ لَهُمْ، وَالْمَنْعُ لِغَيْرِهِمْ، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ(٢).

### ۞ الاحْتِسَابُ عَلَى الفَتْوَى.

**قال ابن القيم:**

وَكَانَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَدِيدَ الْإِنْكَارِ عَلَى هَؤُلَاءِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:

قَالَ لِي بَعْضُ هَؤُلَاءِ: أَجُعِلْتَ مُحْتَسِبًا عَلَى الْفَتْوَى؟

فَقُلْتُ لَهُ: يَكُونُ عَلَى الْخَبَّازِينَ وَالطَّبَّاخِينَ مُحْتَسِبٌ وَلَا يَكُونُ عَلَى الْفَتْوَى مُحْتَسِبٌ؟(٣)

---

(١) إعلام الموقعين: ٤/ ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) إعلام الموقعين: ٤/ ١٦٢.

(٣) إعلام الموقعين: ٤/ ١٦٧.

### الرُّجُوعُ عنِ الْمَذَاهِبِ.

قال ابن القيم:

وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

جَاءَنِي بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ فَقَالَ: أَسْتَشِيرُكَ فِي أَمْرٍ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟

قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَنْتَقِلَ عَنْ مَذْهَبِي، قُلْتُ لَهُ: وَلِمَ؟

قَالَ: لِأَنِّي أَرَى الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ كَثِيرًا تُخَالِفُهُ، وَاسْتَشَرْتُ فِي هَذَا بَعْضَ أَئِمَّةِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ فَقَالَ لِي:

لَوْ رَجَعْتَ عَنْ مَذْهَبِكَ لَمْ يَرْتَفِعْ ذَلِكَ مِنَ الْمَذْهَبِ، وَقَدْ تَقَرَّرَتْ الْمَذَاهِبُ، وَرُجُوعُكَ غَيْرُ مُفِيدٍ، وَأَشَارَ عَلَيَّ بَعْضُ مَشَايِخِ التَّصَوُّفِ بِالِافْتِقَارِ إِلَى اللهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ وَسُؤَالِ الْهِدَايَةِ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، فَمَاذَا تُشِيرُ بِهِ أَنْتَ عَلَيَّ؟

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: اجْعَلْ الْمَذْهَبَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ الْحَقُّ فِيهِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ مُوَافِقٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَاقْضِ بِهِ وَأَفْتِ بِهِ طَيِّبَ النَّفْسِ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ.

وَقِسْمٌ مَرْجُوحٌ وَمُخَالِفُهُ مَعَهُ الدَّلِيلُ فَلَا تُفْتِ بِهِ وَلَا تَحْكُمْ بِهِ وَادْفَعْهُ عَنْكَ.

وَقِسْمٌ مِنْ مَسَائِلِ الِاجْتِهَادِ الَّتِي الْأَدِلَّةُ فِيهَا مُتَجَاذِبَةٌ؛ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُفْتِيَ بِهِ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَدْفَعَهُ عَنْكَ، فَقَالَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، أَوْ كَمَا قَالَ(١).

---

(١) إعلام الموقعين: ٤/ ١٨٢.

وقال ابن القيم:

وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

حَضَرْتُ عَقْدَ مَجْلِسٍ عِنْدَ نَائِبِ السُّلْطَانِ فِي وَقْفٍ أَفْتَى فِيهِ قَاضِي الْبَلَدِ بِجَوَابَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَقَرَأَ جَوَابَهُ الْمُوَافِقَ لِلْحَقِّ، فَأَخْرَجَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ جَوَابَهُ الْأَوَّلَ، وَقَالَ:

هَذَا جَوَابُكَ بِضِدِّ هَذَا فَكَيْفَ تَكْتُبُ جَوَابَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ فِي وَاقِعَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَوَجَمَ الْحَاكِمُ، فَقُلْتُ: هَذَا مِنْ عِلْمِهِ وَدِينِهِ، أَفْتَى أَوَّلًا بِشَيْءٍ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابُ فَرَجَعَ إِلَيْهِ، كَمَا يُفْتِي إِمَامُهُ بِقَوْلٍ ثُمَّ يَتَبَيَّنُ لَهُ خِلَافُهُ فَيَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ وَلَا دِينِهِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَئِمَّةِ، فُسِّرَ بِذَلِكَ وَسُرِّيَ عَنْهُ[١].

❁ **لَا يَسَعُ الْمُفْتِي أَنْ يُفْتِيَ بِمَا يَعْتَقِدُ الصَّوَابَ فِي خِلَافِهِ.**

قال ابن القيم:

فَسَأَلْتُ شَيْخَنَا قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ:

أَكْثَرُ الْمُسْتَفْتِينَ لَا يَخْطُرُ بِقَلْبِهِ مَذْهَبٌ مُعَيَّنٌ عِنْدَ الْوَاقِعَةِ الَّتِي سَأَلَ عَنْهَا، وَإِنَّمَا سُؤَالُهُ عَنْ حُكْمِهَا وَمَا يُعْمَلُ بِهِ فِيهَا، فَلَا يَسَعُ الْمُفْتِي أَنْ يُفْتِيَهُ بِمَا يَعْتَقِدُ الصَّوَابَ فِي خِلَافِهِ[٢].

---

(١) إعلام الموقعين: ٤/ ١٧٩.

(٢) إعلام الموقعين: ٤/ ١٨٣.

## ۞ دعاءٌ حَقيقٌ بالْمُفْتي أنْ يُكْثِر منْه.

قال ابن القيم:

حَقِيقٌ بِالْمُفْتِي أَنْ يُكْثِرَ الدُّعَاءَ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(١).

وَكَانَ شَيْخُنَا كَثِيرَ الدُّعَاءِ بِذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ الْمَسَائِلُ يَقُولُ:

" يَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلِّمْنِي " وَيُكْثِرُ الِاسْتِعَانَةَ بِذَلِكَ اقْتِدَاءً بِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ لِمَالِكِ بْنِ يَخَامِرَ السَّكْسَكِيِّ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَقَدْ رَآهُ يَبْكِي، فَقَالَ:

وَاللهِ مَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَا كُنْتُ أُصِيبُهَا مِنْكَ، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ اللَّذَيْنِ كُنْتُ أَتَعَلَّمُهُمَا مِنْكَ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنْ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا، اُطْلُبْ الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةٍ: عِنْدَ عُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَذَكَرَ الرَّابِعَ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ هَؤُلَاءِ فَسَائِرُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَنْهُ أَعْجَزُ، فَعَلَيْكَ بِمُعَلِّمِ إبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْه.

وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ عِنْدَ الْإِفْتَاءِ: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(٢).

---

(١) صحيح مسلم: (٧٧٠).

(٢) إعلام الموقعين: ٤/ ١٩٨.

**❁ عدمُ إجابةِ من لا يستفتُونَ للدِّينِ، بلْ لِوُصُولِهِمْ إلى أغْراضِهِمْ.**

قال ابن القيم:

وَقَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَرَّةً:

أَنَا مُخَيَّرٌ بَيْنَ إِفْتَاءِ هَؤُلَاءِ(١) وَتَرْكِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَفْتُونَ لِلدِّينِ، بَلْ لِوُصُولِهِمْ إِلَى أَغْرَاضِهِمْ حَيْثُ كَانَتْ، وَلَوْ وَجَدُوهَا عِنْدَ غَيْرِي لَمْ يَجِيئُوا إِلَيَّ، بِخِلَافِ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي حَقِّ مَنْ جَاءَهُ يَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ لِأَجْلِ غَرَضِهِ لَا لِالْتِزَامِهِ لِدِينِهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ [المائدة:٤٢] فَهَؤُلَاءِ لَمَّا لَمْ يَلْتَزِمُوا دِينَهُ لَمْ يَلْزَمْهُ الْحُكْمُ بَيْنَهُمْ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ(٢).



(١) قال ابن القيم: لَا يَسْتَفْتُونَ دِيَانَةً، وَإِنَّمَا يَسْتَفْتُونَ تَوَصُّلًا إِلَى حُصُولِ أَغْرَاضِهِمْ بِأَيِّ طَرِيقٍ اتَّفَقَ، فَلَا يَجِبُ عَلَى الْمُفْتِي مُسَاعَدَتُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ الْحَقَّ، بَلْ يُرِيدُونَ أَغْرَاضَهُمْ بِأَيِّ طَرِيقٍ وَافَقَ، وَلِهَذَا إِذَا وَجَدُوا أَغْرَاضَهُمْ فِي أَيِّ مَذْهَبٍ اتَّفَقَ اتَّبَعُوهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَتَمَذْهَبُوا بِهِ، كَمَا يَفْعَلُهُ أَرْبَابُ الْخُصُومَاتِ بِالدَّعَاوَى عِنْدَ الْحُكَّامِ، وَلَا يَقْصِدُ أَحَدُهُمْ حَاكِمًا بِعَيْنِهِ، بَلْ أَيُّ حَاكِمٍ نَفَذَ غَرَضُهُ عِنْدَهُ صَارَ إِلَيْهِ. إعلام الموقعين: ٤/ ١٩٩.

(٢) إعلام الموقعين: ٤/ ٢٠٠.



# كَلامُه عَنِ القُلُوب

۞ **الْخَطَايا تُوجِبُ للْقَلْبِ حَرارَةً ونَجَاسَةً وضَعْفًا.**

**قال ابن القيم:**

وسَأَلْتُ شَيْخَ الإسْلَامِ عن مَعْنَى دُعَاءِ النّبي ﷺ: «**اللّهُمَّ طَهِّرْني مِنْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**».

كَيْفَ يُطَهِّر الخَطَايَا بذَلِكَ؟ وما فائِدَةُ التَّخْصِيصِ بذَلِكَ؟ وقَوْلِه في لَفْظٍ آخَرَ «**والْمَاءِ البَارِدِ**» والحَارُّ أبْلَغُ في الإنقَاءِ؟

فقال: الْخَطَايا تُوجِبُ لِلْقَلْبِ حَرَارَةً ونَجَاسَةً وضَعْفًا، فَيَرْتَخِي القَلْبُ وتَضطَّرِمُ فيه نَارُ الشَّهْوَةِ وتُنَجِّسُهُ، فإنَّ الْخَطَايَا والذُّنُوبَ له بِمَنْزِلَةِ الْحَطَبِ الذِي يَمُدُّ النَّارَ ويُوقِدُها ولهَذَا كلَّمَا كَثُرَتْ الْخَطَايَا اشْتَدَّتْ نَارُ القَلْبِ وَضَعْفُه، والْمَاءُ يَغْسِلُ الْخَبَثَ ويُطْفِئ النَّارَ، فإنْ كانَ بارِدًا أَوْرَثَ الْجِسْمَ صَلابَةً وقُوَّةً، فإنْ كانَ مَعَهُ ثَلْجٌ وبَرَدٌ كانَ أَقْوَى في التَّبْرِيدِ وصَلَابَةِ الْجِسْمِ وشِدَّتِهِ، فكانَ أَذْهَبَ لأَثَرِ الخَطَايَا.

هذَا مَعْنَى كلامِهِ، وهُوَ مُحْتَاجٌ إلى مَزِيدِ بَيَانٍ وشَرْحٍ[١].

**وقال ابن القيم:**

وقال لي مرة: الْمَحْبُوسُ مَنْ حُبِسَ قَلْبُهُ عن رَّبِّهِ تعالى والْمَأْسُورُ مَنْ أَسَرَهُ هَوَاهُ[٢].

---

(١) إغاثة اللهفان: ١/ ٥٧.

(٢) الوابل الصيب: ص ٤٨.

**وقال ابن القيم:**

وَرَأَيْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - فِي الْمَنَامِ، وَكَأَنِّي ذَكَرْتُ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ، وَأَخَذْتُ فِي تَعْظِيمِهِ وَمَنْفَعَتِهِ - لَا أَذْكُرُهُ الْآنَ - فَقَالَ:

أَمَّا أَنَا فَطَرِيقَتِي: الْفَرَحُ بِاللهِ، وَالسُّرُورُ بِهِ، أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْعِبَارَةِ.

وَهَكَذَا كَانَتْ حَالُهُ فِي الْحَيَاةِ. يَبْدُو ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَيُنَادِي بِهِ عَلَيْهِ حَالُهُ(١).

## أَنْوَاعُ الوِلَادَةِ.

### ۞ وِلَادَةُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ.

**قال ابن القيم:**

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ. وَيُفَسِّرُهُ بِأَنَّ الْوِلَادَةَ نَوْعَانِ:

**أَحَدُهُمَا:** هَذِهِ الْمَعْرُوفَةُ.

**وَالثَّانِيَةُ:** وِلَادَةُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَخُرُوجُهُمَا مِنْ مَشِيمَةِ النَّفْسِ، وَظُلْمَةِ الطَّبْعِ.

قَالَ: وَهَذِهِ الْوِلَادَةُ لَمَّا كَانَتْ بِسَبَبِ الرَّسُولِ كَانَ كَالْأَبِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ قَرَأَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ**».

قَالَ: وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ وَالْقِرَاءَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦] إِذْ ثُبُوتُ أُمُومَةِ أَزْوَاجِهِ لَهُمْ: فَرْعٌ عَنْ ثُبُوتِ أُبُوَّتِهِ.

قَالَ: فَالشَّيْخُ وَالْمُعَلِّمُ وَالْمُؤَدِّبُ أَبُ الرُّوحِ. وَالْوَالِدُ أَبُ الْجِسْمِ(٢).

---

(١) مدارج السالكين:٢/ ١٧٤.

(٢) مدارج السالكين: ٣/ ٧٠.

**وقال ابن القيم:**

وَفِي كِتَابِ "الزُّهْدِ" لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ: أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ: إِنَّكُمْ لَنْ تَلِجُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ حَتَّى تُولَدُوا مَرَّتَيْنِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ:

هِيَ وِلَادَةُ الْأَرْوَاحِ وَالْقُلُوبِ مِنَ الْأَبْدَانِ، وَخُرُوجُهَا مِنْ عَالِمِ الطَّبِيعَةِ، كَمَا وُلِدَتِ الْأَبْدَانُ مِنَ الْبَدَنِ وَخَرَجَتْ مِنْهُ.

وَالْوِلَادَةُ الْأُخْرَى: هِيَ الْوِلَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ. وَاللهُ أَعْلَمُ[١].

**قال ابن القيم:**

وَمِمَّا يُذْكَرُ عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَنْ تَلِجُوا مَلَكُوتَ السَّمَاءِ حَتَّى تُولَدُوا مَرَّتَيْنِ**»[٢].



(١) مدارج السالكين: ٣/ ١٣٤.

(٢) مدارج السالكين: ٣/ ٢٤٨.

## من كَلامِهِ في النِّكَاحِ

❁ لا يُحْبَسُ الزَّوْجُ فِي صَدَاقِ امْرَأَتِهِ.

قال ابن القيم:

قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَذَلِكَ لَمْ يَحْبِسْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا أَحَدٌ مِنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ زَوْجًا فِي صَدَاقِ امْرَأَتِهِ أَصْلًا(١).

❁ مُطَالَبَةُ النِّسَاءِ بِالصَّدَقَاتِ الْمُؤَخَّرَةِ.

قال ابن القيم:

قَالَ شَيْخُنَا: وَمِنْ حِينِ سُلِّطَ النِّسَاءُ عَلَى الْمُطَالَبَةِ بِالصَّدَقَاتِ الْمُؤَخَّرَةِ، وَحَبْسِ الْأَزْوَاجِ عَلَيْهَا، حَدَثَ مِنْ الشُّرُورِ وَالْفَسَادِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ.

وَصَارَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا أَحَسَّتْ مِنْ زَوْجِهَا بِصِيَانَتِهَا فِي الْبَيْتِ، وَمَنْعِهَا مِنْ الْبُرُوزِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَنْزِلِهِ وَالذَّهَابِ حَيْثُ شَاءَتْ: تَدَّعِي بِصَدَاقِهَا، وَتَحْبِسُ الزَّوْجَ عَلَيْهِ، وَتَنْطَلِقُ حَيْثُ شَاءَتْ، فَيَبِيتُ الزَّوْجُ وَيَظَلُّ يَتَلَوَّى فِي الْحَبْسِ، وَتَبِيتُ الْمَرْأَةُ فِيمَا تَبِيتُ فِيهِ. فَإِنْ قِيلَ: فَالشَّرْطُ إِنَّمَا يَكْتُبُهُ حَالًّا فِي ذِمَّتِهِ تُطَالِبُهُ بِهِ مَتَى شَاءَتْ.

قِيلَ: لَا عِبْرَةَ بِهَذَا بَعْدَ الِاطِّلَاعِ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ، وَأَنَّ الزَّوْجَ لَوْ عَرَفَ أَنَّ هَذَا دَيْنٌ حَالٌّ تُطَالِبُهُ بِهِ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ شَهْرٍ، وَتَحْبِسُهُ عَلَيْهِ: لَمْ يُقْدِمْ عَلَى ذَلِكَ أَبَدًا، وَإِنَّمَا

---

(١) الطرق الحكمية: ص ٥٨.

دَخلُوا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مُسَمًّى، تَتَجَمَّلُ بِهِ الْمَرْأَةُ، وَالْمَهْرُ هُوَ مَا سَاقَ إِلَيْهَا، فَإِنْ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا طَلَاقٌ أَوْ مَوْتٌ، طَالَبَتْهُ بِذَلِكَ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي فِي نَظَرِ النَّاسِ وَعُرْفِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ، وَلَا تَسْتَقِيمُ أُمُورُهُمْ إِلَّا بِهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ(١).



(١) الطرق الحكمية: ص ٥٨.

# الطّلاقُ

## ❁ أَقْسَامُ الغَضَبِ.

**قال ابن القيم:**

وَقَسَّمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ الْغَضَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ يُزِيلُ الْعَقْلَ كَالسُّكْرِ، فَهَذَا لَا يَقَعُ مَعَهُ طَلَاقٌ بِلَا رَيْبٍ.

وَقِسْمٌ يَكُونُ فِي مَبَادِئِهِ بِحَيْثُ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ تَصَوُّرِ مَا يَقُولُ وَقَصْدُهُ، فَهَذَا يَقَعُ مَعَهُ الطَّلَاقُ.

وَقِسْمٌ يَشْتَدُّ بِصَاحِبِهِ، وَلَا يَبْلُغُ بِهِ زَوَالَ عَقْلِهِ، بَلْ يَمْنَعُهُ مِنَ التَّثَبُّتِ وَالتَّرَوِّي وَيُخْرِجُهُ عَنْ حَالِ اعْتِدَالِهِ، فَهَذَا مَحَلُّ اجْتِهَادٍ(١).

## ❁ حَقِيقَةُ الْإِغْلَاقِ أَنْ يُغْلَقَ عَلَى الرَّجُلِ قَلْبُهُ، فَلَا يَقْصِدُ الْكَلَامَ، أَوْ لَا يَعْلَمُ بِهِ.

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا: وَحَقِيقَةُ الْإِغْلَاقِ أَنْ يُغْلَقَ عَلَى الرَّجُلِ قَلْبُهُ، فَلَا يَقْصِدُ الْكَلَامَ، أَوْ لَا يَعْلَمُ بِهِ، كَأَنَّهُ انْغَلَقَ عَلَيْهِ قَصْدُهُ وَإِرَادَتُهُ.

قُلْتُ: قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ: الْغَلْقُ: ضِيقُ الصَّدْرِ، وَقِلَّةُ الصَّبْرِ بِحَيْثُ لَا يَجِدُ مَخْلَصًا.

---

(١) إعلام الموقعين: ٤/ ٤٠.

قَالَ شَيْخُنَا:

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ طَلَاقُ الْمُكْرَهِ وَالْمَجْنُونِ، وَمَنْ زَالَ عَقْلُهُ بِسُكْرٍ أَوْ غَضَبٍ، وَكُلُّ مَنْ لَا قَصْدَ لَهُ وَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِمَا قَالَ.

**وَالْغَضَبُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:**

**أَحَدُهَا:** مَا يُزِيلُ الْعَقْلَ، فَلَا يَشْعُرُ صَاحِبُهُ بِمَا قَالَ، وَهَذَا لَا يَقَعُ طَلَاقُهُ بِلَا نِزَاعٍ.

**وَالثَّانِي:** مَا يَكُونُ فِي مَبَادِيهِ بِحَيْثُ لَا يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ تَصَوُّرِ مَا يَقُولُ وَقَصْدِهِ، فَهَذَا يَقَعُ طَلَاقُهُ.

**الثَّالِثُ:** أَنْ يَسْتَحْكِمَ وَيَشْتَدَّ بِهِ، فَلَا يُزِيلُ عَقْلَهُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَكِنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نِيَّتِهِ بِحَيْثُ يَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ إِذَا زَالَ، فَهَذَا مَحَلُّ نَظَرٍ، وَعَدَمُ الْوُقُوعِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَوِيٌّ مُتَّجِهٌ[1].

**۞ لا تَحْصُلُ الْفُرْقَةُ بِمُجَرَّدِ إِسْلَامِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ الْمُشْرِكَيْنِ.**

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ بِمُجَرَّدِ إِسْلَامِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ الْمُشْرِكَيْنِ تَحْصُلُ الْفُرْقَةُ قَبْلَ الدُّخُولِ، أَوْ بَعْدَهُ، فَهَذَا قَوْلٌ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ، فَإِنَّهُ خِلَافُ الْمَعْلُومِ الْمُتَوَاتِرِ مِنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ كَانَ يَسْبِقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالتَّكَلُّمِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَتَارَةً يُسْلِمُ الرَّجُلُ وَتَبْقَى الْمَرْأَةُ مُدَّةً ثُمَّ تُسْلِمُ، كَمَا أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ قَبْلَ الرِّجَالِ.

وَرُوِيَ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ أَسْلَمَتْ قَبْلَ أَبِي طَلْحَةَ، وَتَارَةً يُسْلِمُ الرَّجُلُ قَبْلَ الْمَرْأَةِ، ثُمَّ تُسْلِمُ بَعْدَهُ بِمُدَّةٍ قَرِيبَةٍ، أَوْ بَعِيدَةٍ وَلَيْسَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: هَذَا كَانَ قَبْلَ

---

(١) زاد المعاد: ٥/ ١٩٥ – ١٩٦.

تَحْرِيمِ نِكَاحِ الْمُشْرِكِينَ لِوَجْهَيْنِ:

**أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ تَقَدُّمُ ذَلِكَ فَدَعْوَى الْمُدَّعِي أَنَّ هَذَا مَنْسُوخٌ تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ.

**الْوَجْهُ الثَّانِي:**

أَنْ يُقَالَ: لَقَدْ أَسْلَمَ النَّاسُ، وَدَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا بَعْدَ نُزُولِ تَحْرِيمِ الْمُشْرِكَاتِ، وَنُزُولِ النَّهْيِ عَنِ التَّمَسُّكِ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ، فَأَسْلَمَ الطُّلَقَاءُ بِمَكَّةَ، وَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ، وَهُمْ أَهْلُ مَدِينَةٍ،وَكَانَ إِسْلَامُهُمْ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَنَصَبَ عَلَيْهِمُ الْمَنْجَنِيقَ، وَلَمْ يَفْتَحْهَا، ثُمَّ قَسَّمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ بِالْجِعِرَّانَةِ، وَاعْتَمَرَ عُمْرَةَ الْجِعِرَّانَةِ، ثُمَّ رَجَعَ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ وَفَدَ وَفْدُ الطَّائِفِ فَأَسْلَمُوا، وَنِسَاؤُهُمْ بِالْبَلَدِ لَمْ يُسْلِمْنَ، ثُمَّ رَجَعُوا، وَأَسْلَمَ نِسَاؤُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ إِسْلَامَ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ قَبْلَ الْآخَرِ يُوجِبُ تَعْجِيلَ الْفُرْقَةِ قَبْلَ الدُّخُولِ أَوْ بَعْدَهُ، فَقَوْلُهُ مَقْطُوعٌ بِخَطَئِهِ، وَلَمْ يَسْأَلِ النَّبِيُّ ﷺ أَحَدًا مِمَّنْ أَسْلَمَ: هَلْ دَخَلْتَ بِامْرَأَتِكَ أَمْ لَا؟ بَلْ كُلُّ مَنْ أَسْلَمَ، وَأَسْلَمَتِ امْرَأَتُهُ بَعْدَهُ فَهِيَ امْرَأَتُهُ مِنْ غَيْرِ تَجْدِيدِ نِكَاحٍ، وَقَدْ قَدِمَ عَلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ، وَكَانُوا يُسْلِمُونَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، فَيُسْلِمُ نِسَاؤُهُمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ بَعْدَ إِسْلَامِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَبَعَثَ عَلِيًّا، وَمُعَاذًا، وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، فَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مَنْ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ مِنَ الرِّجَالِ، وَالنِّسَاءِ، وَمَعْلُومٌ قَطْعًا أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِمْ فَيُسْلِمُ قَبْلَ امْرَأَتِهِ، وَالْمَرْأَةُ تَأْتِيهِمْ فَتُسْلِمُ قَبْلَ الرَّجُلِ، وَلَمْ يَقُولُوا لِأَحَدٍ: لِيَكُنْ تَلَفُّظُكَ وَتَلَفُّظُ امْرَأَتِكَ بِالْإِسْلَامِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، لِئَلَّا يَنْفَسِخَ النِّكَاحُ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مَنْ دَخَلَ بِامْرَأَتِهِ، وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ، وَلَا حَدُّوا ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ قُرُوءٍ، ثُمَّ يَقَعُ الْفَسْخُ بَعْدَهَا، بَلْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَدْ بَاشَرَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي غَيْبَتِهِ عَنْهُ - قَدْ قَالَ: «**هُوَ أَحَقُّ بِهَا مَا لَمْ تَخْرُجْ مِنْ مِصْرِهَا**»، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: «**مَا لَمْ تَخْرُجْ مِنْ دَارِ هِجْرَتِهَا**»، وَلَمْ يُعَجِّلِ

الْفُرْقَةَ، وَلَا حَدَّهَا بِثَلَاثَةِ قُرُوءٍ، وَفِي قَضِيَّةِ زَيْنَبَ الشِّفَاءُ وَالْعِصْمَةُ، وَكَانَتْ سُنَّتُهُ ﷺ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِذَا أَسْلَمَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الْآخَرِ، وَتَرَاضَيَا بِبَقَائِهِمَا عَلَى النِّكَاحِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا، وَلَا يُحْوِجُهُمَا إِلَى عَقْدٍ جَدِيدٍ، فَإِذَا أَسْلَمَتِ الْمَرْأَةُ أَوَّلًا فَلَهَا أَنْ تَتَرَبَّصَ بِإِسْلَامِ زَوْجِهَا، أَيَّ وَقْتٍ أَسْلَمَ فَهِيَ امْرَأَتُهُ، وَإِذَا أَسْلَمَ الرَّجُلُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْبِسَ الْمَرْأَةَ عَلَى نَفْسِهِ، وَيُمْسِكَ بِعِصْمَتِهَا، فَلَا يُكْرِهُهَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا يَحْبِسُهَا عَلَى نَفْسِهِ، فَلَا يَظْلِمُهَا فِي الدِّينِ، وَلَا فِي النِّكَاحِ، بَلْ إِنِ اخْتَارَتْ هِيَ أَنْ تَتَرَبَّصَ بِإِسْلَامِهِ تَرَبَّصَتْ، طَالَتِ الْمُدَّةُ، أَوْ قَصُرَتْ، وَإِنِ اخْتَارَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا فَلَهَا ذَلِكَ، وَالْعِدَّةُ هَاهُنَا لِحِفْظِ مَاءِ الزَّوْجِ الْأَوَّلِ، وَأَيُّهُمَا أَسْلَمَ فِي الْعِدَّةِ، أَوْ بَعْدَهَا، فَالنِّكَاحُ بِحَالِهِ إِلَّا أَنْ يَخْتَارَ الرَّجُلُ الطَّلَاقَ فَيُطَلِّقُ كَمَا طَلَّقَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْرَأَتَيْنِ لَهُ مُشْرِكَتَيْنِ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] ، أَوْ تَخْتَارُ الْمَرْأَةُ أَنْ تُزَوَّجَ بَعْدَ اسْتِبْرَائِهَا، فَلَهَا ذَلِكَ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ فِي هَذَا تَنْفِيرًا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا عَلِمَتْ أَوِ الزَّوْجُ أَنَّهُ بِمُجَرَّدِ الْإِسْلَامِ يَزُولُ النِّكَاحُ، وَيُفَارِقُ مَنْ يُحِبُّ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ عَلَيْهَا سَبِيلٌ إِلَّا بِرِضَاهَا وَرِضَا وَلِيِّهَا، وَمَهْرٍ جَدِيدٍ، نَفَرَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا عَلِمَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَنَّهُ مَتَى أَسْلَمَ فَالنِّكَاحُ بِحَالِهِ، وَلَا فِرَاقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنْ يَخْتَارَ هُوَ الْمُفَارَقَةَ، كَانَ فِي ذَلِكَ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَحَبَّتِهِ مَا هُوَ أَدْعَى إِلَى الدُّخُولِ فِيهِ.

وَأَيْضًا فَبَقَاءُ مُجَرَّدِ الْعَقْدِ جَائِزًا غَيْرَ لَازِمٍ مِنْ غَيْرِ تَمْكِينٍ مِنَ الْوَطْءِ خَيْرٌ مَحْضٌ وَمَصْلَحَةٌ بِلَا مَفْسَدَةٍ، فَإِنَّ الْمَفْسَدَةَ إِمَّا بِابْتِدَاءِ اسْتِيلَاءِ الْكَافِرِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ، فَهَذَا لَا يَجُوزُ كَابْتِدَاءِ نِكَاحِهِ لِلْمُسْلِمَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ وَطْءٌ، كَمَا لَا يَجُوزُ اسْتِيلَاؤُهُ بِالِاسْتِرْقَاقِ، وَإِمَّا بِالْوَطْءِ بَعْدَ إِسْلَامِهَا، وَهَذَا لَا يَجُوزُ أَيْضًا، فَصَارَ إِبْقَاءُ النِّكَاحِ جَائِزًا فِيهِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ لِلزَّوْجَيْنِ فِي الدِّينِ، وَالدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ مَفْسَدَةٍ، وَمَا كَانَ

هَكَذَا فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ لَا تَأْتِي بِتَحْرِيمِهِ، وَكَذَلِكَ الرِّدَّةُ.

أَيْضًا الْقَوْلُ بِتَعْجِيلِ الْفُرْقَةِ فِيهَا خِلَافُ الْمَعْلُومِ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ فَقَدِ ارْتَدَّ عَلَى عَهْدِهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَرْتَدَّ امْرَأَتُهُ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ نِسَاؤُهُمْ، وَمَا عُرِفَ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ أَمَرَ أَنْ يُجَدِّدَ عَقْدَ نِكَاحِهِ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُدَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ مُدَّةِ الْعِدَّةِ، وَمَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ نِسَائِهِمْ لَمْ تَرْتَدَّ، وَلَمْ يَسْتَفْصِلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا خُلَفَاؤُهُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الرِّدَّةِ هَلْ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ أَمْ قَبْلَهَا؟ بَلِ الْمُرْتَدُّ إِنِ اسْتَمَرَّ عَلَى رِدَّتِهِ قُتِلَ، وَإِنْ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَامْرَأَتُهُ وَمَالُهُ بَاقٍ عَلَيْهِ بِحَالِهِ، فَمَالُهُ وَامْرَأَتُهُ مَوْقُوفٌ، وَفِي تَعْجِيلِ الْفُرْقَةِ تَنْفِيرٌ لَهُمْ عَنِ الْعَوْدِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَالْمَقْصُودُ تَأْلِيفُ الْقُلُوبِ عَلَى الْإِسْلَامِ بِكُلِّ طَرِيقٍ[1].



(١) أحكام أهل الذمة: ٢/ ٦٨٩ – ٦٩٥.



# طَبَقاتُ النّاسِ

۞ **خَيْرُ النَّاسِ وَشَرُّ النَّاسِ.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ يَقُولُ:

كَمَا أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ الْأَنْبِيَاءُ فَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ يُوهِمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَخَيْرُ النَّاسِ بَعْدَهُمُ الْعُلَمَاءُ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصِّدِّيقُونَ، وَالْمُخْلِصُونَ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ يُوهِمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ(١).

۞ **مَعْنَى قَوْلِ حُذَيْفَةَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «لَا أُزَكِّي بَعْدَكَ أَحَدًا».**

**قال ابن القيم:**

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِحُذَيْفَةَ: أَنْشُدُكَ اللهَ هَلْ سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَعْنِي فِي الْمُنَافِقِينَ، فَيَقُولُ: لَا، وَلَا أُزَكِّي بَعْدَكَ أَحَدًا.

فَسَمِعْتُ شَيْخَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

لَيْسَ مُرَادُهُ لَا أُبْرِئُ غَيْرَكَ مِنَ النِّفَاقِ، بَلِ الْمُرَادُ لَا أَفْتَحُ عَلَى نَفْسِي هَذَا الْبَابَ، فَكُلُّ مَنْ سَأَلَنِي هَلْ سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأُزَكِّيهِ.

**قُلْتُ (ابن القيم):**

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِلَّذِي سَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا

---

(١) الداء والدواء: ص ٣٤.

الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ: «**سَبقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ**» وَلَمْ يُرِدْ أَنَّ عُكَاشَةَ وَحْدَهُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِمَّنْ عَدَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنْ لَوْ دَعَا لَقَامَ آخَرُ وَآخَرُ وَانْفَتَحَ الْبَابُ، وَرُبَّمَا قَامَ مَنْ لَمْ يَسْتَحِقَّ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ، فَكَانَ الْإِمْسَاكُ أَوْلَى، وَاللهُ أَعْلَمُ[١].



(١) الداء والدواء: ص ٤٢.



# أَنْوَاعُ الشَّرْعِ

❁ **الشَّرْعُ الْمُنَزَّلُ، الشَّرْعُ الْمُتَأَوَّلُ، الشَّرْعُ الْمُبَدَّلُ.**

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَدْ وَقَعَ فِيهِ مِنْ التَّفْرِيطِ مِنْ بَعْضِ وُلَاةِ الْأُمُورِ وَالْعُدْوَانِ مِنْ بَعْضِهِمْ: مَا أَوْجَبَ الْجَهْلَ بِالْحَقِّ، وَالظُّلْمَ لِلْخَلْقِ، وَصَارَ لَفْظُ " الشَّرْعِ " غَيْرَ مُطَابِقٍ لِمَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ، بَلْ لَفْظُ " الشَّرْعِ " فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

**الأول**: الشَّرْعُ الْمُنَزَّلُ، وَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَاتِّبَاعُ هَذَا الشَّرْعِ وَاجِبٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَنْهُ وَجَبَ قِتَالُهُ، وَتَدْخُلُ فِيهِ أُصُولُ الدِّينِ وَفُرُوعُهُ، وَسِيَاسَةُ الْأُمَرَاءِ وَوُلَاةُ الْمَالِ، وَحُكْمُ الْحَاكِمِ، وَمَشْيَخَةُ الشُّيُوخِ، وَوُلَاةُ الْحِسْبَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْكُمُوا بِالشَّرْعِ الْمُنَزَّلِ، وَلَا يَخْرُجُوا عَنْهُ.

**الثَّانِي**: الشَّرْعُ الْمُتَأَوَّلُ، وَهُوَ مَوْرِدُ النِّزَاعِ وَالِاجْتِهَادِ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ، فَمَنْ أَخَذَ بِمَا يُسَوَّغُ فِيهِ الِاجْتِهَادُ أُقِرَّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَجِبْ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ مُوَافَقَتُهُ إِلَّا بِحُجَّةٍ لَا مَرَدَّ لَهَا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

**وَالثَّالِثُ**: الشَّرْعُ الْمُبَدَّلُ، مِثْلُ مَا يَثْبُتُ بِشَهَادَاتِ الزُّورِ، وَيُحْكَمُ فِيهِ بِالْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، أَوْ يُؤْمَرُ فِيهِ بِإِقْرَارٍ بَاطِلٍ لِإِضَاعَةِ حَقٍّ، مِثْلَ تَعْلِيمِ الْمَرِيضِ أَنْ يُقِرَّ لِوَارِثٍ بِمَا لَيْسَ لَهُ، لِيُبْطِلَ بِهِ حَقَّ بَقِيَّةِ الْوَرَثَةِ، وَالْأَمْرُ بِذَلِكَ حَرَامٌ، وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِ مُحَرَّمَةٌ، وَالْحَاكِمُ إِذَا عَرَفَ بَاطِنَ الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِلْحَقِّ فَحَكَمَ بِهِ كَانَ جَائِرًا آثِمًا،

وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ بَاطِنَ الْأَمْرِ لَمْ يَأْثَمْ، فَقَدْ قَالَ سَيِّدُ الْحُكَّامِ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِيَ بِنَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذُهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»[1].



(١) الطرق الحكمية: ص ٨٧ – ٨٨.



# أَقْسَامُ وَاجِبَاتِ الشَّرِيعَةِ

﴿ وَاجِبَاتُ الشَّرِيعَةِ: عِبَادَاتٌ، وَعُقُوبَاتٌ، وَكَفَّارَاتٌ.

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**وَاجِبَاتُ الشَّرِيعَةِ - الَّتِي هِيَ حَقُّ اللهِ تَعَالَى - ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:**

عِبَادَاتٌ، كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ.

وَعُقُوبَاتٌ: إِمَّا مَقْدُورَةٌ، وَإِمَّا مُفَوَّضَةٌ.

وَكَفَّارَاتٌ.

**وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَقْسَامِ الْوَاجِبَاتِ:** يَنْقَسِمُ إِلَى بَدَنِيٍّ، وَإِلَى مَالِيٍّ، وَإِلَى مُرَكَّبٍ مِنْهُمَا. فَالْعِبَادَاتُ الْبَدَنِيَّةُ: كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَالْمَالِيَّةُ: كَالزَّكَاةِ، وَالْمُرَكَّبَةُ: كَالْحَجِّ.

وَالْكَفَّارَاتُ الْمَالِيَّةُ: كَالْإِطْعَامِ، وَالْبَدَنِيَّةُ: كَالصِّيَامِ، وَالْمُرَكَّبَةُ: كَالْهَدْيِ يُذْبَحُ وَيُقَسَّمُ.

**وَالْعُقُوبَاتُ الْبَدَنِيَّةُ:** كَالْقَتْلِ وَالْقَطْعِ، وَالْمَالِيَّةُ: كَإِتْلَافِ أَوْعِيَةِ الْخَمْرِ، وَالْمُرَكَّبَةُ: كَجَلْدِ السَّارِقِ مِنْ غَيْرِ حِرْزٍ، وَتَضْعِيفِ الْغُرْمِ عَلَيْهِ، وَكَقَتْلِ الْكُفَّارِ وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ.

وَالْعُقُوبَاتُ الْبَدَنِيَّةُ: تَارَةً تَكُونُ جَزَاءً عَلَى مَا مَضَى، كَقَطْعِ السَّارِقِ، وَتَارَةً تَكُونُ دَفْعًا عَنْ الْفَسَادِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَتَارَةً تَكُونُ مُرَكَّبَةً، كَقَتْلِ الْقَاتِلِ.

وَكَذَلِكَ الْمَالِيَّةُ، فَإِنَّهَا مِنْهَا مَا هُوَ مِنْ بَابِ إِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، وَهِيَ تَنْقَسِمُ كَالْبَدَنِيَّةِ

إِلَى إِتْلَافٍ، وَإِلَى تَغْيِيرٍ، وَإِلَى تَمْلِيكِ الْغَيْرِ.

فَالْأَوَّلُ: الْمُنْكَرَاتُ مِنْ الْأَعْيَانِ وَالصُّوَرِ، يَجُوزُ إِتْلَافُ مَحَلِّهَا تَبَعًا لَهَا، مِثْلُ الْأَصْنَامِ الْمَعْبُودَةِ مِنْ دُونِ اللهِ، لَمَّا كَانَتْ صُوَرُهَا مُنْكَرَةً جَازَ إِتْلَافُ مَادَّتِهَا، فَإِذَا كَانَتْ حَجَرًا أَوْ خَشَبًا وَنَحْوَ ذَلِكَ: جَازَ تَكْسِيرُهَا وَتَحْرِيقُهَا، وَكَذَلِكَ آلَاتُ الْمَلَاهِي - كَالطُّنْبُورِ - يَجُوزُ إِتْلَافُهَا عِنْدَ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَأَشْهَرُ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ.

قَالَ الْأَثْرَمُ: سَمِعْت أَبَا عَبْدِ اللهِ يَسْأَلُ عَنْ رَجُلٍ كَسَرَ عُودًا كَانَ مَعَ أَمَةٍ لِإِنْسَانٍ، فَهَلْ يَغْرَمُهُ، أَوْ يُصْلِحُهُ؟ قَالَ: لَا أَرَى عَلَيْهِ بَأْسًا أَنْ يَكْسِرَهُ، وَلَا يَغْرَمُهُ وَلَا يُصْلِحُهُ، قِيلَ لَهُ: فَطَاعَتُهَا؟ قَالَ: لَيْسَ لَهَا طَاعَةٌ فِي هَذَا.

وَقَالَ أَبُو دَاوُد: سَمِعْت أَحْمَدَ يُسْأَلُ عَنْ قَوْمٍ يَلْعَبُونَ بِالشِّطْرَنْجِ، فَنَهَاهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَأَخَذَ الشِّطْرَنْجَ فَرَمَى بِهِ؟ قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ.

قِيلَ: فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا، قِيلَ لَهُ: وَكَذَلِكَ إِنْ كَسَرَ عُودًا أَوْ طُنْبُورًا؟ قَالَ: نَعَمْ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ: سَمِعْت أَبِي - فِي رَجُلٍ يَرَى مِثْلَ الطُّنْبُورِ أَوْ الْعُودِ، أَوْ الطَّبْلِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ هَذَا - مَا يَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: إذَا كَانَ مَكْشُوفًا فَاكْسِرْهُ.

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ: إنَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ سُئِلَ عَنْ الرَّجُلِ يَرَى الطُّنْبُورَ وَالْمُنْكَرَ: أَيَكْسِرُهُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ.

وَقَالَ أَبُو الصَّقْرِ: سَأَلْت أَبَا عَبْدِ اللهِ عَنْ رَجُلٍ رَأَى عُودًا أَوْ طُنْبُورًا فَكَسَرَهُ، مَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي كَسْرِهِ شَيْءٌ(١).

(١) الطرق الحكمية: ص ٢٢٩.



# الْجِهَادُ والْمُجَاهَدَةُ

❁ **جِهَادُه ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**قال ابن القيم:**

وقد شاهدتُ من قُوةِ شيْخ الإسْلام ابنِ تيميّة في سُننه وكلامِهِ وإقْدَامِه وكتَابه أمْراً عجيباً....، وقد شاهد العسكرُ من قُوّتِه في الْحَرْب أمْراً عظيماً.

وقد عَلَّم النبي ﷺ ابنتَهُ فاطِمَة وعَلِيًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنْ يُسَبّحا كلَّ ليْلَةٍ إذا أخَذُوا مَضَاجِعَهما ثلاثاً وثلاثين ويحْمَدا ثلاثاً وثلاثِين ويكبِّرا أرْبَعاً وثلاثِين لِمَّا سألَتْه الخادِمَ وشَكَتْ إلَيْه ما تُقاسِيه من الطَّحْن والسَّعْي والخِدْمَة، فعلّمها ذلكَ وقال: «**إنَّهُ خيرٌ لكُمَا من خَادِمٍ**»(١).

فقِيلَ: إنّ مَنْ داوَمَ على ذَلِك وجَدَ قُوّةً في يَومِه مُغْنِيةً عن خَادِمٍ.

وسمعتُ شيخَ الإسْلام ابنَ تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكُرُ أثراً في هذَا البَابِ ويقولُ:

إنَّ الملائِكَة لَمَّا أُمِروا بِحَمْل العَرْشِ قالوا: يا ربَّنا كيف نَحْمِلُ عرْشَك وعَلَيْه عَظَمَتُك وجَلالُكَ؟ فقال: قُولُوا: لا حوْلَ ولا قوّةَ إلا باللهِ، فلَمَّا قالُوا حَمَلُوه(٢).

**قال ابن القيم:**

وقد تقدَّمَ حديثُ عليٍّ ووصيَّةُ النبيِّ ﷺ له ولفَاطِمَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنْ يُسَبِّحا إذَا أخَذَا مَضَاجِعَهُمَا للنَّوْمِ ثلاثاً وثَلاثِينَ، ويَحْمَدَا ثلاثاً وثلاثين، ويكبرا أربعاً

---

(١) صحيح البخاري: (٣٧٠٥) عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) الوابل الصيب: ص ٧٧.

وثلاثين، وقال: «**هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِن خَادِمٍ**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه -:

بلَغَنا أنَّه مَنْ حافَظَ على هذِهِ الكَلِمَاتِ لَمْ يَأْخُذْه إعياءٌ فيما يُعَانِيه مِنْ شُغْلٍ ومِنْ غَيْرِه(٢).

### ۞ أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ النّفْس والهَوَى

**قال ابن القيم:**

إنَّ جهادَ الهَوى إن لَمْ يكنْ أَعْظَمَ من جِهَادِ الكُفّار فلَيْسَ بدُونِه.

قال رجُلٌ للحَسَنِ البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا سَعِيدٍ أيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قال: جِهَادُك هَواكَ.

وسمعتُ شيْخَنا يقولُ: جِهَادُ النّفْس والهَوَى أصْلُ جِهَادِ الكُفّارِ والْمُنَافِقِين فإِنّه لا يَقْدِر علَى جِهَادِهم حتّى يُجاهِدَ نفْسَهُ وهَواهُ أَوَّلًا حتّى يخرج إلَيْهم(٣).

### ۞ النَّفْسُ مِثْلُ الْبَاطُوسِ - وَهُوَ جُبُّ الْقَذَرِ - كُلَّمَا نَبَشْتَهُ ظَهَرَ وَخَرَجَ.

**قال ابن القيم:**

وَسَأَلْتُ يَوْمًا شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَقَطْعِ الْآفَاتِ، وَالِاشْتِغَالِ بِتَنْقِيَةِ الطَّرِيقِ وَتَنْظِيفِهَا؟

فَقَالَ لِي جُمْلَةَ كَلَامِهِ:

النَّفْسُ مِثْلُ الْبَاطُوسِ - وَهُوَ جُبُّ الْقَذَرِ - كُلَّمَا نَبَشْتَهُ ظَهَرَ وَخَرَجَ، وَلَكِنْ إِنْ

---

(١) صحيح البخاري: (٣٧٠٥) عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الوابل الصيب: ص ٩٧.

(٣) روضة المحبين: ص ٤٧٨.

أَمْكَنَكَ أَنْ تَسْقُفَ عَلَيْهِ، وَتعْبُرُهُ وَتَجُوزَهُ، فَافْعَلْ، وَلَا تَشْتَغِلْ بِنَبْشِهِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَصِلَ إِلَى قَرَارِهِ، وَكُلَّمَا نَبَشْتَ شَيْئًا ظَهَرَ غَيْرُهُ.

فَقُلْتُ: سَأَلْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بَعْضَ الشُّيُوخِ؟ فَقَالَ لِي: مِثَالُ آفَاتِ النَّفْسِ مِثَالُ الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ الَّتِي فِي طَرِيقِ الْمُسَافِرِ.

فَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى تَفْتِيشِ الطَّرِيقِ عَنْهَا، وَالِاشْتِغَالِ بِقَتْلِهَا: انْقَطَعَ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ السَّفَرُ قَطُّ. وَلَكِنْ لِتَكُنْ هِمَّتُكَ الْمَسِيرَ، وَالْإِعْرَاضَ عَنْهَا، وَعَدَمَ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهَا، فَإِذَا عَرَضَ لَكَ فِيهَا مَا يَعُوقُكَ عَنِ الْمَسِيرِ فَاقْتُلْهُ، ثُمَّ امْضِ عَلَى سَيْرِكَ.

فَاسْتَحْسَنَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ذَلِكَ جِدًّا، وَأَثْنَى عَلَى قَائِلِهِ[1].

❁ **جِهادُهُ الْمُتَواصِلِ الّذي لا يعْرِفُ الْمَلَل.**

**قال ابن كثير:**

وَخَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي مُسْتَهَلِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَكَانَ يَوْمُ السَّبْتِ، إِلَى نَائِبِ الشَّامِ وَعَسَاكِرِهِ بِالْمَرْجِ، فَثَبَّتَهُمْ وَقَوَّى جَأْشَهُمْ، وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ، وَوَعَدَهُمُ النَّصْرَ وَالظَّفْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

وَبَاتَ عِنْدَ الْعَسْكَرِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ، وَقَدْ سَأَلَهُ النَّائِبُ وَالْأُمَرَاءُ أَنْ يَرْكَبَ عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى مِصْرَ يَسْتَحِثُّ السُّلْطَانَ عَلَى الْمَجِيءِ، فَسَاقَ وَرَاءَ السُّلْطَانِ، وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ وَصَلَ إِلَى السَّاحِلِ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَتَفَارَطَ الْحَالُ، وَلَكِنَّهُ اسْتَحَثَّهُمْ عَلَى تَجْهِيزِ الْعَسَاكِرِ إِلَى الشَّامِ إِنْ كَانَ لَهُمْ بِهِ حَاجَةٌ، وَقَالَ لَهُمْ فِيمَا قَالَ: إِنْ كُنْتُمْ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الشَّامِ وَحِمَايَتِهِ، أَقَمْنَا لَهُ سُلْطَانًا يُحَوِّطُهُ وَيَحْمِيهِ، وَيَسْتَغِلُّهُ فِي زَمَنِ الْأَمْنِ. وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى جُرِّدَتِ

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٢٩٩.

الْعَسَاكِرُ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: لَوْ قُدِّرَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ حُكَّامَ الشَّامِ وَلَا مُلُوكَهُ وَاسْتَنْصَرَكُمْ أَهْلُهُ وَجَبَ عَلَيْكُمُ النَّصْرُ، فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حُكَّامُهُ وَسَلَاطِينُهُ، وَهُمْ رَعَايَاكُمْ وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهُمْ. وَقَوَّى جَأْشَهُمْ، وَضَمِنَ لَهُمُ النَّصْرَ هَذِهِ الْكَرَّةَ، فَخَرَجُوا إِلَى الشَّامِ(١).

**قال ابن كثير:**

وَتَوَجَّهَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِلَى الْعَسْكَرِ الْوَاصِلِ مِنْ حَمَاةَ، فَاجْتَمَعَ بِهِمْ فِي الْقُطَيِّفَةِ، فَأَعْلَمَهُمْ بِمَا تَحَالَفَ عَلَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالنَّاسُ مِنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ، وَحَلَفُوا مَعَهُمْ، وَكَانَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ يَحْلِفُ لِلْأُمَرَاءِ وَالنَّاسِ: إِنَّكُمْ فِي هَذِهِ الْكَرَّةِ مَنْصُورُونَ عَلَى التَّتَارِ، فَيَقُولُ لَهُ الْأُمَرَاءُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَيَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللهُ تَحْقِيقًا لَا تَعْلِيقًا، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ أَشْيَاءَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ قِتَالِ هَؤُلَاءِ التَّتَرِ مِنْ أَيِّ قَبِيلٍ هُوَ، فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، وَلَيْسُوا بُغَاةً عَلَى الْإِمَامِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي طَاعَتِهِ فِي وَقْتٍ ثُمَّ خَالَفُوهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمَا، وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعِيبُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ، وَهُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، فَتَفَطَّنَ الْعُلَمَاءُ وَالنَّاسُ لِذَلِكَ، وَكَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: إِذَا رَأَيْتُمُونِي مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ وَعَلَى رَأْسِي مُصْحَفٌ، فَاقْتُلُونِي، فَتَشَجَّعَ النَّاسُ فِي قِتَالِ التَّتَارِ، وَقَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ وَنِيَّاتُهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ(٢).

---

(١) البداية والنهاية: ١٧/ ٧٣٧ – ٧٣٨.

(٢) البداية والنهاية: ١٨/ ٢٣ – ٢٤.



# الخَلْوةُ والعُزْلَة

۞ **مَحَبّةُ ابنِ تيميّة للخَلْوَة:**

**قال ابن القيم:**

وحدثني تقي الدين بن شُقيْر قال:

خرَجَ شَيْخ الإسلامِ ابنُ تيميّة يومًا فخرَجْتُ خلْفَه فلمَّا انتَهى إلى الصَّحْراء وانفَرَدَ عن النّاس بِحَيْث لا يراهُ أحَدٌ سَمِعْتُه يَتَمَثّل بقَوْل الشّاعِر:

وأخْرُجُ من بيْن البُيُوت لعلَّنِي ... أحدِّثُ عنك القلبَ بالسِّرِّ خَالِيَا(١)

**وقال ابن القيم:**

أَقَرُّ شيْءٍ لعُيونِ الْمُحِبِّ خَلْوَتُه بِسِرِّه مع مَحْبُوبِه.

حدَّثني مَن رأى شَيْخَنا في عُنْفوانِ أمْرِه خرَجَ إلى البرِيّة بُكْرَةً فلمَّا أصْحَرَ تَنَفّس الصُّعَداءَ ثُمّ تَمَثّل بقَوْلِ الشّاعرِ:

وأخْرُجُ من بيْن البُيُوت لعلَّنِي ... أحدِّثُ عنك القلبَ بالسِّرِّ خَالِيَا(٢)



(١) روضة المحبين: ص ٢٨١.

(٢) روضة المحبين: ص ٤٣٧.

# صبرُهُ على البَلاء والأعْدَاء

**❁ كَلِمَاتُه الْخَالِدَةُ وهو مَحْبُوسٌ في سِجْنِ القَلْعَة:**

**قال ابن القيم:**

وقال لي مرَّةً: ما يصنَعُ أعدائِي بي؟ أنَا جَنَّتي وبُسْتَانِي في صَدْرِي، أنّى رُحْتُ فَهِي مَعِي لا تُفَارِقُني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة(١).

**وقال ابن القيم:**

وكان يقولُ في مَحْبَسِه في القَلْعة:

لو بَذَلْتُ ملءَ هذهِ القَلْعَة ذهَباً ما عَدَلَ عندي شُكْرَ هذه النِّعْمة، أو قالَ: مَا جَزَيْتُهم على ما تَسَبَّبُوا لي فيهِ مِنَ الخَيْرِ، ونَحْو هَذَا(٢).

ولَمَّا دخلَ إلى القَلْعَة وصار داخِلَ سُورِها نَظَر إلَيْه وقال:

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣](٣).

---

(١) الوابل الصيب: ص ٤٨.

(٢) الوابل الصيب: ص ٤٨.

(٣) الوابل الصيب: ص ٤٨.



## ۞ الْمَحْبُوسُ والْمَأْسُور.

**قال ابن القيم:**

وقال لي مَرَّةً: الْمَحْبُوسُ من حُبِسَ قلْبُه عن ربِّه تعالى، والْمَأْسُور من أَسَرَهُ هَواهُ(١).

## ۞ حَالُهُ في الْحَبْسِ والتَّهْدِيدِ والإرْهَاقِ.

**قال ابن القيم:**

وعَلِمَ اللهُ ما رأيْتُ أحَدًا أطيبَ عيشًا منه قطُّ، مع ما كانَ فيه من ضِيقِ العَيْش وخِلافِ الرّفاهية والنَّعِيم بل ضِدِّها، ومع ما كان فيه من الْحَبْسِ والتَّهْدِيدِ والإرْهَاقِ، وهو مع ذلكَ مِن أطْيَبِ النّاسِ عيْشًا، وأشرَحِهم صدراً، وأقواهم قَلْبًا، وأسرِّهم نَفْسًا، تَلُوحُ نَضْرَةُ النَّعِيمِ عَلَى وَجْهِهِ.

وكنَّا إذا اشتَدّ بنا الخوفُ وساءتْ منّا الظُّنُونُ وضاقَتْ بنا الأرضُ أتَيْنَاه، فما هو إلا أنْ نرَاهُ ونسْمَعَ كلامَه فيَذْهَب ذلكَ كلُّه وينقَلِبَ انشِرَاحًا وقُوَّة ويَقِينًا وطُمَأنِينَة(٢).



(١) الوابل الصيب: ص ٤٨.

(٢) الوابل الصيب: ص ٤٨.

# صبرُ شيْخِ الإسْلامِ

**❁ صَبْرُهُ على النّاسِ.**

**قال ابن القيم:**

ورأيتُ يومًا عند شيخِنَا - قدّس الله رُوحَه - رجلًا من هذا الضّرْبِ والشّيْخ يَحْمِلُه وقد ضعُفتِ القُوى عن حَمْلِه فالتَفَتَ إليّ وقال: مُجَالَسَة الثّقِيل حَمَّى الرَّبْع.

ثُمَّ قال:

لكِنْ قدْ أدْمَنتَ أَرْوَاحُنا على الحُمّى فصَارَتْ لها عادَةً. أو كَمَا قالَ(١).

**❁ صبْرُهُ على التّصْنِيفِ.**

**قال ابن القيم:**

وقد شاهدتُ من قُوَّةِ شيْخِ الإسْلام ابنِ تيميَّة في مِشْيَته وكلامِهِ وإقْدَامِهِ وكِتَابهِ أمْراً عَجِيبـاً، فكان يكتبُ في اليَوْمِ من التَّصْنِيفِ ما يَكْتُبُه النَّاسِخُ في جُمْعةٍ وأكثر، وقد شَاهدَ العسكرُ من قُوَّتِه في الْحَرْبِ أمرًا عظيمًا.

وقد علَّم النبيُّ ﷺ ابنتَهُ فاطمَةَ وعَلِيًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنْ يُسَبِّحا كل لَيْلَة إذا أخذُوا مَضَاجِعَهما ثلاثـاً وثلاثين ويحمَدَا ثلاثـاً وثلاثين ويُكَبّرا أَرْبعـاً وثلاثين لِمَّا سَأَلَتْه الخادمَ وشَكَتْ إليه مَا تُقاسيه من الطّحنِ والسّعي والخِدْمَةِ، فعلّمها ذلك وقال: إنَّهُ خيرٌ لَكُمَا من خَادِمٍ.

فقيل: إنَّ من دَاومَ على ذلكَ وَجَدَ قُوَّةً في يوْمِه مُغْنيةً عن خَادِمٍ.

---

(١) بدائع الفوائد: ١/ ٢٧٥.



وسمعتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكُرُ أثراً في هذا البَابِ ويقول:

إنّ الملائِكةَ لَمّا أُمِروا بِحَمْل العَرْشِ قالوا: يا رَبّنا كيْفَ نَحْمِل عَرْشَك وعَلَيْه عَظَمَتُك وجَلالُك؟ فقال: قولوا: لا حوْلَ ولا قُوةَ إلّا بالله، فلمّا قالُوا حَمَلُوه[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه -:

بلغنا أنَّهُ من حَافظَ على هذِهِ الكَلِمَاتِ لَمْ يأْخُذْهُ إعْيَاءٌ فِيمَا يُعانِيه مِن شُغْلٍ ومِنْ غَيْرِه[(٢)].

**۞ لا يَندَمُ أحَدٌ اسْتَخَارَ الْخَالِقَ، وشَاوَرَ الْمَخْلُوقِين.**

**قال ابن القيم:**

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: ما نَدِمَ من اسْتَخَارَ الْخالِقَ، وشَاوَرَ الْمَخْلُوقِينَ، وثَبَتَ في أَمْرِهِ[(٣)].

**۞ إدْراكُ السّمْعِ أعَمُّ وأَشْمَلُ، وإدْراكُ البَصَرِ أتَمُّ وأَكْمَل.**

**قال ابن القيم:**

قالَ شيخُ الإسْلام تقيُّ الدين بنُ تيميّة - قدَّس الله روحه ونوَّر ضَرِيحَه -:

وفَصْلُ الخِطابِ أنَّ إدْراكَ السّمْعِ أعَمُّ وأَشْمَلُ، وإدْرَاكَ البَصَرِ أتَمُّ وأَكْمَل، فَهَذَا لَهُ التّمَام والكَمَالُ، وذاكَ له العُمُومُ والشُّمُولُ فقَدْ تَرَجَّح كلٌّ منهمَا على الآخَرِ بِمَا اخْتَصّ بهِ.

تَمَّ كلامُه[(٤)].

---

(١) الوابل الصيب: ص ٧٧.

(٢) الوابل الصيب: ص ٩٧.

(٣) الوابل الصيب: ص ١١٢.

(٤) بدائع الفوائد: ١/ ٧٢.

**❁ يَسْتَحيلُ دُخُول لامِ العَاقِبَة في فِعْلِ الله تعالى.**

**قال ابن القيم:**

وسمعْتُ شيخَنَا أبَا العبّاس بن تيميّة يقولُ:

يَسْتَحيلُ دُخُول لامِ العَاقبَة في فِعْلِ الله فإنَّها حَيْثُ وَرَدتْ في الكَلام فهِيَ لِجَهْلِ الفَاعِلِ لعَاقِبَةِ فِعْلِه كالتِقَاطِ آلِ فِرْعَوْن لِمُوسى فإنَّهم لَمْ يَعْلَمُوا عَاقِبَتَه أو لِعَجْزِ الفَاعِلِ عنْ دَفْعِ العَاقِبَةِ نَحْو لدُّوا للمَوْتِ وابْنُوا للخَرَابِ فأمَّا في فِعْلِ مَن لا يَعْزُبُ عَنْه مِثْقَال ذَرَّة ومَن هُوَ على كلِّ شَيء قَدِيرٌ(١).

**❁ الذَّبِيحُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ، أمَّا كَوْنُهُ إِسْحَاقَ فَبَاطِلٌ بِأَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا.**

**قال ابن القيم:**

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ إِسْحَاقُ(٢) فَبَاطِلٌ بِأَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا، وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ- يَقُولُ:

هَذَا الْقَوْلُ إِنَّمَا هُوَ مُتَلَقًّى عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ بِنَصِّ كِتَابِهِمْ، فَإِنَّ فِيهِ: إِنَّ اللهَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ بِكْرَهُ، وَفِي لَفْظٍ: وَحِيدَهُ، وَلَا يَشُكُّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ هُوَ بِكْرُ أَوْلَادِهِ، وَالَّذِي غَرَّ أَصْحَابَ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ فِي التَّوْرَاةِ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ: اذْبَحِ ابْنَكَ إِسْحَاقَ.

قَالَ: وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ تَحْرِيفِهِمْ وَكَذِبِهِمْ لِأَنَّهَا تُنَاقِضُ قَوْلَهُ: اذْبَحْ بِكْرَكَ وَوَحِيدَكَ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ حَسَدَتْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَى هَذَا الشَّرَفِ وَأَحَبُّوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ، وَأَنْ يَسُوقُوهُ إِلَيْهِمْ وَيَحْتَازُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ دُونَ الْعَرَبِ، وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ

---

(١) بدائع الفوائد: ١/ ١٠٠.

(٢) أي الذبيح.



فَضْلَهُ لِأَهْلِهِ.

وَكَيْفَ يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقُ، وَاللهُ تَعَالَى قَدْ بَشَّرَ أُمَّ إِسْحَاقَ بِهِ وَبِابْنِهِ يَعْقُوبَ، فَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ: إِنَّهُمْ قَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَتَوْهُ بِالْبُشْرَى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧٠-٧١] فَمُحَالٌ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِأَنَّهُ يَكُونُ لَهَا وَلَدٌ ثُمَّ يَأْمُرَ بِذَبْحِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ يَعْقُوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَاخِلٌ فِي الْبِشَارَةِ، فَتَنَاوُلُ الْبِشَارَةِ لِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي اللَّفْظِ وَاحِدٌ، وَهَذَا ظَاهِرُ الْكَلَامِ وَسِيَاقُهُ(١).

**۞ اللَّذَّة والأَلَم يَنْشآن عن إدْراكِ الْمُلائِم والْمُنَافي.**

**قال ابن القيم:**

فكلَّما قويتْ الْمَحَبَّةُ قَوِيتْ اللَّذَّةُ بِإِدْرَاكِ الْمَحْبُوب وهذَا البَابِ مِنْ أجَلِّ أبوابِ الكِتَابِ وأنفعُها ونذْكُر فيهِ بَيانَ معْرِفَة اللَّذَّة وأقْسَامِها ومَرَاتِبها فنقُولُ: أمّا اللَّذَّة فُسِّرَتْ بأنّها إِدْرَاكُ الْمُلائِم كما أنَّ الأَلَمَ إِدْرَاكُ الْمُنَافِي.

قال شيْخُنَا: والصَّوابُ أنَّ يُقَالَ: إِدْرَاك الْمُلائِم سَبَبُ اللَّذَّة وإِدْرَاكِ الْمُنَافي سَبَبُ الأَلَمِ فاللَّذَّة والأَلَم يَنْشآن عن إِدْراكِ الْمُلائِم والْمُنَافي والإِدْراك سَبَبٌ لَهُما، واللَّذَّة أظْهَرُ مِنْ كُلِّ ما تَعْرف به فإِنَّهَا أمْرٌ وُجْدَانِيٌّ وإِنَّمَا تُعْرَفُ بأَسْبَابِها وأَحْكَامِها.

واللَّذَّة والبَهْجَةُ والسُّرُور وقُرَّةُ العَيْن وطِيبُ النَّفْس والنَّعْيم أَلْفَاظٌ مُتَقارِبَة الْمَعْنى وهِيَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ في الْجُمْلَة بَلْ ذَلكَ مَقْصُودُ كُلِّ حَيٍّ وذلكَ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ من وُجُودِه(٢).

(١) زاد المعاد: ١/ ٧١.

(٢) روضة المحبين: ص ١٥٥.

❁ اتِّخَاذُ النَّبِيِّ ﷺ الذُّؤَابَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ.

**قال ابن القيم:**

وَكَانَ شَيْخُنَا أبو العبّاسِ ابنُ تيميّة - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ فِي الْجَنَّةِ - يَذْكُرُ فِي سَبَبِ الذُّؤَابَةِ شَيْئًا بَدِيعًا، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا اتَّخَذَهَا صَبِيحَةَ الْمَنَامِ الَّذِي رَآهُ فِي الْمَدِينَةِ لَمَّا رَأَى رَبَّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَوَتَعَالَى، فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لا أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...**» الْحَدِيثَ، وَهُوَ فِي الترمذي[١]، وَسُئِلَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ، فَقَالَ صَحِيحٌ.

قَالَ: فَمِنْ تِلْكَ الْحَالِ أَرْخَى الذُّؤَابَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَهَذَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي تُنْكِرُهُ أَلْسِنَةُ الْجُهَّالِ وَقُلُوبُهُمْ، وَلَمْ أَرَ هَذِهِ الْفَائِدَةَ فِي إِثْبَاتِ الذُّؤَابَةِ لِغَيْرِهِ[٢].

❁ اسْتِحبابُ الصَّدَقَة بَين يَديْ مُنَاجَاة الله عِنْد الصَّلَوات والدُّعَاء.

**قال ابن القيم:**

وَمِن ذَلِك نَسْخُ وُجُوبِ الصَّدَقَة بَين يَدي مُنَاجَاة الرَّسُول لَمْ يَبْطُل حُكْمُه بِالْكُلِّيَّةِ بَلْ نُسِخَ وُجُوبُه وَبَقِي اسْتِحْبَابُه وَالنَّدْب إِلَيْهِ.

وَمَا عُلِمَ مِن تَنبِيهِهِ وإِشَارَتِهِ وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا اسْتُحِبَّت الصَّدَقَةُ بَيْنَ يَدَيْ مُنَاجَاة الْمَخْلُوقِ فاسْتِحبابُها بَين يَدَيْ مُنَاجَاة الله عِنْد الصَّلَوَات وَالدُّعَاء أَوْلى فَكَانَ بعضُ السَّلفِ الصَّالِحِ يتَصَدَّق بَين يَدي الصَّلَاة وَالدُّعَاء إِذَا أَمْكَنَهُ ويَتَأَوَّلُ هَذِهِ الأَوْلَوِيَّة.

وَرَأَيْت شيخ الإِسْلَام ابْن تيميّة يَفْعَلُه ويتَحَرّاهُ مَا أَمْكَنَه وفَاوَضتُّه فِيهِ فَذكَرَ لِي هَذَا التَّنْبِيهَ وَالإِشَارَة[٣].

---

(١) جامع الترمذي: (٣٢٣٣، ٣٢٣٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

(٢) زاد المعاد: ١/ ١٣١ - ١٣٢.

(٣) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٣٣.



# أَهْلُ الذِّمَّة

## ۞ نَقْضُ العَهْدِ بإعَانَةِ العَدُوِّ على المُسْلِمِينَ.

**قال ابن القيم:**

وَبِهَذَا أَفْتَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ بِغَزْوِ نَصَارَى الْمَشْرِقِ لَمَّا أَعَانُوا عَدُوَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى قِتَالِهِمْ، فَأَمَدُّوهُمْ بِالْمَالِ وَالسِّلَاحِ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَغْزُونَا وَلَمْ يُحَارِبُونَا، وَرَآهُمْ بِذَلِكَ نَاقِضِينَ لِلْعَهْدِ، كَمَا نَقَضَتْ قُرَيْشٌ عَهْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِإِعَانَتِهِمْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ عَلَى حَرْبِ حُلَفَائِهِ، فَكَيْفَ إِذَا أَعَانَ أَهْلُ الذِّمَّةِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ. وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

## ۞ شُبْهَةٌ فِي قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ:

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا: وَقَدْ عَرَضَ لِبَعْضِ السُّفَهَاءِ شُبْهَةٌ فِي قَتْلِ ابْنِ الْأَشْرَفِ فَظَنَّ أَنَّ دَمَ مِثْلِ هَذَا مَعْصُومٌ بِذِمَّةٍ أَوْ بِظَاهِرِ الْأَمَانِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ الشُّبْهَةِ الَّتِي عَرَضَتْ لِبَعْضِ الْفُقَهَاءِ حِينَ ظَنَّ أَنَّ الْعَهْدَ لَا يَنْتَقِضُ بِذَاكَ.

فَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ أَخِي سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبَايَةَ قَالَ: ذُكِرَ قَتْلُ ابْنِ الْأَشْرَفِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ ابْنُ يَامِينَ: كَانَ قَتْلُهُ غَدْرًا، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا مُعَاوِيَةُ أَيُغَدَّرُ عِنْدَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا تُنْكِرُ؟ وَاللهِ لَا يُظِلُّنِي وَإِيَّاكَ سَقْفُ بَيْتٍ أَبَدًا، وَلَا يَخْلُو لِي دَمُ هَذَا إِلَّا قَتَلْتُهُ.

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ١٢٥.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ - وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَعِنْدَهُ ابْنُ يَامِينَ النَّضْرِيُّ -: كَيْفَ كَانَ قَتْلُ ابْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَقَالَ ابْنُ يَامِينَ: كَانَ غَدْرًا، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ جَالِسٌ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَقَالَ يَا مَرْوَانُ: أَيُغَدَّرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَكَ؟ وَاللهِ مَا قَتَلْنَاهُ إِلَّا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاللهِ لَا يُؤْوِينِي وَإِيَّاكَ سَقْفُ بَيْتٍ إِلَّا الْمَسْجِدَ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا ابْنَ يَامِينَ فَلِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ أَفْلَتَّ، وَقَدَرْتُ عَلَيْكَ وَفِي يَدِي سَيْفٌ إِلَّا ضَرَبْتُ بِهِ رَأْسَكَ، فَكَانَ ابْنُ يَامِينَ لَا يَنْزِلُ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا يَنْظُرُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، فَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِ ضِيَاعِهِ نَزَلَ فَقَضَى حَاجَتَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَبَيْنَمَا مُحَمَّدٌ فِي جِنَازَةٍ وَابْنُ يَامِينَ بِالْبَقِيعِ فَرَأَى مُحَمَّدًا نَعْشًا عَلَيْهِ جَرَائِدُ رَطْبَةٌ لِامْرَأَةٍ جَاءَ فَحَلَّهُ فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا تَصْنَعُ؟ نَحْنُ نَكْفِيكَ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِهَا جَرِيدَةً جَرِيدَةً حَتَّى كَسَّرَ ذَلِكَ الْجَرِيدَ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ حَتَّى لَمْ يَتْرُكْ بِهِ مَصَحًّا، ثُمَّ أَرْسَلَهُ وَلَا طَبَاخَ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَوْ قَدَرْتُ عَلَى السَّيْفِ لَضَرَبْتُكَ بِهِ.

قُلْتُ: وَنَظِيرُ هَذَا مَا حَصَلَ لِبَعْضِ الْجُهَّالِ بِالسُّنَّةِ مِنْ بِنَائِهِ بِصَفِيَّةَ عَقِيبَ سِبَائِهِ لَهَا، فَقَالَ: بَنَى بِهَا قَبْلَ اسْتِبْرَائِهَا، وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِ وَكُفْرِهِ، أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا، فَإِنَّ فِي الصَّحِيحِ: «**فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا بَنَى بِهَا**».

فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا كَانَ هُوَ وَبَنُو النَّضِيرِ قَبِيلَتُهُ مُوَادِعِينَ فَمَا مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ؟ قَالَ: حَدَّثَنِي مَوْلًى لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي ابْنَةُ مُحَيِّصَةَ عَنْ أَبِيهَا مُحَيِّصَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ عَقِيبَ ذَلِكَ: «**مَنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ فَاقْتُلُوهُ**» فَوَثَبَ مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى ابْنِ سُنَيْنَةَ - رَجُلٌ مِنْ تُجَّارِ الْيَهُودِ كَانَ يُلَابِسُهُمْ وَيُبَايِعُهُمْ - فَقَتَلَهُ، وَكَانَ حُوَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ إِذْ ذَاكَ لَمْ يُسْلِمْ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنْ مُحَيِّصَةَ، فَلَمَّا قَتَلَهُ جَعَلَ حُوَيِّصَةُ يَضْرِبُهُ، وَيَقُولُ: أَيْ عَدُوَّ اللهِ قَتَلْتَهُ، أَمَا وَاللهِ لَرُبَّ شَحْمٍ فِي بَطْنِكَ مِنْ مَالِهِ! فَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ مَنْ لَوْ أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَقَتَلْتُكَ،



فَقَالَ حُوَيِّصَةُ: وَاللهِ إِنَّ دِينًا بَلَغَ مِنْكَ هَذَا لَعَجَبٌ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ حُوَيِّصَةَ".

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ بِالْأَسَانِيدِ الْمُتَقَدِّمَةِ: قَالُوا: فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا ابْنُ الْأَشْرَفِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ فَاقْتُلُوهُ**». فَخَافَتْ يَهُودُ فَلَمْ تُطْلِعْ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، وَخَافُوا أَنْ يُبَيَّتُوا كَمَا بُيِّتَ ابْنُ الْأَشْرَفِ، وَذَكَرَ قَتْلَ ابْنِ سُنَيْنَةَ إِلَى أَنْ قَالَ: «**وَفَزِعَتْ يَهُودُ وَمَنْ مَعَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» وَسَاقَ الْقِصَّةَ كَمَا تَقَدَّمَ.

فَإِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُوَادِعِينَ، وَإِلَّا لَمَا أَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ وُجِدَ مِنْهُمْ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَهْدَ الَّذِي كَتَبَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْيَهُودِ كَانَ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الْأَشْرَفِ.

وَحِينَئِذٍ، فَلَا يَكُونُ ابْنُ الْأَشْرَفِ مُعَاهِدًا.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ ظُفِرَ بِهِ مِنَ الْيَهُودِ؛ لِأَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ كَانَ مِنْ سَادَاتِهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ قَالَ: مَا عِنْدَكُمْ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ؟ قَالُوا: عَدَاوَتُهُ مَا حَيِينَا، وَكَانُوا مُقِيمِينَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ فَعَظُمَ عَلَيْهِمْ قَتْلُهُ، وَكَانَ مِمَّا هَيَّجَهُمْ عَلَى الْمُحَارَبَةِ وَإِظْهَارِ نَقْضِ الْعَهْدِ انْتِصَارُهُمْ لِلْمَقْتُولِ وَذَبُّهُمْ عَنْهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِ مَنْ جَاءَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ مَجِيئَهُ دَلِيلٌ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ وَانْتِصَارِهِ لِلْمَقْتُولِ، وَأَمَّا مَنْ قَرَّ فَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى عَهْدِهِ الْمُتَقَدِّمِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُظْهِرُ الْعَدَاوَةَ وَلِهَذَا لَمْ يُحَاصِرْهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يُحَارِبْهُمْ حَتَّى أَظْهَرُوا عَدَاوَتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا هَذَا الْكِتَابُ فَهُوَ شَيْءٌ ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ وَحْدَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ هُوَ أَيْضًا أَنَّ قَتْلَ ابْنِ الْأَشْرَفِ كَانَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَأَنَّ غَزْوَةَ بَنِي قَيْنُقَاعَ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ بَعْدَ بَدْرٍ بِنَحْوِ شَهْرٍ.

وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي وَادَعَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودَ كُلَّهَا كَانَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ بَدْرٍ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ هَذَا كِتَابًا ثَانِيًا خَاصًّا لِبَنِي النَّضِيرِ يُجَدِّدُ فِيهِ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُ

وَبَيْنَهُمْ غَيْرَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَتَبَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ لِأَجْلِ مَا كَانُوا قَدْ أَرَادُوا مِنْ إِظْهَارِ الْعَدَاوَةِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ ابْنَ الْأَشْرَفِ كَانَ مُعَاهِدًا، وَتَقَدَّمَ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ الْكِتَابَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَالْقِصَّةُ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَإِلَّا لَمَا جَاءَ الْيَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَشَكَوْا إِلَيْهِ قَتْلَ صَاحِبِهِمْ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانُوا مُحَارِبِينَ لَهُ لَمْ يَسْتَنْكِرُوا قَتْلَهُ، وَكُلُّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ قَتْلَ ابْنِ الْأَشْرَفِ كَانَ بَعْدَ بَدْرٍ، فَإِنَّ مُعَاهَدَةَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ قَبْلَ بَدْرٍ كَمَا ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ غَزْوِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمْرُ بَنِي قَيْنُقَاعَ، يَعْنِي فِيمَا بَيْنَ بَدْرٍ وَغَزْوَةِ الْفَرْعِ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي جُمَادَى الْأُولَى.

وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ بَنِي قَيْنُقَاعَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ حَارَبَ وَنَقَضَ الْعَهْدَ.

قُلْتُ: الْيَهُودُ الَّذِينَ حَارَبَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْبَعُ طَوَائِفَ: بَنُو قَيْنُقَاعَ، وَبَنُو النَّضِيرِ، وَقُرَيْظَةُ، وَيَهُودُ خَيْبَرَ. وَكَانَتْ غَزْوَةُ كُلِّ طَائِفَةٍ عَقِيبَ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ لِلْمُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ بَعْدَ بَدْرٍ، وَبَنُو النَّضِيرِ بَعْدَ أُحُدٍ، وَبَنُو قُرَيْظَةَ بَعْدَ الْخَنْدَقِ، وَأَهْلُ خَيْبَرَ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَكَانَ الظَّفَرُ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفِ كَالشُّكْرَانِ لِلْغَزَاةِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: وَهَذَا الْحَدِيثُ(٢) يَسْتَقِيمُ عَلَى الْقِيَاسِ مَعَ ثَلَاثَةِ أُصُولٍ

---

(١) أحكام أهل الذمة: ٣/ ١٤٤٨ - ١٤٥٣.

(٢) حَدِيثُ الْحَسَنِ عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ حُرَيْثٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْمُحَبِّقِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **قَضَى فِي رَجُلٍ وَقَعَ عَلَى جَارِيَةِ امْرَأَتِهِ إِنْ كَانَ اسْتَكْرَهَهَا فَهِيَ حُرَّةٌ، وَعَلَيْهِ لِسَيِّدَتِهَا مِثْلُهَا، وَإِنْ كَانَتْ طَاوَعَتْهُ فَهِيَ لَهُ، وَعَلَيْهِ لِسَيِّدَتِهَا مِثْلُهَا وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: وَإِنْ كَانَتْ طَاوَعَتْهُ فَهِيَ وَمِثْلُهَا مِنْ مَالِهِ لِسَيِّدَتِهَا**. رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ، وَضَعَّفَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ قِبَلِ إِسْنَادِهِ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ يَحْتَجُّونَ بِمَا هُوَ دُونَهُ فِي الْقُوَّةِ، وَلَكِنْ لِإِشْكَالِهِ أَقْدَمُوا عَلَى تَضْعِيفِهِ مَعَ لِينٍ فِي سَنَدِهِ.
=



صَحِيحَةٍ كُلٌّ مِنْهَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ. مَنْ أَتْلَفَ مَالَ غَيْرِهِ ضَمِنَهُ.

**أَحَدُهَا**: أَنَّ مَنْ غَيَّرَ مَالَ غَيْرِهِ بِحَيْثُ فَوَّتَ مَقْصُودَهُ عَلَيْهِ فَلَهُ أَنْ يَضْمَنَهُ بِمِثْلِهِ، وَهَذَا كَمَا لَوْ تَصَرَّفَ فِي الْمَغْصُوبِ بِمَا أَزَالَ اسْمَهُ فَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ: أَحَدُهَا أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى مِلْكِ صَاحِبِهِ، وَعَلَى الْغَاصِبِ ضَمَانُ النَّقْصِ، وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ كَقَوْلِ الشَّافِعِيِّ.

**وَالثَّانِي**: يَمْلِكُهُ الْغَاصِبُ بِذَلِكَ، وَيَضْمَنُهُ لِصَاحِبِهِ كَقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ.

**وَالثَّالِثُ**: يُخَيَّرُ الْمَالِكُ بَيْنَ أَخْذِهِ وَتَضْمِينِ النَّقْصِ وَبَيْنَ الْمُطَالَبَةِ بِالْبَدَلِ، وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ وَأَقْوَاهَا؛ فَإِنْ فَوَّتَ صِفَاتِهِ الْمَعْنَوِيَّةَ - مِثْلَ أَنْ يُنْسِيَهُ صِنَاعَتَهُ، أَوْ يُضْعِفَ قُوَّتَهُ، أَوْ يُفْسِدَ عَقْلَهُ أَوْ دِينَهُ -



=

إعلام الموقعين: ٢/ ١٩.

# كَلامُهُ عن مُفْرَدَاتِ الألْفَاظِ

❁ **الصّبرُ الْجَمِيلُ، والصّفحُ الْجَمِيلُ، والهَجرُ الْجَمِيلُ.**

**قال ابن القيم:**

وسَمِعْتُ شيْخَ الإسْلام ابنَ تيميّة -قدّس الله رُوحَه ونوّر ضرِيحهُ- مرارًا يقول:

ذكرَ الله الصّبرَ الْجَمِيلَ والصّفْحَ الْجَمِيلَ، والهَجْرَ الْجَمِيلَ، فالصَّبْرُ الْجَمِيلُ الذي لا شَكْوى مَعَه، والهَجْرُ الْجَمِيلُ الذي لا أَذَى معَهُ، والصَّفْحُ الْجَمِيلُ الذي لا عِتَابَ معَهُ. انتهى(١).

❁ **الْمُفَاضَلَةُ بيْنَ السَمْعِ والبَصَرِ.**

**قال ابن القيم:**

قال شَيْخُنا: والتَّحْقيقُ أنَّ السَّمْعَ له مَزِيَّة والبَصَرَ له مَزِيَّة فَمَزِيّة السَّمْعِ العُمُومُ والشُّمُول ومَزِيَّة البَصرِ كَمَال الإدْرَاك وتَمَامُه فالسَّمْعُ أعَمُّ وأشْمَلُ والبَصَرُ أتَمُّ وأكْمَلُ فَهَذا أَفْضلُ من جِهَةِ شُمُولِ إدْرَاكِه وعُمُومِه وهذَا أفْضَلُ من جِهَةِ كمَالِ إدْرَاكِه وتَمَامِه(٢).

**وقال ابن القيم:**

وَحَكَمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ حُكْمًا حَسَنًا، فَقَالَ:

الْمُدْرَكُ بِحَاسَّةِ السَّمْعِ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ. وَالْمُدْرَكُ بِحَاسَّةِ الْبَصرِ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ، فَلِلسَّمْعِ الْعُمُومُ وَالشُّمُولُ، وَالْإِحَاطَةُ بِالْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ، وَالْحَاضِرِ وَالْغَائِبِ، وَالْحِسِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، وَلِلْبَصرِ: التَّمَامُ وَالْكَمَالُ(٣).

---

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ١١١ – ١١٢، مدارج السالكين: ٢/ ١٦٠.

(٢) بدائع الفوائد: ٣/ ١٦٥.

(٣) مدارج السالكين: ٢/ ٣٨٤.



# التَّفصِيلُ في مسَائِلِ التَّفْضِيل

## ۞ الْمُفَاضَلَةُ بيْنَ ليلةِ القدْرِ ولَيْلَةِ الإسْراءِ بالنَّبِيّ ﷺ.

**قال ابن القيم:**

ومنها: أنه سُئِلَ عن لَيْلَة القَدْرِ ولَيْلَة الإسْراءِ بالنّبي ﷺ أيُّهُما أفْضَلُ؟

فأجَابَ: بأنَّ لَيْلَة الإسراءِ أفضَلُ في حَقِّ النبيّ ﷺ، ولَيْلَةُ القَدرِ أفْضَلُ بالنِّسْبَة إلى الأُمَّة، فحَظُّ النبيِّ ﷺ الذي اخْتَصّ به لَيْلَة الْمِعْرَاجِ منها أكْمَلُ مِنْ حَظِّهِ مِنْ لَيْلَةِ القَدْرِ وحَظُّ الأُمَّةِ مِنْ لَيْلَةِ القَدْرِ أكملُ مِن حظِّهِمْ مِنْ لَيلَةِ الْمِعْرَاجِ وإنْ كانَ لَهُمْ فيها أَعْظَمُ حَظٍّ لكنَّ الفَضْلَ والشَّرَفَ والرُّتْبَةَ العُلْيا إِنَّمَا حَصَلَتْ فيها لِمَنْ أُسْرِيَ بِهِ(١).

**وقال ابن القيم:**

سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ رَجُلٍ قَالَ: لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَقَالَ آخَرُ: بَلْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَفْضَلُ فَأَيُّهُمَا الْمُصِيبُ؟

**فَأَجَابَ:** الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَمَّا الْقَائِلُ بِأَنَّ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَإِنْ أَرَادَ بِهِ أَنْ تَكُونَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ فِيهَا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَنَظَائِرُهَا مِنْ كُلِّ عَامٍ أَفْضَلَ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِحَيْثُ يَكُونُ قِيَامُهَا وَالدُّعَاءُ فِيهَا أَفْضَلَ مِنْهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَهَذَا بَاطِلٌ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالِاطِّرَادِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.

---

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ١٦٢ – ١٦٣.

هَذَا إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ تُعْرَفُ عَيْنُهَا، فَكَيْفَ وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ مَعْلُومٌ لَا عَلَى شَهْرِهَا وَلَا عَلَى عَشْرِهَا وَلَا عَلَى عَيْنِهَا، بَلِ النُّقُولُ فِي ذَلِكَ مُنْقَطِعَةٌ مُخْتَلِفَةٌ لَيْسَ فِيهَا مَا يُقْطَعُ بِهِ، وَلَا شُرِعَ لِلْمُسْلِمِينَ تَخْصِيصُ اللَّيْلَةِ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّهَا لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ بِقِيَامٍ وَلَا غَيْرِهِ، بِخِلَافِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ(٢) عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَأَنَّهُ أَنْزَلَ فِيهَا الْقُرْآنَ.

وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ اللَّيْلَةَ الْمُعَيَّنَةَ الَّتِي أُسْرِيَ فِيهَا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَحَصَلَ لَهُ فِيهَا مَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُشْرَعَ تَخْصِيصُهَا بِقِيَامٍ وَلَا عِبَادَةٍ، فَهَذَا صَحِيحٌ، وَلَيْسَ إِذَا أَعْطَى اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَضِيلَةً فِي مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمِنَةِ.

هَذَا إِذَا قُدِّرَ أَنَّهُ قَامَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ إِنْعَامَ اللهِ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ كَانَ أَعْظَمَ مِنْ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا.

وَالْكَلَامُ فِي مِثْلِ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ، وَمَقَادِيرِ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِوَحْيٍ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهَا بِلَا عِلْمٍ، وَلَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ جَعَلَ لِلَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ فَضِيلَةً عَلَى غَيْرِهَا، لَا سِيَّمَا عَلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَا كَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَقْصِدُونَ تَخْصِيصَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَلَا يَذْكُرُونَهَا، وَلِهَذَا لَا يُعْرَفُ أَيَّ لَيْلَةٍ كَانَتْ، وَإِنْ كَانَ الْإِسْرَاءُ مِنْ أَعْظَمِ

(١) صحيح البخاري: (٢٠٢٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) صحيح البخاري: (٣٥) وصحيح مسلم: (٧٦٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَضَائِلِهِ ﷺ، وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يُشْرَعْ تَخْصِيصُ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَلَا ذَلِكَ الْمَكَانِ بِعِبَادَةٍ شَرْعِيَّةٍ، بَلْ غَارُ حِرَاءٍ الَّذِي ابْتُدِئَ فِيهِ بِنُزُولِ الْوَحْيِ وَكَانَ يَتَحَرَّاهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ لَمْ يَقْصِدْهُ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ، وَلَا خُصَّ الْيَوْمُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْوَحْيُ بِعِبَادَةٍ وَلَا غَيْرِهَا، وَلَا خُصَّ الْمَكَانُ الَّذِي ابْتُدِئَ فِيهِ بِالْوَحْيِ وَلَا الزَّمَانُ بِشَيْءٍ، وَمَنْ خَصَّ الْأَمْكِنَةَ وَالْأَزْمِنَةَ مِنْ عِنْدِهِ بِعِبَادَاتٍ لِأَجْلِ هَذَا وَأَمْثَالِهِ كَانَ مِنْ جِنْسِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ جَعَلُوا زَمَانَ أَحْوَالِ الْمَسِيحِ مَوَاسِمَ وَعِبَادَاتٍ، كَيَوْمِ الْمِيلَادِ، وَيَوْمِ التَّعْمِيدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِ.

وَقَدْ رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَمَاعَةً يَتَبَادَرُونَ مَكَانًا يُصَلُّونَ فِيهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟، قَالُوا: مَكَانٌ صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَتَّخِذُوا آثَارَ أَنْبِيَائِكُمْ مَسَاجِدَ؟! إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ فِيهِ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَإِلَّا فَلْيَمْضِ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، فَهَذِهِ اللَّيْلَةُ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ أَفْضَلُ لَهُمْ، وَلَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ فِي حَقِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ لَهُ(١).

## ۞ الْمُفَاضَلَةُ بيْنَ الغَنِيِّ الشَّاكِرِ والفَقِيرِ الصَّابِرِ.

**قال ابن القيم:**

وقد سُئِلَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميّة عنْ مسَائِلَ عَدِيدَةٍ من مسَائِلِ التَّفضيلِ فأجَابَ فيها بالتّفصيلِ الشّافي فمنها:

سُئِلَ عن تفْضِيلِ الغَنِيِّ الشّاكِرِ على الفَقِيرِ الصّابِرِ أو العَكْسِ؟

---

(١) زاد المعاد: ١/ ٥٧ – ٥٩.

فأجَابَ بِمَا يَشْفي الصُّدُورَ فقال:

أفْضَلهُمَا أتقاهُمَا لله تعالى فإنِ اسْتَوَيَا في التّقْوى اسْتَوَيَا في الدَّرَجَةِ(١).

**وقال ابن القيم:**

وقد سُئِلَ شيخُ الإسْلام ابنُ تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذِهِ الْمَسْألَةِ فقالَ:

قدْ تنازَعَ كَثِير من الْمُتَأخِّرين في الغَنيِّ الشّاكِرِ والفَقِيرِ الصّابِرِ أيّهما أَفْضَل فرَجَّح هَذَا طائِفَة من العُلَمَاء والعُبّاد ورَجَّحَ هذا طَائِفَة أخْرَى من العُلمَاء والعُبَّاد.

وحَكَى في ذلكَ عن الإمَامِ أحمدَ روايتانِ، وأمّا الصّحابَة والتّابعونَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فلم يُنْقلْ عن أحَدٍ منهم تَفْضِيلُ أحَدِ الصِّنْفَيْن على الآخَرِ.

**وقد قالتْ طائفةٌ ثالثةٌ**: ليْسَ لأَحَدِهمَا على الأُخْرى فضِيلَةٌ إلّا بالتّقْوى، فأَيُّهما أَعْظَمُ إيمَانًا وتَقْوى كان أَفْضَل، فإنِ اسْتَوَيا في ذلكَ اسْتَوَيا في الفَضِيلَة.

قال: وهَذَا أَصَحُّ الأقْوالِ لأنَّ نصوصَ الكتابِ والسُّنّة إنَّمَا تَفْضُلُ بالإيمانِ والتّقْوى وقدْ قال تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء:١٣٥] وقَدْ كانَ في الأَنبياءِ والسّابِقِين الأوَّلِين من الأَغْنياءِ من هُوَ أفْضَل من أَكْثر الفُقَراء وكانَ فيهم من الفُقَراء من هو أَفْضَل من أكْثَرِ الأَغْنياء والكامِلُون يقُومُون بالْمَقَامَيْن فيقومُون بالشُّكْر والصَّبْر على التّمَام كحَالِ نبيِّنا وحالِ أبي بَكْر وعُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ولَكِن قَدْ يكُونُ الفَقْرُ لبَعْض النّاسِ أنفَعَ والغِنى لآخَرِين أنفَعَ كَمَا تكُون الصِّحَّة لبَعْضِهم أنفَعَ والْمَرض لبعضهم أنفع كما في الحديث الذي روَاهُ البَغَوِي وغيرُهُ عنِ النبيّ فِيمَا يَرْوِي عن ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**إنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُه إلا الغِنَى ولو أفْقَرْتُه لأَفْسَدَهُ ذلك، وإنَّ مِنْ عبَادِي من لا يُصْلِحُه إلّا الفَقْرُ ولَوْ أغْنَيْتُه**

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ١٦٢ – ١٦٣.

لأَفْسَدَهُ ذلكَ، وإنَّ من عِبَادِي من لا يُصْلِحُه إِلَّا الصِّحَّة ولَوْ أَسْقَمْتُه لأَفْسَدَهُ ذلك، وإنَّ مِن عِبَادِي من لا يُصْلِحُهُ إِلَّا السَّقَمُ ولَوْ أَصْحَحْتُه لأَفْسَدَهُ ذلكَ، إِنِّي أُدَبِّرُ عِبَادي إِنِّي بهم خَبيرٌ بصيرٌ»(١).

وقد صحَّ عن النبيِّ أنه قال: «إِنَّ فُقَراءَ الْمُسْلِمِين يدْخُلون الْجَنَّة قَبْل الأَغْنِياءِ»(٢).

وفي الحَدِيث الآخَرِ لَمَّا عَلَّم الفقراءَ الذِّكْر عقِب الصّلاةِ سَمِع بذلكَ الأَغْنِياءُ فقالُوا مثْلَ ما قالُوا فذكَر ذلكَ الفقراء للنبيّ فقالَ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة:٥٤] فالفُقَرَاء يتَقَدَّمونَ في دُخُولِ الجَنَّة لِخِفّة الْحِساب علَيْهم والأَغْنِياءُ يُؤَخَّرون لأَجْلِ الْحِسَابِ علَيْهم ثُمَّ إِذَا حُوسِبَ أحَدُهم فإنْ كانَتْ حسَنَاتُه أعْظَمَ مِن حَسَناتِ الفَقِيرِ كانَتْ درَجَتُه في الْجَنَّة فوْقَهُ وإِن تَأَخَّر في الدُّخُولِ كمَا أنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا الذِينَ يدخُلُون الجنّة بغَيْر حِسابٍ ومنهم عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَن قدْ يدْخُلُ الْجَنَّة بِحِسَابٍ من يَكُونُ أَفْضَلَ مِن أحَدِهم في الدَّرَجَات لكنْ أُولئِك اسْتَرَاحُوا من تَعَبِ الْحِسَاب فهَذَا في الفَقْرِ الْمَذْكُور في الكِتَاب والسُّنَّة وهو ضِدُّ الغِنَى الذي يُبِيحُ أَخْذَ الزّكاةِ أو الذي لا يُوجِبُ الزَّكَاةَ

ثُمَّ قدْ صارَ في اصْطلاحِ كَثِيرٍ من النّاسِ الفَقْرُ عبَارَة عن الزُّهْد والعِبَادَة والأَخْلَاق ويُسَمُّون من اتَّصَفَ بذَلِك فَقِيرًا وإِن كانَ ذا مَالٍ ومَن لَمْ يَتَّصِفْ بذَلِك قالُوا: لَيْسَ بفَقِيرٍ وإن لَمْ يكُن له مالٌ وقد يُسَمّى هذا الْمَعْنى تَصَوُّفًا ومِنَ النّاسِ من

(١) رواه البغوي في "شرح السنة" ٥/ ٢٣ – ٢٤، وذكره الحافظ في "الفتح" ١١/ ٢٩٣ وقال: أخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني وفي سنده ضعف اهـ.

(٢) رواه الترمذي: (٢٣٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ». وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ اهـ.

يُفَرِّقُ بيْن مُسَمّى الفَقِيرِ والصُّوفِيّ ثُمَّ مِنْ هؤلاءِ من يَجْعَلُ مُسَمَّى الفَقِير أَفْضَلَ ومنهم من يَجْعَلُ مُسَمَّى الصُّوفِيِّ أفْضَلَ.

والتَّحْقِيقُ في هذَا البَابِ أنَّهُ لا يُنظَرُ إلى الألْفَاظِ الْمُحْدَثَة بلْ ينظُرُ إلَى ما جَاءَ به الكتابُ والسُّنَّة من الأَسْمَاءِ والْمَعَاني، والله قَدْ جعَلَ وصْفَ أوْلِيَائِه الإيمانَ والتّقْوى فمَنْ كانَ نَصِيبُه مِن ذلِكَ أعْظَمَ كانَ أفْضَلَ، والأَغْنِياء بِمَا سِوَى ذلكَ والله أعْلَم(١).

❁ الْمُفَاضَلَةُ بيْنَ عَشْرِ ذي الحِجَّة والعَشْرِ الأَواخِرِ من رَمضَان.

**قال ابن القيم:**

ومنها أنه سُئِلَ عن عَشْر ذي الحِجَّة والعَشْرِ الأَوَاخِرِ من رَمَضَان أيُّهما أفْضَلُ؟

فقال: أيّامُ عشْرِ ذي الحِجّة أفْضَلُ من أيامِ العَشْر من رمَضَانَ، واللّيالي العَشْرُ الأوَاخِرُ من رَمَضانَ أفْضَلُ من لَيَالي عَشْر ذي الْحِجَّة".

وإذا تَأَمَّل الفَاضِلُ اللَّبِيبُ هَذا الجوابَ وجَدَهُ شَافِيًا كافِيًا فإنَّه لَيْسَ مِنْ أيّامِ العَمَلِ فيها أَحَبُّ إلى الله مِنْ أيّامِ عَشْرِ ذِي الحِجَّة وفِيهما يومُ عَرَفَةَ ويومُ النَّحْر ويوْمُ التّرْوِيَة.

وأمّا ليالي عشْرِ رَمَضَان فهي ليالِي الإحْياء الّتي كان رسولُ الله ﷺ يُحْيِيها كُلَّها وفِيها لَيْلةٌ خَيْرٌ مِنْ ألْفِ شَهْرٍ فَمَنْ أجابَ بِغَيْر هذَا التّفْصِيلِ لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يُدْلِيَ بِحُجَّةٍ صَحِيحَةٍ(٢).

---

(١) عدة الصابرين: ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) بدائع الفوائد: ٣/ ١٦٢ - ١٦٣.

❁ الْمُفَاضَلَةُ بيْنَ يوْمِ الْجُمعةِ ويوْمِ النَّحْرِ:

قال ابن القيم:

ومنها: أنه سئل عن يوم الْجُمُعة ويوْمِ النَّحْرِ؟

فقالَ: يومُ الجُمُعَةِ أفْضلُ أيامِ الأُسْبوعِ ويومُ النَّحْر أفْضَلُ أيّامِ العَامِ وغيرُ هذا الجوابِ لا يَسْلَمُ صَاحِبُه من الاعْتِرَاضِ الذي لا حِيلَة له في دَفْعِه(١).

❁ الْمُفَاضَلَةُ بيْنَ صالِحِي بني آدمَ والْمَلائكة.

قال ابن القيم:

ومنها: أنه سُئِلَ عن صالِحِي بني آدَمَ والملائِكَةِ أيُّهما أفْضَلُ؟

فأجابَ: بأنَّ صالِحِي البَشَر أفضَلُ باعتِبَار كمَالِ النّهاية والْمَلائِكَة أفضَلُ باعْتِبَار البِدَاية فإنَّ الْمَلائِكة الآنَ في الرّفيق الأَعْلى منزَّهين عمَّا يلابِسُه بنُو آدم مسْتغرِقُون في عبادَةِ الرَّبِّ، ولا ريْبَ أنَّ هذِهِ الأَحْوَالَ الآنَ أكملُ من أحْوَالِ البَشَر، وأمَّا يوم القِيَامَةِ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنّة فيصيرُ حالُ صالِحِي البَشَر أكْمَلَ من حالِ الْمَلائِكَة(٢).

❁ خَديجَةُ وعـائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن القيم:

ومنها: أنه سُئِلَ عن خَدِيجَة وعَائِشَة أمَّي الْمُؤْمِنين أيُّهما أفْضَلُ؟

فأجابَ: بأنَّ سَبْقَ خَدِيجةَ وتأثِيرَها في أوَّلِ الإسلامِ ونصْرَها وقِيامَها في الدِّين لم تُشْرِكْها فيه عائِشةُ ولا غيرُها من أمَّهات المؤمنينِ وتأثيرَ عائشةَ في آخِرِ الإسلام

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ١٦٢ – ١٦٣.
(٢) بدائع الفوائد: ٣/ ١٦٢ – ١٦٣.

وحَمْلَ الدِّين وتبْلِيغَه إلى الأُمّة وإدْرَاكَها مِنَ العِلْم ما لم تُشْرِكْها فيه خديجةُ ولا غيرُها مِمّا تَمَيَّزتْ به غيرها فتأَمّل هذَا الجَوابَ الذِي لَوْ جِئْتَ بغَيْرِه من التّفضِيلِ مُطْلَقًا لَمْ تَخْلُص مِنَ الْمُعَارَضَة(١).

**وقال ابن القيم:**

وَاخْتُلِفَ فِي تَفْضِيلِها على عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا على ثَلَاثَة أَقْوَال: ثَالِثهَا: الْوَقْف. وَسَأَلت شَيخنَا ابْن تَيْمِية رَحِمَهُٱللَّهُ فَقَالَ:

اخْتصَّ كل وَاحِدَة مِنْهَا بِخَاصَّة، فَخَدِيجَةُ كَانَ تأثيرها فِي أول الْإِسْلَام وَكَانَت تُسلّي رَسُول الله ﷺ وتُثَبِّتُه وتُسَكِّنُه وتَبْذُلُ دُونه مَالهَا فَأَدْرَكَتْ عِزَّةَ الْإِسْلَام واحْتَمَلَتْ الْأَذَى فِي الله وَفِي رَسُوله وَكَانَت نُصْرتُها للرّسول ﷺ فِي أعظم أَوْقَات الْحَاجة فلهَا من النُّصْرَة والبَذْلِ مَا لَيْسَ لغَيْرهَا وَعَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا تأثيرُها فِي آخر الْإِسْلَام فلهَا من التفقُّه فِي الدّين وتبليغِه إِلَى الْأمة وانتفاعِ نبيّها بِمَا أَدَّت إِلَيْهِم من الْعلم مَا لَيْسَ لغَيْرهَا.

هَذَا معنى كَلَامه(٢).

۞ **قَوْلُهُ تعَالَى:** ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣].

**قال ابن القيم:**

الدَّلِيلُ السَّادِسُ(٣): قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ١٦٢ – ١٦٣.
(٢) جلاء الأفهام: ص ٢٣٤ – ٢٣٥.
(٣) في رُؤيةِ المُؤمنين ربَّهم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بأبْصارِهم جهرةً كما يُرى القمرُ ليلة البدر وتجلِّيه لهم ضَاحِكًا إلَيْهم.

[الأنعام:١٠٣] والاستدلال بهذا أَعْجَب فإِنَّهُ من أَدِلَّة النُّفاةِ، وقدْ قَرَّرَ شيْخُنَا وجْهَ الاسْتِدْلالِ بِهِ أَحْسَنَ تَقْرِيرٍ وأَلْطَفَهُ وقالَ لي:

أَنَا أَلْتَزِمُ أَنَّهُ لا يَحْتَجُّ مُبْطِلٌ بآيَةٍ أو حَدِيثٍ صَحِيحٍ على باطِلِهِ إِلَّا وفي ذلكَ الدَّلِيلُ ما يَدُلّ على نَقِيضِ قَوْلِهِ[١].

## ۞ الْمُفَاضَلَةُ بيْنَ السَمْعِ والبَصَرِ.

**قال ابن القيم:**

قال شَيْخُنا: والتَّحْقيقُ أنَّ السَّمْعَ له مَزِيَّة والبَصَرَ له مَزِيَّة فَمَزِيّة السَّمْعِ العُمُومُ والشُّمُول ومَزِيَّة البَصَرِ كَمَال الإدْرَاك وتَمَامُه فالسَّمْعُ أَعَمُّ وأَشْمَلُ والبَصَرُ أَتَمُّ وأَكْمَلُ فَهَذا أَفْضلُ من جِهَةِ شُمُولِ إدْرَاكِه وعُمُومِه وهذَا أَفْضَلُ من جِهَةِ كمَالِ إِدْرَاكِه وتَمَامِه[٢].

**وقال ابن القيم:**

وَحَكَمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ حُكْمًا حَسَنًا، فَقَالَ:

الْمُدْرَكُ بِحَاسَّةِ السَّمْعِ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ. وَالْمُدْرَكُ بِحَاسَّةِ الْبَصَرِ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ. فَلِلسَّمْعِ الْعُمُومُ وَالشُّمُولُ، وَالْإِحَاطَةُ بِالْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ، وَالْحَاضِرِ وَالْغَائِبِ، وَالْحِسِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، وَلِلْبَصَرِ: التَّمَامُ وَالْكَمَالُ[٣].



(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ص ٢٩٣.
(٢) بدائع الفوائد: ٣/ ١٦٥.
(٣) مدارج السالكين: ٢/ ٣٨٤.

# مِنْ أَحْكَامِ الأُسْرَةِ



# الحَضانَة

قال ابن القيم:

وَقَدْ ضَبَطَ هَذَا الْبَابَ شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ بِضَابِطٍ آخَرَ، فَقَالَ:

أَقْرَبُ مَا يُضْبطُ بِهِ بَابُ الْحَضَانَةِ أَنْ يُقَالَ: لَمَّا كَانَتِ الْحَضَانَةُ وِلَايَةً تَعْتَمِدُ الشَّفَقَةَ وَالتَّرْبِيَةَ وَالْمُلَاطَفَةَ كَانَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا أَقْوَمَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ وَهُمْ أَقَارِبُهُ يُقَدَّمُ مِنْهُمْ أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَأَقْوَمُهُمْ بِصِفَاتِ الْحَضَانَةِ.

فَإِنِ اجْتَمَعَ مِنْهُمُ اثْنَانِ فَصَاعِدًا، فَإِنِ اسْتَوَتْ دَرَجَتُهُمْ قُدِّمَ الْأُنْثَى عَلَى الذَّكَرِ، فَتُقَدَّمُ الْأُمُّ عَلَى الْأَبِ، وَالْجَدَّةُ عَلَى الْجَدِّ، وَالْخَالَةُ عَلَى الْخَالِ، وَالْعَمَّةُ عَلَى الْعَمِّ، وَالْأُخْتُ عَلَى الْأَخِ.

فَإِنْ كَانَا ذَكَرَيْنِ أَوْ أُنْثَيَيْنِ، قُدِّمَ أَحَدُهُمَا بِالْقُرْعَةِ يَعْنِي مَعَ اسْتِوَاءِ دَرَجَتِهِمَا، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ دَرَجَتُهُمَا مِنَ الطِّفْلِ، فَإِنْ كَانُوا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ قُدِّمَ الْأَقْرَبُ إِلَيْهِ، فَتُقَدَّمُ الْأُخْتُ عَلَى ابْنَتِهَا، وَالْخَالَةُ عَلَى خَالَةِ الْأَبَوَيْنِ، وَخَالَةُ الْأَبَوَيْنِ عَلَى خَالَةِ الْجَدِّ، وَالْجَدَّةُ وَالْجَدُّ أَبُو الْأُمِّ عَلَى الْأَخِ لِلْأُمِّ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّ جِهَةَ الْأُبُوَّةِ وَالْأُمُومَةِ فِي الْحَضَانَةِ أَقْوَى مِنْ جِهَةِ الْأُخُوَّةِ فِيهَا.

وَقِيلَ: يُقَدَّمُ الْأَخُ لِلْأُمِّ لِأَنَّهُ أَقْوَى مِنْ أَبِ الْأُمِّ فِي الْمِيرَاثِ. وَالْوَجْهَانِ فِي مَذْهَبِ أحمد[1].

---

(١) زاد المعاد: ٥/ ٤٠٢ – ٤٠٣.

**وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:**

تَنَازَعَ أَبَوَانِ صَبِيًّا عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَّامِ، فَخَيَّرَهُ بَيْنَهُمَا، فَاخْتَارَ أَبَاهُ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: سَلْهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَخْتَارُ أَبَاهُ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: أُمِّي تَبْعَثُنِي كُلَّ يَوْمٍ لِلْكُتَّابِ، وَالْفَقِيهُ يَضْرِبُنِي، وَأَبِي يَتْرُكُنِي لِلَّعِبِ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَقَضَى بِهِ لِلْأُمِّ، قَالَ: أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ.

**قَالَ شَيْخُنَا:**

وَإِذَا تَرَكَ أَحَدُ الْأَبَوَيْنِ تَعْلِيمَ الصَّبِيِّ، وَأَمْرَهُ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ عَاصٍ، وَلَا وِلَايَةَ لَهُ عَلَيْهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِالْوَاجِبِ فِي وِلَايَتِهِ، فَلَا وِلَايَةَ لَهُ، بَلْ إِمَّا أَنْ تُرْفَعَ يَدُهُ عَنِ الْوِلَايَةِ وَيُقَامَ مَنْ يَفْعَلُ الْوَاجِبَ، وَإِمَّا أَنْ يُضَمَّ إِلَيْهِ مَنْ يَقُومُ مَعَهُ بِالْوَاجِبِ؛ إِذِ الْمَقْصُودُ طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.

**قَالَ شَيْخُنَا:** وَلَيْسَ هَذَا الْحَقُّ مِنْ جِنْسِ الْمِيرَاثِ الَّذِي يَحْصُلُ بِالرَّحِمِ وَالنِّكَاحِ وَالْوَلَاءِ، سَوَاءٌ كَانَ الْوَارِثُ فَاسِقًا أَوْ صَالِحًا، بَلْ هَذَا مِنْ جِنْسِ الْوِلَايَةِ الَّتِي لَا بُدَّ فِيهَا مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْوَاجِبِ وَالْعِلْمِ بِهِ، وَفِعْلِهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.

قَالَ: فَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ الْأَبَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لَا تُرَاعِي مَصْلَحَةَ ابْنَتِهِ، وَلَا تَقُومُ بِهَا وَأُمُّهَا أَقْوَمُ بِمَصْلَحَتِهَا مِنْ تِلْكَ الضَّرَّةِ، فَالْحَضَانَةُ هُنَا لِلْأُمِّ قَطْعًا.

قَالَ: وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الشَّارِعَ لَيْسَ عَنْهُ نَصٌّ عَامٌّ فِي تَقْدِيمِ أَحَدِ الْأَبَوَيْنِ مُطْلَقًا، وَلَا تَخْيِيرِ الْوَلَدِ بَيْنَ الْأَبَوَيْنِ مُطْلَقًا، وَالْعُلَمَاءُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَتَعَيَّنُ أَحَدُهُمَا مُطْلَقًا، بَلْ لَا يُقَدَّمُ ذُو الْعُدْوَانِ وَالتَّفْرِيطِ عَلَى الْبَرِّ الْعَادِلِ الْمُحْسِنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ(١).



(١) زاد المعاد: ٥/ ٤٢٥



# الحِكْمَةُ مِنَ العِدَّةُ

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا: وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ أَمَّا عِدَّةُ الْوَفَاةِ فَهِيَ حَرَمٌ لِانْقِضَاءِ النِّكَاحِ وَرِعَايَةً لِحَقِّ الزَّوْجِ، وَلِهَذَا تُحِدُّ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ رِعَايَةً لِحَقِّ الزَّوْجِ فَجُعِلَتِ الْعِدَّةُ حَرِيمًا لِحَقِّ هَذَا الْعَقْدِ الَّذِي لَهُ خَطَرٌ وَشَأْنٌ فَيَحْصُلُ بِهَذِهِ فَصْلٌ بَيْنَ نِكَاحِ الْأَوَّلِ وَنِكَاحِ الثَّانِي، وَلَا يَتَّصِلُ النَّاكِحَانِ، أَلَا تَرَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا عَظُمَ حَقُّهُ حَرُمَ نِسَاؤُهُ بَعْدَهُ وَبِهَذَا اخْتُصَّ الرَّسُولُ؛ لِأَنَّ أَزْوَاجَهُ فِي الدُّنْيَا هُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ لَوْ حَرُمَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِغَيْرِ زَوْجِهَا تَضَرَّرَتِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا، وَرُبَّمَا كَانَ الثَّانِي خَيْرًا لَهَا مِنَ الْأَوَّلِ، وَلَكِنْ لَوْ تَأَيَّمَتْ عَلَى أَوْلَادِ الْأَوَّلِ لَكَانَتْ مَحْمُودَةً عَلَى ذَلِكَ مُسْتَحَبًّا لَهَا

وَفِي الْحَدِيثِ: «**أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوْمَأَ بِالْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ، امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ وَحَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَى لَهَا حَتَّى بَانُوا، أَوْ مَاتُوا**».

وَإِذَا كَانَ الْمُقْتَضِي لِتَحْرِيمِهَا قَائِمًا فَلَا أَقَلَّ مِنْ مُدَّةٍ تَتَرَبَّصُهَا، وَقَدْ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَتَرَبَّصُ سَنَةً فَخَفَّفَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ، وَقِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: مَا بَالُ الْعَشْرِ؟ قَالَ فِيهَا يُنْفَخُ الرُّوحُ فَيَحْصُلُ بِهَذِهِ الْمُدَّةِ بَرَاءَةُ الرَّحِمِ حَيْثُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَقَضَاءُ حَقِّ الزَّوْجِ إِذَا لَمْ يُحْتَجْ إِلَى ذَلِكَ[١].

---

(١) زاد المعاد: ٥/ ٥٩٠ – ٥٩١.

**قَالَ شَيْخُنَا:**

وَإِذَا مَضَتِ السُّنَّةُ بِأَنَّ عَلَى هَذِهِ ثَلَاثَةَ أَقْرَاءٍ لَمْ يَجُزْ مُخَالَفَتُهَا، وَلَوْ لَمْ يُجْمَعْ عَلَيْهَا فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مَعَ السُّنَّةِ إِجْمَاعٌ؟ قَالَ: وَقَوْلُهُ ﷺ لفاطمة بنت قيس: اعْتَدِّي قَدْ فَهِمَ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ أَنَّهَا تَعْتَدُّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ، فَإِنَّ الِاسْتِبْرَاءَ قَدْ يُسَمَّى عِدَّةً[١].



(١) زاد المعاد: ٥/ ٥٩٧ – ٥٩٨.



# الخُلَعُ

قال ابن القيم:

فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ يَجُوزُ الْخُلْعُ بِغَيْرِ عِوَضٍ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ فِي مَذْهَبِ مالك وأحمد، وَهَلْ هَذَا إِلَّا اتِّفَاقٌ مِنَ الزَّوْجَيْنِ عَلَى فَسْخِ النِّكَاحِ بِغَيْرِ عِوَضٍ؟ قِيلَ: إِنَّمَا يُجَوِّزُ أحمد فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ الْخُلْعَ بِلَا عِوَضٍ إِذَا كَانَ طَلَاقًا، فَأَمَّا إِذَا كَانَ فَسْخًا فَلَا يَجُوزُ بِالِاتِّفَاقِ، قَالَهُ شَيْخُنَا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ: وَلَوْ جَازَ هَذَا لَجَازَ أَنْ يَتَّفِقَا عَلَى أَنْ يَبِينَهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ عَدَدُ الطَّلَاقِ، وَيَكُونُ الْأَمْرُ إِلَيْهِمَا إِذَا أَرَادَا أَنْ يَجْعَلَا الْفُرْقَةَ بَيْنَ الثَّلَاثِ جَعَلَاهَا وَإِنْ أَرَادَا لَمْ يَجْعَلَاهَا مِنَ الثَّلَاثِ، وَيَلْزَمُ مِنْ هَذَا إِذَا قَالَتْ فَادِنِي بِلَا طَلَاقٍ أَنْ يَبِينَهَا بِلَا طَلَاقٍ، وَيَكُونُ مُخَيَّرًا إِذَا سَأَلَتْهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يَجْعَلَهُ رَجْعِيًّا وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَجْعَلَهُ بَائِنًا، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ، فَإِنَّ مَضْمُونَهُ أَنَّهُ يُخَيَّرُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَرِّمَهَا بَعْدَ الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُحَرِّمْهَا، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يُخَيَّرَ الرَّجُلُ بَيْنَ أَنْ يُجْعَلَ الشَّيْءُ حَلَالًا وَأَنْ يَجْعَلَهُ حَرَامًا، وَلَكِنْ إِنَّمَا يُخَيَّرُ بَيْنَ مُبَاحَيْنِ لَهُ، وَلَهُ أَنْ يُبَاشِرَ أَسْبَابَ الْحِلِّ وَأَسْبَابَ التَّحْرِيمِ، وَلَيْسَ لَهُ إِنْشَاءُ نَفْسِ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا شَرَعَ لَهُ الطَّلَاقَ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَشْرَعْ لَهُ إِيقَاعَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً لِئَلَّا يَنْدَمَ وَتَزُولَ نَزْغَةُ الشَّيْطَانِ الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى الطَّلَاقِ فَتَتْبَعُ نَفْسُهُ الْمَرْأَةَ فَلَا يَجِدُ إِلَيْهَا سَبِيلًا، فَلَوْ مَلَّكَهُ الشَّارِعُ أَنْ يُطَلِّقَهَا طَلْقَةً بَائِنَةً ابْتِدَاءً لَكَانَ هَذَا الْمَحْذُورُ بِعَيْنِهِ مَوْجُودًا، وَالشَّرِيعَةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ تَأْبَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَبْقَى الْأَمْرُ بِيَدِهَا إِنْ شَاءَتْ رَاجَعَتْهُ وَإِنْ شَاءَتْ فَلَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّلَاقَ بِيَدِ الزَّوْجِ لَا بِيَدِ الْمَرْأَةِ رَحْمَةً مِنْهُ

وَإِحْسَانًا وَمُرَاعَاةً لِمَصْلَحَةِ الزَّوْجَيْنِ.

نَعَمْ لَهُ أَنْ يُمَلِّكَهَا أَمْرَهَا بِاخْتِيَارِهِ فَيُخَيِّرُهَا بَيْنَ الْقِيَامِ مَعَهُ وَفِرَاقِهَا.

وَإِمَّا أَنْ يَخْرُجَ الْأَمْرُ عَنْ يَدِ الزَّوْجِ بِالْكُلِّيَّةِ إِلَيْهَا، فَهَذَا لَا يُمْكِنُ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُسْقِطَ حَقَّهُ مِنَ الرَّجْعَةِ، وَلَا يَمْلِكُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الشَّارِعَ إِنَّمَا يُمَلِّكُ الْعَبْدَ مَا يَنْفَعُهُ مِلْكُهُ، وَلَا يَتَضَرَّرُ بِهِ، وَلِهَذَا لَمْ يُمَلِّكْهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ، وَلَا مَلَّكَهُ جَمْعَ الثَّلَاثِ، وَلَا مَلَّكَهُ الطَّلَاقَ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ وَالطُّهْرِ الْمُوَاقِعِ فِيهِ، وَلَا مَلَّكَهُ نِكَاحَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ، وَلَا مَلَّكَ الْمَرْأَةَ الطَّلَاقَ، وَقَدْ نَهَى سُبْحَانَهُ الرِّجَالَ أَنْ يُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَهُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَهُمْ قِيَامًا، فَكَيْفَ يَجْعَلُونَ أَمْرَ الْأَبْضَاعِ إِلَيْهِنَّ فِي الطَّلَاقِ وَالرَّجْعَةِ، فَكَمَا لَا يَكُونُ الطَّلَاقُ بِيَدِهَا لَا تَكُونُ الرَّجْعَةُ بِيَدِهَا، فَإِنْ شَاءَتْ رَاجَعَتْهُ وَإِنْ شَاءَتْ فَلَا، فَتَبْقَى الرَّجْعَةُ مَوْقُوفَةً عَلَى اخْتِيَارِهَا، وَإِذَا كَانَ لَا يَمْلِكُ الطَّلَاقَ الْبَائِنَ فَلَأَنْ لَا يَمْلِكَ الطَّلَاقَ الْمُحَرِّمَ ابْتِدَاءً أَوْلَى وَأَحْرَى؛ لِأَنَّ النَّدَمَ فِي الطَّلَاقِ الْمُحَرِّمِ أَقْوَى مِنْهُ فِي الْبَائِنِ. فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْإِبَانَةَ وَلَوْ أَتَى بِهَا لَمْ تَبِنْ كَمَا هُوَ قَوْلُ فُقَهَاءِ الْحَدِيثِ لَزِمَهُ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الثَّلَاثَ الْمُحَرِّمَةَ ابْتِدَاءً بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى وَأَنَّ لَهُ رَجْعَتَهَا. وَإِنْ أَوْقَعَهَا كَانَ لَهُ رَجْعَتُهَا. وَإِنْ قَالَ أَنْتِ طَالِقٌ وَاحِدَةً بَائِنَةً، فَإِذَا كَانَ لَا يَمْلِكُ إِسْقَاطَ الرَّجْعَةِ فَكَيْفَ يَمْلِكُ إِثْبَاتَ التَّحْرِيمِ الَّذِي لَا تَعُودُ بَعْدَهُ إِلَّا بِزَوْجٍ وَإِصَابَةٍ؟

فَإِنْ قِيلَ: فَلَازِمٌ هَذَا أَنَّهُ لَا يَمْلِكُهُ وَلَوْ بَعْدَ اثْنَتَيْنِ قُلْنَا: لَيْسَ ذَلِكَ بِلَازِمٍ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مَلَّكَهُ الطَّلَاقَ عَلَى وَجْهٍ مُعَيَّنٍ، وَهُوَ أَنْ يُطَلِّقَ وَاحِدَةً وَيَكُونُ أَحَقَّ بِرَجْعَتِهَا مَا لَمْ تَنْقَضِ عِدَّتُهَا، ثُمَّ إِنْ شَاءَ طَلَّقَ الثَّانِيَةَ كَذَلِكَ وَيَبْقَى لَهُ وَاحِدَةٌ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنْ أَوْقَعَهَا حَرُمَتْ عَلَيْهِ، وَلَا تَعُودُ إِلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ وَيُصِيبَهَا وَيُفَارِقَهَا، فَهَذَا هُوَ الَّذِي مَلَّكَهُ إِيَّاهُ لَمْ يُمَلِّكْهُ أَنْ يُحَرِّمَهَا ابْتِدَاءً تَحْرِيمًا تَامًّا مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ تَطْلِيقَتَيْنِ.



وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ(١).

وقال ابن القيم:

وَأَمَّا تَحْرِيمُ بَيْعِ الْمَيْتَةِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَا يُسَمَّى مَيْتَةً، سَوَاءٌ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ، أَوْ ذُكِّيَ ذَكَاةً لَا تُفِيدُ حِلَّهُ. وَيَدْخُلُ فِيهِ أَبْعَاضُهَا أَيْضًا، وَلِهَذَا اسْتَشْكَلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تَحْرِيمَ بَيْعِ الشَّحْمِ، مَعَ مَا لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ، فَأَخْبَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ حَرَامٌ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا ذَكَرُوا مِنَ الْمَنْفَعَةِ وَهَذَا مَوْضِعٌ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ؛ لِاخْتِلَافِهِمْ فِي فَهْمِ مُرَادِهِ ﷺ وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ: «**لَا، هُوَ حَرَامٌ**» هَلْ هُوَ عَائِدٌ إِلَى الْبَيْعِ، أَوْ عَائِدٌ إِلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي سَأَلُوا عَنْهَا؟ فَقَالَ شَيْخُنَا: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْبَيْعِ؛ فَإِنَّهُ ﷺ لَمَّا أَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ بَيْعَ الْمَيْتَةِ، قَالُوا: إِنَّ فِي شُحُومِهَا مِنَ الْمَنَافِعِ كَذَا وَكَذَا، يَعْنُونَ فَهَلْ ذَلِكَ مُسَوِّغٌ لِبَيْعِهَا؟ فَقَالَ: «**لَا، هُوَ حَرَامٌ**».

**قُلْتُ**: كَأَنَّهُمْ طَلَبُوا تَخْصِيصَ الشُّحُومِ مِنْ جُمْلَةِ الْمَيْتَةِ بِالْجَوَازِ، كَمَا طَلَبَ العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخْصِيصَ الْإِذْخِرِ مِنْ جُمْلَةِ تَحْرِيمِ نَبَاتِ الْحَرَمِ بِالْجَوَازِ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: «**لَا، هُوَ حَرَامٌ**»(٢).



(١) زاد المعاد: ٥/ ٦٠٠ – ٦٠١.

(٢) زاد المعاد: ٥/ ٦٦٤.

# المَحَبَّةُ

❁ الْمُحِبُّونَ يَفْتَخِرُونَ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّونَهُ.

قال ابن القيم:

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «إِنَّ عَبْدِي - كُلَّ عَبْدِيَ - الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ».

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَسْتَشْهِدُ بِهِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: الْمُحِبُّونَ يَفْتَخِرُونَ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّونَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، كَمَا قَالَ عَنْتَرَةُ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ

وَقَالَ الْآخَرُ:

ذَكَرْتُكِ وَالْخَطِّيُّ يَخْطُرُ بَيْنَنَا ... وَقَدْ نَهَلَتْ مِنَّا الْمُثَقَّفَةُ السُّمْرُ

قَالَ آخَرُ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ شَوَاجِرٌ ... تَحْوِي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّ ذِكْرَ الْمُحِبِّ مَحْبُوبَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي لَا يَهُمُّ الْمَرْءَ فِيهَا غَيْرُ نَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ أَوْ أَعَزُّ مِنْهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الْمَحَبَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[١].

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٣٩٩ - ٤٠٠..



۞ **ليس من المَحبَّة مَحبَّة ما يُبغضُه الله ورسولُه.**

**قال ابن القيم:**

وأخبرني شيخ الإسلام - قدس الله روحه - أنَّه لَامَ بعضَ هذه الطائفة على مَحَبَّة ما يُبغضُه الله ورسولُه فقال له الْمَلُوم: الْمَحَبَّة نارٌ تحْرِقُ من القَلْبِ ما سِوَى مُرَادِ الْمَحْبُوب وجميع ما في الكَوْنِ مُرَادُه فأَيُّ شيءٍ أبْغَضُ مِنْهُ؟

قال الشيخ:

فقلت له: إذا كان قد سخِطَ على أقْوام ولَعَنهم وغَضِب عَلَيْهم وذَمَّهُم فوالَيْتهم أنتَ وأحْبَبْتهم وأحْبَبْتَ أفْعَالَهُم ورضِيتَها تكونُ مواليًا له أو معَادِيًا.

قال: فبُهِتَ الْجَبْرِيُّ ولَمْ ينطِقْ بكَلِمَة[١].

**وقال ابن القيم:**

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول:

عاتبت بعض شيوخ هؤلاء فقال لي: المحبة نار تَحْرِقُ من القَلْبِ ما سِوَى مُرَادِ الْمَحْبُوبِ والكَوْنُ كُلُّهُ مُرَادُه، فأيُّ شيءٍ أبْغَضُ مِنْهُ؟

قال: فقلتُ له: إذا كانَ الْمَحْبُوب قدْ أبْغَضَ بَعْضَ مَنْ في الكَوْن وعَادَاهم ولَعَنَهم، فأحَبَبْتَهم أنت ووالَيْتَهم، أكنتَ وليًّا للمَحْبُوبِ أو عَدُوًّا له؟ قال: فكأَنَّمَا أُلْقِمَ حَجَراً[٢].

---

(١) شفاء العليل: ص ٤.

(٢) طريق الهجرتين: ص ٨٥، ٣٠٣.

❁ قِيَامُ مُوسَى بِتِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَوْجَبَتْ لَهُ هَذَا الدِّلَالَ.

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ:

انْظُرْ إِلَى مُوسَى - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - رَمَى الْأَلْوَاحَ الَّتِي فِيهَا كَلَامُ اللهِ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ فَكَسَرَهَا، وَجَرَّ بِلِحْيَةِ نَبِيٍّ مِثْلِهِ، وَهُوَ هَارُونُ، وَلَطَمَ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، وَعَاتَبَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَفَعَهُ عَلَيْهِ، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَحْتَمِلُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُدَلِّلُهُ، لِأَنَّهُ قَامَ لِلَّهِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةَ فِي مُقَابَلَةِ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهُ، وَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَعَالَجَ أُمَّتَي الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كَالشَّعْرَةِ فِي الْبَحْرِ.

وَانْظُرْ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذِهِ الْمَقَامَاتُ الَّتِي لِمُوسَى، غَاضَبَ رَبَّهُ مَرَّةً، فَأَخَذَهُ وَسَجَنَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ لَهُ مَا احْتَمَلَ لِمُوسَى، وَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ إِذَا أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْمَحَاسِنِ مَا يَشْفَعُ لَهُ، وَبَيْنَ مَنْ إِذَا أَتَى بِذَنْبٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِكُلِّ شَفِيعٍ، كَمَا قِيلَ:

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ... جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ[1]

**وَقال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ:

وَكَذَلِكَ لَطَمَ مُوسَى عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا. وَلَمْ يَعْتِبْ عَلَيْهِ رَبُّهُ. وَفِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ عَاتَبَ رَبَّهُ فِي النَّبِيِّ ﷺ. إِذْ رَفَعَهُ فَوْقَهُ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِذَلِكَ. وَلَمْ يَعْتِبْهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ.

---

(١) مدارج السالكين: ١/ ٣٣٧.

قَالَ: لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَوْجَبَتْ لَهُ هَذَا الدَّلَالَ.

فَإِنَّهُ قَاوَمَ فِرْعَوْنَ أَكْبَرَ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَى. وَتَصَدَّى لَهُ وَلِقَوْمِهِ.

وَعَالَجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ.

وَجَاهَدَ فِي اللهِ أَعْدَاءَ اللهِ أَشَدَّ الْجِهَادِ.

وَكَانَ شَدِيدَ الْغَضَبِ لِرَبِّهِ، فَاحْتَمَلَ لَهُ مَا لَمْ يَحْتَمِلْهُ لِغَيْرِهِ.

وَذُو النُّونِ لَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْمَقَامِ: سَجَنَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ مِنْ غَضَبِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا(١).

**۞ حَيَاءُ الْمَحَبَّةِ.**

**قال ابن القيم:**

وَأَمَّا حَيَاءُ الْمَحَبَّةِ: فَهُوَ حَيَاءُ الْمُحِبِّ مِنْ مَحْبُوبِهِ، حَتَّى إِنَّهُ إِذَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ فِي غَيْبَتِهِ هَاجَ الْحَيَاءُ مِنْ قَلْبِهِ، وَأَحَسَّ بِهِ فِي وَجْهِهِ. وَلَا يَدْرِي مَا سَبَبُهُ.

وَكَذَلِكَ يَعْرِضُ لِلْمُحِبِّ عِنْدَ مُلَاقَاتِهِ مَحْبُوبِهِ وَمُفَاجَأَتِهِ لَهُ رَوْعَةٌ شَدِيدَةٌ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَمَالٌ رَائِعٌ.

وَسَبَبُ هَذَا الْحَيَاءِ وَالرَّوْعَةِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ لِلْمَحَبَّةِ سُلْطَانًا قَاهِرًا لِلْقَلْبِ أَعْظَمَ مِنْ سُلْطَانِ مَنْ يَقْهَرُ الْبَدَنَ، فَأَيْنَ مَنْ يَقْهَرُ قَلْبَكَ وَرُوحَكَ إِلَى مَنْ يَقْهَرُ بَدَنَكَ؟

وَلِذَلِكَ تَعَجَّبَتِ الْمُلُوكُ وَالْجَبَابِرَةُ مِنْ قَهْرِهِمْ لِلْخَلْقِ وَقَهْرِ الْمَحْبُوبِ لَهُمْ،

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٤٢٧.

وَذُلِّهِمْ لَهُ.

فَإِذَا فَاجَأَ الْمَحْبُوبُ مُحِبَّهُ، وَرَآهُ بَغْتَةً: أَحَسَّ الْقَلْبُ بِهُجُومِ سُلْطَانِهِ عَلَيْهِ، فَاعْتَرَاهُ رَوْعَةٌ وَخَوْفٌ.

وَسَأَلْنَا يَوْمًا شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؟ فَذَكَرْتُ أَنَا هَذَا الْجَوَابَ. فَتَبَسَّمَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا(١).

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

لُمْتُ بَعْضَ الْإِبَاحِيَّةِ، فَقَالَ لِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: وَالْكَوْنُ كُلُّهُ مُرَادُهُ، فَأَيَّ شَيْءٍ أَبْغَضَ مِنْهُ؟

**قَالَ الشَّيْخُ:** فَقُلْتُ لَهُ: إِذَا كَانَ الْمَحْبُوبُ قَدْ أَبْغَضَ أَفْعَالًا وَأَقْوَالًا وَأَقْوَامًا وَعَادَاهُمْ فَطَرَدَهُمْ وَلَعَنَهُمْ فَأَحْبَبْتَهُمْ: تَكُونُ مُوَالِيًا لِلْمَحْبُوبِ أَوْ مُعَادِيًا لَهُ؟ قَالَ: فَكَأَنَّمَا أُلْقِمَ حَجَرًا. وَافْتُضِحَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ. وَكَانَ مُقَدَّمًا فِيهِمْ مُشَارًا إِلَيْهِ(٢).

### ۞ أَقْسَامُ العُشَّاقِ.

**قال ابن القيم:**

قالوا: ونحن نُحَاكِمُكم إلى واحدٍ يُعدُّ بآلاف مؤلَّفَةٍ وهو شيخ الإسلام ابنِ تيمية فإنَّه سُئِل ما تقولُ السّادةُ الفُقَهاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في رجُلٍ عاشِقٍ في صُورَة وهي مصرة على هجره منذ زمنٍ طَوِيلٍ لا تزِيدُه إلا بُعْدًا ولا يَزْدَادُ لها إلا حُبًّا وعِشْقُه لهَذِه الصّورَةِ من غَيْرِ فسْقٍ ولا خَنًا ولا هو مِمَّن يُدَنِّس عشْقَه بزِنًا وقد أفْضَى به الحالُ إلى الهَلاكِ لا مَحَالَة إنْ بقِيَ مَعَ مَحْبُوبِه على هذِهِ الْحَالة فهلْ يَحِلُّ لِمَنْ هَذِه

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٢٥٢.

(٢) مدارج السالكين: ٣/ ١٦.

حالُه أنْ يُهْجَرَ وهَلْ يجبُ وِصَالُه على الْمَحْبُوبِ الْمَذْكُورِ وهَلْ يَأْثَمُ ببَقَائِه على هَجْرِه وما يَجِبُ من تَفاصِيل أمْرِهِمَا وما لكُلّ واحدٍ منهما على الآخَرِ من الْحُقُوقِ مِمَّا يُوافِقُ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ.

**فأجاب بخطه بجواب طويل قال في أثنائه:**

فالعاشِقُ له ثلاثُ مقاماتٍ: ابتَداءٌ وتوسُّطٌ ونِهايةٌ.

أما ابتداؤُه: فواجبٌ عليه فيه كتْمَانُ ذلك وعدمُ إفشَائِه للخَلْق مُرَاعِيًا في ذلك شرَائِطَ الفُتُوَّة من العِفّة مع القُدْرَة.

فإنْ زَادَ بِهِ الْحَالُ إلى الْمَقَامِ الأَوْسَطِ فَلَا بأسَ بإعْلَامِ مَحْبُوبِه بِمَحَبَّته إيَّاهُ فَيَخِفُّ بإعْلامِهِ وشَكْوَاهُ إلَيْه ما يَجِدُ منْهُ ويَحْذرُ من اطِّلَاعِ النَّاسِ على ذَلِكَ.

فإنْ زادَ بِهِ الأَمْرُ حتَّى خَرَجَ عن الْحُدُودِ والضَّوابِطِ الْتَحَقَ بالْمَجَانِين والْمُوَسْوَسِين فانقسم العُشَّاقُ قِسْمَيْنِ:

قِسْمٌ قَنَعُوا بالنَّظْرَةِ بعدَ النَّظْرَة فمنهم من يَمُوت وهو كذلكَ ولا يُظْهِرُ سِرَّه لأحَدٍ حتّى مَحْبُوبه لا يدْرِي بِهِ.

وقد رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ «**مَنْ عشَقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

**والقسم الثاني:**

أبَاحُوا لِمَنْ وصَلَ إلى حَدٍّ يَخَافُ على نَفْسِه مِنْهُ القُبْلَة في الْحِينِ قالُوا: لأَنَّ تَرْكَها قدْ يؤدِّي إلى هلاكِ النَّفْسِ والقُبْلَةُ صَغِيرةٌ وهلاكُ النَّفْسِ كَبِيرَةٌ وإذَا وَقعَ الإنسانُ في مَرَضَيْن دَاوَى الأَخْطَر ولا خَطَرَ أعْظَمُ من قَتْلِ النَّفْس حتَّى أَوْجَبُوا على الْمَحْبُوبِ مطَاوَعَتَه على ذلكَ إذا عَلِمَ أنَّ ترْكَ ذلكَ يؤدِّي إلى هَلاكِهِ.

واحْتَجُّوا بقَوْلِ اللهِ تعالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء:٣١].

وبقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم:٣٢].

وبحديث الذي قال: يا رسول الله ﷺ إني لقيتُ امرأةً أَجْنَبِيَّة فأصبْتُ منها كلَّ شَيْءٍ إلّا النّكاح، قال:«**أَصَلَّيْتَ مَعَنَا؟**» قال: نَعَم، قال: «**إنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ**» فأنزلَ الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ [هود:١١٤] ثم قال: فإنْ كانَ هذا السَّائِلُ كمَا زَعَمَ مِمَّن لا يُدَنِّس عِشْقَه بِزَنًى ولا يَصْحَبُه بخَنًى فينظُرُ في حَالِهِ فإنْ كان من الطَّبَقَة الأُولَى فالنَّظَر كافٍ لَهُمْ إنْ صدَقَتْ دعْوَاهم وإن كان من الطبقة الثَّانيةِ فلا بَأْسَ بشَكْوَاهُ إلى مَحْبُوبِه كَيْ يَرِقَّ عليْه ويَرْحَمه وإنْ غلَبَ علَيْه الْحَالُ فالْتَحَقَ بالثّالثَة أُبيحَ له ما ذَكَرْنا بِشَرْط أن لا يكون أُنْمُوذَجًا لِفِعْلِ القَبِيح الْمُحَرَّم فيَلْتَحِقُ بالكَبَائِرِ ويَسْتَحِقّ القَتْل عند ذلِكَ ويَزُول عنه العُذْر ويحقُّ علَيْه كلمةُ العذابِ. انتهى ما ذكرناه من جوابه.

**قالوا:** وقَدْ جوَّزَتْ طائفةٌ من فُقَهَاء السَّلَف والْخَلَف والعُلَمَاء اسْتِمْنَاء الإنسانِ بيَدِه إذا خافَ الزِّنَى وقدْ جوَّزَتْ طائفَةٌ من الفُقَهَاء لِمَنْ خافَ على نَفْسِه في الصَّوْمِ الوَاجِبِ منْ شِدَّة الشَّبَقِ أنْ تَتَشَقَّق أنْثَيَاه أن يُجامِعَ امْرَأَته وبنَوْا على ذلكَ فَرْعًا وهو إذا كانَ له امرأَتَانِ حائِضٌ وصائِمةٌ فهلْ يطأُ هذه أو هذه على وجْهَيْن ولا ريبَ أنَّ النَّظَرَ والقُبْلَة والضَّمَّ إذا تضمَّنَ شفَاءَهُ من دَائِه كانَ أسهَلَ من الاسْتِمْنَاء باليَدِ والوَطْءِ في نهارِ رَمَضَان.

وقد جوَّز بعضُ الفُقَهاء للمَرْأَة إذا خَافَت الزّنا أنْ تتَّخِذَ لها شيْئًا تدخِلُه في فَرْجِها وتخرِجُه لئَلّا تقع في مَحْظُور الزّنا.

ولا ريبَ أنَّ الشَّرِيعةَ جاءتْ بالْتِزَام الدُّخُول في أَدْنَى الْمَفْسَدَتَيْن دَفْعًا لأَعْلاهُمَا وتَفْوِيت أدنى الْمَصْلحتَيْن تحصيلًا لأَعْلاهُمَا فأَيْنَ مفْسَدَةُ النَّظَرِ والقُبْلة والضَّمُّ من

مَفْسَدَةِ الْمَرَضِ والْجُنُون أو الهَلاك جُمْلَة فهَذَا ما احْتَجَّتْ به هذهِ الفِرْقَةُ ونحنُ نذكر ما لَهَا وما عَلَيْها في ذلك بِحَوْلِ اللهِ وقُوَّتِهِ وَعَوْنِهِ(١).

## ۞ النَّظَرُ للهوَى والشَّهْوَةِ.

**قال ابن القيم:**

وإنَّمَا تَسَتَّرَتْ هذه الطائفةُ لهَوَاهَا وشَهَوَاتِها وأوْهَمَتْ أنها تنظر عبْرَةً واسْتِدْلَالًا حتَّى آل ببعضهم الأَمْرُ إلى أنْ ظنُّوا أنَّ نظرهم عبادة لأنهم ينظرون إلى مظاهر الْجَمَال الإِلَهِيّ ويزعُمُونَ أنَّ الله - سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن قَوْل إخْوانِ النّصارى - يظْهَرُ في تلكَ الصُّورَة الْجَمِيلَة ويجْعَلُون هذَا طرِيقًا إلى الله كَمَا وقَعَ فيه طَوَائِفُ كثيرةٌ مِمَّن يدَّعِي الْمَعْرِفَةَ والسُّلُوكَ.

**قال شيخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وكفر هؤلاء شرٌّ من كفر قوم لوط وشرٌّ من كفر عبَّاد الأصنام فإن أولئك لم يقولوا إن الله سبحانه يَتَجَلَّى في تلْكَ الصُّورَةِ وعُبَّادِ الأصْنَامِ غَايةُ ما قالُوهُ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] وهؤلاء قالوا: نعبدهم لأن الله ظهر في

---

(١) روضة المحبين: ص ١١٨ وقال ابن القيم بعدها ص ١٣١: وأما من حاكمتمونا إليه وهو شيخ الإسلام ابن تيمية فنحن راضون بحكمه فأين أباح لكم النظر المحرم وعشق المردان والنساء الأجانب، وهل هذه إلا كذب ظاهر عليه؟! وهذه تصانيفه وفتاواه كلها ناطقة بخلاف ما حكيتموه عنه.

وأما الفتيا التي حكيتموها فكذب عليه لا تناسب كلامه بوجه ولولا الإطالة لذكرناها جميعها حتى يعلم الواقف عليها أنها لا تصدر عمن دونه فضلا عنه وقلت لمن أوقفني عليها: هذه كذب عليه لا يشبه كلامه، وكان بعض الأمراء قد أوقفني عليها قديما وهي بخط رجل متهم بالكذب وقال لي: ما كنت أظن الشيخ برقة هذه الحاشية ثم تأملتها فإذا هي كذب عليه ولولا الإطالة لذكرنا من فتاويه ما يبين أن هذه كذب اهـ.

صورهم.

وحكى لي شيخُنَا أنَّ رجُلًا من هؤلاءِ مَرَّ به شَابٌّ جَمِيلٌ فجعَلَ يُتبعُه بَصَرَه فأنكَرَ علَيْه جليسٌ له وقال: لا يصلح هذا لِمِثْلِك، فقال: إني أَرَى فيه صفاتِ معْبُودِي وهو مَظْهَر من مظَاهِرِ جَمَالِه فقالَ: لقَدْ فَعَلْتُ بِهِ وصنَعْتُ فقالَ: وإنْ.

قال شَيْخُنا: فلَعَنَ اللهُ أُمَّة مَعْبُودُها مَوْطُوئُها(١).

**۞ ذُمُّ المشركين لأنَّهم أَشْرَكُوا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْدَادِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ، وَلَمْ يُخْلِصُوهَا لِلَّهِ كَمَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ.**

**قال ابن القيم:**

وَالْقَوْلَانِ مُرَتَّبَانِ عَلَى الْقَوْلَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] فَإِنَّ فِيهَا قَوْلَانِ.

**أَحَدُهُمَا:** يُحِبُّونَهُمْ كَمَا يُحِبُّونَ اللهَ. فَيَكُونُ قَدْ أَثْبَتَ لَهُمْ مَحَبَّةَ اللهِ. وَلَكِنَّهَا مَحَبَّةٌ يُشْرِكُونَ فِيهَا مَعَ اللهِ أَنْدَادًا.

**وَالثَّانِي:** أَنَّ الْمَعْنَى يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَمَا يُحِبُّ الْمُؤْمِنُونَ اللهَ. ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ أَشَدُّ مِنْ مَحَبَّةِ أَصْحَابِ الْأَنْدَادِ لِأَنْدَادِهِمْ.

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُرَجِّحُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ، وَيَقُولُ:

إِنَّمَا ذُمُّوا بِأَنْ أَشْرَكُوا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَنْدَادِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ، وَلَمْ يُخْلِصُوهَا لِلَّهِ كَمَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ(٢).



(١) روضة المحبين: ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) مدارج السالكين: ٣/ ٢١.



# متفرِّقاتٌ

۞ **أحْوَالُ التّائِبِين.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَحْكِي هَذَا الْخِلَافَ، ثُمَّ قَالَ:

وَالصَّحِيحُ أَنَّ مِنَ التَّائِبِينَ مَنْ لَا يَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعُودُ إِلَيْهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعُودُ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا، فَيَصِيرُ خَيْرًا مِمَّا كَانَ قَبْلَ الذَّنْبِ، وَكَانَ دَاوُدُ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ.

قَالَ: وَهَذَا بِحَسَبِ حَالِ التَّائِبِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ، وَجِدِّهِ وَعَزْمِهِ، وَحَذَرِهِ وَتَشْمِيرِهِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِمَّا كَانَ لَهُ قَبْلَ الذَّنْبِ عَادَ خَيْرًا مِمَّا كَانَ وَأَعْلَى دَرَجَةً، وَإِنْ كَانَ مِثْلَهُ عَادَ إِلَى مِثْلِ حَالِهِ، وَإِنْ كَانَ دُونَهُ لَمْ يَعُدْ إِلَى دَرَجَتِهِ، وَكَانَ مُنْحَطًّا عَنْهَا، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ فَصْلُ النِّزَاعِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ(١).

**وقال ابن القيم:**

وجرَتْ هذهِ الْمَسْأَلَةُ بحضْرَةِ شيخِ الإسْلام ابن تَيْمِيَّة، فسمِعْتُه يَحكي هذه الأَقوال الثَّلاثة حِكايَةً مُجرّدةً، فإمَّا سأَلْتُه وإمَّا سُئِلَ عن الصَّوَاب منْهَا، فقالَ:

الصَّوَابُ أنَّ من التَّائِبينَ من يعُودُ إلى مِثْلِ حَالِهِ، ومنهم من يعُودُ إلى أكْمَلَ منها، مِمَّا كانَتْ، ومنهم من يعودُ إلى أنقصَ مِمَّا كانَ.

---

(١) مدارج السالكين: ١/ ٣٠٢.

فإنْ كانَ بعدَ التَّوْبَة خَيْراً مِمَّا كان قبلَ الخَطِيئَة وأشَدَّ حذَراً وأعْظَمَ تَشْمِيراً وأعْظَمَ ذُلًّا وخَشْيَةً وإنابَةً عاد إلى أَرْفَعَ مِمَّا كان، وإن كانَ قبْلَ الخَطِيئَةِ أكْملَ فى هذِهِ الأُمورِ ولَمْ يَعُدْ بعْدَ التَّوْبَة إليها عادَ إلى أنقَصَ مِمَّا كان علَيْه، وإن كانَ بعْدَ التَّوْبَة مثلَ ما كانَ قبْلَ الخَطِيئَة رجَعَ إلى مِثْلِ مَنْزِلَتِه. هذا مَعْنَى كلامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

**وقال ابن القيم:**

وَحَكَمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ حُكْمًا مَقْبُولًا فَقَالَ:

التَّحْقِيقُ أَنَّ مِنَ التَّائِبِينَ مَنْ يَعُودُ إِلَى أَرْفَعَ مِنْ دَرَجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مِنْ يَعُودُ إِلَى مِثْلِ دَرَجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَتِهِ(٢).

**۞ الزُّهْد.**

**قال ابن القيم:**

وسمعت شيخ الاسلام يقول:

الزُّهْدُ تركُكَ ما لا ينفعُك، والوَرَعُ تَرْكُك ما يَضُرُّك(٣).

وقال ابن القيم:

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ:

الزُّهْدُ تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوَرَعُ تَرْكُ مَا تَخَافُ ضَرَرُهُ فِي الْآخِرَةِ(٤).

---

(١) طريق الهجرتين: ص ٢٤٥.

(٢) الداء والدواء: ص ٨٧.

(٣) عدة الصابرين: ٢٦٤.

(٤) مدارج السالكين: ١/ ١٢ وقال ابن القيم: وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَأَجْمَعِهَا. اهـ

**۞ لابُدّ أن يكونَ مع الإنسانِ أصُولٌ كليَّة تُردُّ إليها الْجُزْئيات.**

**قال ابن القيم:**

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لابُدّ أن يكونَ مع الإنسانِ أصُولٌ كليَّة تُرَدُّ إليها الْجُزْئيّات، لِيَتكَلّم بعِلْمٍ وعَدْلٍ، ثُمّ يَعْرِف الْجُزْئيّات كَيْفَ وقَعَتْ، وإلا فَيَبْقَى في كذِبٍ وجَهْلٍ في الْجُزْئيّات، وجَهْلٍ وظُلْمٍ في الكُلّيَاتِ فيَتَولّد فسَادٌ عَظِيمٌ(١).

**۞ مَرْتَبَةُ التَّحْدِيثِ.**

**قال ابن القيم:**

وَهَذِهِ دُونَ مَرْتَبَةِ الْوَحْيِ الْخَاصِّ، وَتَكُونُ دُونَ مَرْتَبَةِ الصِّدِّيقِينَ، كَمَا كَانَتْ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**إِنَّهُ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**».

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

جَزَمَ بِأَنَّهُمْ كَائِنُونَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا، وَعَلَّقَ وُجُودَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِ «إِنْ» الشَّرْطِيَّةِ، مَعَ أَنَّهَا أَفْضَلُ الْأُمَمِ، لِاحْتِيَاجِ الْأُمَمِ قَبْلَنَا إِلَيْهِمْ، وَاسْتِغْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْهُمْ بِكَمَالِ نَبِيِّهَا وَرِسَالَتِهِ، فَلَمْ يُحْوِجِ اللهُ الْأُمَّةَ بَعْدَهُ إِلَى مُحَدَّثٍ وَلَا مُلْهَمٍ، وَلَا صَاحِبِ كَشْفٍ وَلَا مَنَامٍ، فَهَذَا التَّعْلِيقُ لِكَمَالِ الْأُمَّةِ وَاسْتِغْنَائِهَا لَا لِنَقْصِهَا.

وَالْمُحَدَّثُ: هُوَ الَّذِي يُحَدَّثُ فِي سِرِّهِ وَقَلْبِهِ بِالشَّيْءِ، فَيَكُونُ كَمَا يُحَدَّثُ بِهِ(٢).

(١) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى: ص ٦ – ٧.

(٢) مدارج السالكين: ١/ ٦٣.

وقال ابن القيم:

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَحْكِي عَنْ بَعْضِ الْعَارِفِينَ أَنَّهُ قَالَ: الْعَامَّةُ يَعْبُدُونَ اللهَ، وَهَؤُلَاءِ يَعْبُدُونَ نُفُوسَهُمْ[(١)].

**۞ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ على عَتَبَةِ الْعُبُودِيَّةِ.**

**قال ابن القيم:**

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ:

مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ الْعُبُودِيَّةِ[(٢)].

**وقال ابن القيم:**

وَكَذَلِكَ يَقُولُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُمْ، إِذَا طَلَبُوا مِنْهُ الشَّفَاعَةَ - بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «**اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، عَبْدٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**».

إلى هنا

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ:

فَحَصَلَتْ لَهُ تِلْكَ الْمَرْتَبَةُ بِتَكْمِيلِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَمَالِ مَغْفِرَةِ اللهِ لَهُ[(٣)].

**۞ الاستِقَامَةُ عَلَى العُبُودِيَّةِ.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: اسْتَقَامُوا عَلَى

---

(١) مدارج السالكين: ١/ ٢٧٢.

(٢) مدارج السالكين: ١/ ٤٢٩.

(٣) مدارج السالكين: ٣/ ٣١ - ٣٢.



مَحَبَّتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً[١].

❁ **جَنَّةُ الدُّنْيَا.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ:

إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ[٢].

❁ **الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ:

الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ مَا حَجَزَكَ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ[٣].

❁ **حَدُّ الْخَوْفِ.**

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ:

حَدُّ الْخَوْفِ مَا حَجَزَكَ عَنْ مَعَاصِي اللهِ، فَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ: فَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ[٤].

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ١٠٤.

(٢) مدارج السالكين: ١/ ٤٥٢.

(٣) مدارج السالكين: ١/ ٥١١.

(٤) مدارج السالكين: ٢/ ٣٧١.

### ۞ الْعَارِفُ لَا يُعَاتِبُ، وَلَا يُطَالِبُ، وَلَا يُضَارِبُ.

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ:

الْعَارِفُ لَا يَرَى لَهُ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا، وَلَا يَشْهَدُ عَلَى غَيْرِهِ فَضْلًا، وَلِذَلِكَ لَا يُعَاتِبُ، وَلَا يُطَالِبُ، وَلَا يُضَارِبُ(١).

### ۞ مِنَ الْمُبَاحِ ما يُنَافِي الْمَرَاتِبَ الْعَالِيَةَ.

**قال ابن القيم:**

وَقَالَ لِي يَوْمًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - فِي شَيْءٍ مِنَ الْمُبَاحِ:

هَذَا يُنَافِي الْمَرَاتِبَ الْعَالِيَةَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَرْكُهُ شَرْطًا فِي النَّجَاةِ.

أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ(٢).

### ۞ نَظَرُ الله إلى هِمَّة الْحَكِيمِ لا إلى كَلَامِهِ.

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ:

فِي بَعْضِ الْآثَارِ الْإِلَهِيَّةِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «**إِنِّي لَا أَنْظُرُ إِلَى كَلَامِ الْحَكِيمِ، وَإِنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى هِمَّتِهِ**».

---

(١) مدارج السالكين: ١/ ٥١٩.

(٢) مدارج السالكين: ١/ ٢٨.



## ۞ قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ.

**قال ابن القيم:**

قَالَ[١]: وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ، وَالْخَاصَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ، يُرِيدُ: أَنَّ قِيمَةَ الْمَرْءِ هِمَّتُهُ وَمَطْلَبُهُ[٢].

## ۞ إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا، فَاتَّهِمْهُ.

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ:

إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا، فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى شَكُورٌ - يَعْنِي - أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُثِيبَ الْعَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَلَاوَةٍ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ انْشِرَاحٍ وَقُرَّةِ عَيْنٍ، فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ[٣].

## ۞ أَعْظَمُ الْكَرَامَةِ.

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى رَوْحَهُ - يَقُولُ:

أَعْظَمُ الْكَرَامَةِ لُزُومُ الِاسْتِقَامَةِ[٤].

---

(١) شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ.

(٢) مدارج السالكين: ٣/ ٥.

(٣) مدارج السالكين: ١/ ٦٨.

(٤) مدارج السالكين: ٢/ ١٠٦.

## ۞ حُبُّ الصَّحَابَةِ وآلِ البيْتِ.

**قال ابن القيم:**

ورضِي الله عنْ شيْخِنا إذْ يقولُ:

فـإنْ كـانَ نَصْبًا ولاءُ الصِّحابِ ... فـإنِّي كَمَـا زَعَمُـوا نَاصِـبِي
وإنْ كـانَ رفضًـا ولاءُ آلِـهِ ... فَـلَا بَـرِحَ الـرَّفْضُ مِـنْ جَـانِبِي[1]

**وقال ابن القيم:**

وَرَضِيَ اللهُ عَنْ شَيْخِنَا أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، حَيْثُ يَقُولُ:

إنْ كَانَ نَصْبًا حُبُّ صَحْبِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْـهَدِ الـثَّقَلَانِ أَنِّـي نَاصِـبِي[2]

## ۞ الْخَضِرُ لَيْسَ حَيًّا.

**قال ابن القيم:**

وَسُئِلَ عَنْهُ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ:

لَوْ كَانَ الْخَضِرُ حَيًّا لَوَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَيُجَاهِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلَكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**» وكانوا ثلاث مئة وَثَلاثَةِ عَشَرَ رَجُلا مَعْرُوفِينَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، فَأَيْنَ كَانَ الْخَضِرُ حِينَئِذٍ؟![3]

---

(١) الصواعق المرسلة: ٣/ ٩٤١.
(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٨٧.
(٣) المنار المنيف: ص ٦٨.



**۞ الصَّدَقَةُ والإحْسانُ:**

**قال ابن القيم:**

وسمعتُ شيْخَ الإسْلامِ ابنَ تيميّة - قدَّس الله رُوحَه يقول -: أَوْحى اللهُ إلى إبراهيمَ ﷺ أتَدْرِي لم اتّخَذْتُك خَلِيلاً؟ قال: لَا. قال: لأنِّي رَأَيْتُ العَطَاءَ أحَبَّ إلَيْك مِن الأَخْذِ(١).



(١) الوابل الصيب: ص ٣٤.



# الصَّبْرُ والرِّضَا

**۞ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ.**

**قال ابن القيم:**

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ.

ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤][١].

**۞ الرضا:**

**قال ابن القيم:**

وَمِنْهُ: اشْتِبَاهُ الرِّضَا عَنِ اللهِ بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِعَبْدِهِ - مِمَّا يُحِبُّهُ وَيَكْرَهُهُ - بِالْعَزْمِ عَلَى ذَلِكَ، وَحَدِيثِ النَّفْسِ بِهِ.

وَذَلِكَ شَيْءٌ وَالْحَقِيقَةُ شَيْءٌ آخَرُ. كَمَا يُحْكَى عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أُعْطِيتُ طَرَفًا مِنَ الرِّضَا، لَوْ أَدْخَلَنِي النَّارَ لَكُنْتُ بِذَلِكَ رَاضِيًا.

**فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ:**

هَذَا عَزْمٌ مِنْهُ عَلَى الرِّضَا وَحَدِيثُ نَفْسٍ بِهِ، وَلَوْ أَدْخَلَهُ النَّارَ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَفَرْقٌ بَيْنَ الْعَزْمِ عَلَى الشَّيْءِ وَبَيْنَ حَقِيقَتِهِ[٢].

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ١٥٣.

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ١٢٤.



وقال ابن القيم:

قَالَ لِي شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَرَّةً:

الْعَوَارِضُ وَالْمِحَنُ هِيَ كَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْهُمَا لَمْ يَغْضَبْ لِوُرُودِهِمَا، وَلَمْ يَغْتَمَّ لِذَلِكَ وَلَمْ يَحْزَنْ(١).

**۞ صَبْرُ يُوسُفَ عَنْ مُطَاوَعَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ عَلَى شَأْنِهَا أَكْمَلُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى إِلْقَاءِ إِخْوَتِهِ لَهُ فِي الْجُبِّ.**

قال ابن القيم:

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ:

كَانَ صَبْرُ يُوسُفَ عَنْ مُطَاوَعَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ عَلَى شَأْنِهَا أَكْمَلُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى إِلْقَاءِ إِخْوَتِهِ لَهُ فِي الْجُبِّ، وَبَيْعِهِ وَتَفْرِيقِهِمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ.

فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ جَرَتْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، لَا كَسْبَ لَهُ فِيهَا، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا حِيلَةٌ غَيْرَ الصَّبْرِ.

وَأَمَّا صَبْرُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ: فَصَبْرُ اخْتِيَارٍ وَرِضًا وَمُحَارَبَةٍ لِلنَّفْسِ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْوَى مَعَهَا دَوَاعِي الْمُوَافَقَةِ.

فَإِنَّهُ كَانَ شَابًّا، وَدَاعِيَةُ الشَّبَابِ إِلَيْهَا قَوِيَّةٌ.

وَعَزَبًا لَيْسَ لَهُ مَا يُعَوِّضُهُ وَيَرُدُّ شَهْوَتَهُ.

وَغَرِيبًا، وَالْغَرِيبُ لَا يَسْتَحِي فِي بَلَدِ غُرْبَتِهِ مِمَّا يَسْتَحِي مِنْهُ مَنْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَمَعَارِفِهِ وَأَهْلِهِ.

---

(١) مدارج السالكين: ٣/ ٣٦١.

وَمَمْلُوكًا، وَالْمَمْلُوكُ أَيْضًا لَيْسَ وَازِعُهُ كَوَازِعِ الْحُرِّ.

وَالْمَرْأَةُ جَمِيلَةٌ، وَذَاتُ مَنْصِبٍ، وَهِيَ سَيِّدَتُهُ.

وَقَدْ غَابَ الرَّقِيبُ.

وَهِيَ الدَّاعِيَةُ لَهُ إِلَى نَفْسِهَا، وَالْحَرِيصَةُ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْحِرْصِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَوَعَّدَتْهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِالسِّجْنِ وَالصَّغَارِ.

وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا صَبَرَ اخْتِيَارًا، وَإِيثَارًا لِمَا عِنْدَ اللهِ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ صَبْرِهِ فِي الْجُبِّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ كَسْبِهِ؟

**وَكَانَ يَقُولُ:** الصَّبْرُ عَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ: أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَفْضَلُ؛ فَإِنَّ مَصْلَحَةَ فِعْلِ الطَّاعَةِ أَحَبُّ إِلَى الشَّارِعِ مِنْ مَصْلَحَةِ تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ، وَمُفْسِدَةُ عَدَمِ الطَّاعَةِ: أَبْغَضُ إِلَيْهِ وَأَكْرَهُ مِنْ مَفْسَدَةِ وُجُودِ الْمَعْصِيَةِ.

وَلَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفٌ قَرَّرَهُ فِيهِ بِنَحْوٍ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهَا[١].

### ۞ وُجُوبُ الصَّبْرِ واسْتِحْبَابُ الرِّضَا.

**قال ابن القيم:**

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَحْكِيهِمَا عَلَى قَوْلَيْنِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ.

وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى الْقَوْلِ بِاسْتِحْبَابِهِ.

قَالَ: وَلَمْ يَجِئِ الْأَمْرُ بِهِ، كَمَا جَاءَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ، وَإِنَّمَا جَاءَ الثَّنَاءُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَمَدْحِهِمْ.

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ١٥٦.

قَالَ: وَأَمَّا مَا يُرْوَى مِنَ الْأَثَرِ: مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَائِي.

فَهَذَا أَثَرٌ إِسْرَائِيلِيٌّ، لَيْسَ يَصِحُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ(١).

**۞ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ تَبَيَّنَ حَقِيقَةَ الرِّضَا.**

**قال ابن القيم:**

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ اللهَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ.

كَمَا فِي الْمُسْنَدِ(٢) وَالسُّنَنِ(٣) «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي. وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى. وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ. وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**».

فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ:

سَأَلَهُ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ تَبَيَّنَ حَقِيقَةَ الرِّضَا، وَأَمَّا الرِّضَا قَبْلَهُ: فَإِنَّمَا هُوَ عَزْمٌ عَلَى أَنَّهُ يَرْضَى إِذَا أَصَابَهُ، وَإِنَّمَا يَتَحَقَّقُ الرِّضَا بَعْدَهُ(٤).

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ١٧٠.

(٢) مسند أحمد: ٤/ ٢٦٤.

(٣) سنن النسائي: ٣/ ٥٤.

(٤) مدارج السالكين: ٢/ ٢١٤.

❁ مَتى كَانَ السَّببُ محظورًا لم يكنِ السَّكرانُ معذورًا.

**قال ابن القيم:**

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ:

مَتَـــى كَـــانَ السَّـــبَبُ مَحْظُـــورًا لَـــمْ يَكُـــنِ السَّـــكْرَانُ مَعْـــذُورًا(١).

❁ وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلُه لِأَعْدَائِه وَخُصومِه.

**قال ابن القيم:**

وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَجْمَعَ لِهَذِهِ الْخِصَالِ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْأَكَابِرِ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلُهُ لِأَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ(٢).

❁ فِراسَةُ شَيْخِ الإسْلامِ.

**قال ابن القيم:**

وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ فِرَاسَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أُمُورًا عَجِيبَةً. وَمَا لَمْ أُشَاهِدْهُ مِنْهَا أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ. وَوَقَائِعُ فِرَاسَتِهِ تَسْتَدْعِي سِفْرًا ضَخْمًا.

أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِدُخُولِ التَّتَارِ الشَّامَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَأَنَّ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ تُكْسَرُ، وَأَنَّ دِمَشْقَ لَا يَكُونُ بِهَا قَتْلٌ عَامٌّ وَلَا سَبْيٌ عَامٌّ، وَأَنَّ كَلَبَ الْجَيْشِ وَحِدَّتَهُ فِي الْأَمْوَالِ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَهُمَّ التَّتَارُ بِالْحَرَكَةِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ النَّاسَ وَالْأُمَرَاءَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ لَمَّا تَحَرَّكَ التَّتَارُ وَقَصَدُوا الشَّامَ: أَنَّ الدَّائِرَةَ وَالْهَزِيمَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الظَّفَرَ وَالنَّصْرَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرَ

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٣٥٥.

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٣٢٨.



مِنْ سَبْعِينَ يَمِينًا.

فَيُقَالُ لَهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَيَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللهُ تَحْقِيقًا لَا تَعْلِيقًا.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيَّ. قُلْتُ: لَا تُكْثِرُوا، كَتَبَ اللهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهُمْ مَهْزُومُونَ فِي هَذِهِ الْكَرَّةِ، وَأَنَّ النَّصْرَ لِجُيُوشِ الْإِسْلَامِ.

قَالَ: وَأَطْمَعْتُ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ وَالْعَسْكَرِ حَلَاوَةَ النَّصْرِ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ إِلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ.

وَكَانَتْ فِرَاسَتُهُ الْجُزْئِيَّةُ فِي خِلَالِ هَاتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ مِثْلَ الْمَطَرِ.

وَلَمَّا طُلِبَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأُرِيدَ قَتْلُهُ - بَعْدَمَا أُنْضِجَتْ لَهُ الْقُدُورُ، وَقُلِّبَتْ لَهُ الْأُمُورُ - اجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ لِوَدَاعِهِ.

وَقَالُوا: قَدْ تَوَاتَرَتِ الْكُتُبُ بِأَنَّ الْقَوْمَ عَامِلُونَ عَلَى قَتْلِكَ. فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَصِلُونَ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا.

قَالُوا: أَفَتُحْبَسُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَيَطُولُ حَبْسِي. ثُمَّ أَخْرُجُ وَأَتَكَلَّمُ بِالسُّنَّةِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ. سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ.

وَلَمَّا تَوَلَّى عَدُوُّهُ الْمُلَقَّبُ بِالْجَاشِنْكِيرِ الْمُلْكَ أَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ. وَقَالُوا: الْآنَ بَلَغَ مُرَادَهُ مِنْكَ. فَسَجَدَ لِلَّهِ شُكْرًا وَأَطَالَ.

فَقِيلَ لَهُ: مَا سَبَبُ هَذِهِ السَّجْدَةِ؟ فَقَالَ: هَذَا بِدَايَةُ ذُلِّهِ وَمُفَارَقَةُ عِزِّهِ مِنَ الْآنِ، وَقُرْبُ زَوَالِ أَمْرِهِ.

فَقِيلَ: مَتَى هَذَا؟ فَقَالَ: لَا تُرْبَطُ خُيُولُ الْجُنْدِ عَلَى الْقُرْطِ حَتَّى تُغْلَبَ دَوْلَتُهُ. فَوَقَعَ الْأَمْرُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَ بِهِ. سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ.

وَقَالَ مَرَّةً: يَدْخُلُ عَلَيَّ أَصْحَابِي وَغَيْرُهُمْ. فَأَرَى فِي وُجُوهِهِمْ وَأَعْيُنِهِمْ أُمُورًا لَا أَذْكُرُهَا لَهُمْ.

فَقُلْتُ لَهُ - أَوْ غَيْرِي - لَوْ أَخْبَرْتَهُمْ؟ فَقَالَ: أَتُرِيدُونَ أَنْ أَكُونَ مُعَرِّفًا كَمُعَرِّفِ الْوُلَاةِ؟

وَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: لَوْ عَامَلْتَنَا بِذَلِكَ لَكَانَ أَدْعَى إِلَى الِاسْتِقَامَةِ وَالصَّلَاحِ، فَقَالَ: لَا تَصْبِرُونَ مَعِي عَلَى ذَلِكَ جُمُعَةً، أَوْ قَالَ: شَهْرًا.

وَأَخْبَرَنِي غَيْرَ مَرَّةٍ بِأُمُورٍ بَاطِنَةٍ تَخْتَصُّ بِي مِمَّا عَزَمْتُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِهِ لِسَانِي.

وَأَخْبَرَنِي بِبَعْضِ حَوَادِثَ كِبَارٍ تَجْرِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَلَمْ يُعَيِّنْ أَوْقَاتَهَا، وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَهَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ بَقِيَّتَهَا.

وَمَا شَاهَدَهُ كِبَارُ أَصْحَابِهِ مِنْ ذَلِكَ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا شَاهَدْتُهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ[١].

۞ **رِضَا الرَّبِّ فِي الْعَجَلَةِ إِلَى أَوَامِرِهِ.**

**قال ابن القيم:**

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ يَذْكُرُ ذَلِكَ. قَالَ: إِنَّ رِضَا الرَّبِّ فِي الْعَجَلَةِ إِلَى أَوَامِرِهِ[٢].

**وقال ابن القيم:**

شَيْخُ الْإِسْلَامِ[٣] حَبِيبُنَا، وَلَكِنِ الْحَقُّ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ، وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٢) مدارج السالكين: ٣/ ٦٠.

(٣) هو عبد الله بن مَتّ الهروي، صاحب كتاب "منازل السالكين" الذي شرحه ابن القيم في =



تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ: عَمَلُهُ خَيْرٌ مِنْ عِلْمِهِ(١).

**❁ الْخَلِيلَانِ هُمْ أَكْمَلُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ تَوْحِيدًا.**

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيْخُنَا: وَالْخَلِيلَانِ هُمْ أَكْمَلُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ تَوْحِيدًا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَكْمَلُ تَوْحِيدًا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَضْلًا عَنِ الرُّسُلِ، فَضْلًا عَنْ أُولِي الْعَزْمِ، فَضْلًا عَنِ الْخَلِيلَيْنِ، وَكَمَالُ هَذَا التَّوْحِيدِ هُوَ أَنْ لَا يَبْقَى فِي الْقَلْبِ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ أَصْلًا، بَلْ يَبْقَى الْعَبْدُ مُوَالِيًا لِرَبِّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ وَمَا أَحَبَّ، وَيُبْغِضُ مَنْ أَبْغَضَ وَمَا أَبْغَضَ، وَيُوَالِي مَنْ يُوَالِي، وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِي، وَيَأْمُرُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ(٢).

**قال ابن القيم:**

وَقَدْ تَكَلَّمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ فِي التَّوْحِيدِ فَقَالَ - بَعْدَ أَنْ حَكَى كَلَامَهُ إِلَى آخِرِهِ -:

أَمَّا التَّوْحِيدُ الْأَوَّلُ، الَّذِي ذَكَرَهُ: فَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ كُلُّهَا، وَبِهِ أَمَرَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَذَكَرَ الْآيَاتِ الْوَارِدَةَ بِذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ كُلِّ رَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] وَهَذِهِ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ وَآخِرُهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ

=

"مدارج السالكين".

(١) مدارج السالكين: ٣/ ٣٦٦.

(٢) مدارج السالكين: ٣/ ٤٤٩.

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ» وَقَالَ «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ هَذَا التَّوْحِيدِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيقِ النَّجَاةِ وَالسَّعَادَةِ فِي الْآخِرَةِ بِهِ، وَحَقِيقَتُهُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ كُلِّهِ، وَالْفَنَاءُ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ مَقْرُونٌ بِالْبَقَاءِ، وَهُوَ أَنْ تُثْبِتَ إِلَهِيَّةَ الْحَقِّ تَعَالَى فِي قَلْبِكَ، وَتَنْفِي إِلَهِيَّةَ مَا سِوَاهُ، فَتَجْمَعُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، فَالنَّفْيُ هُوَ الْفَنَاءُ، وَالْإِثْبَاتُ هُوَ الْبَقَاءُ، وَحَقِيقَتُهُ: أَنْ تَفْنَى بِعِبَادَةِ اللهِ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَبِمَحَبَّتِهِ عَنْ مَحَبَّةِ مَا سِوَاهُ، وَبِخَشْيَتِهِ عَنْ خَشْيَةِ مَا سِوَاهُ، وَبِطَاعَتِهِ عَنْ طَاعَةِ مَا سِوَاهُ، وَكَذَلِكَ بِمُوَالَاتِهِ وَسُؤَالِهِ، وَالِاسْتِغْنَاءِ بِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَرَجَائِهِ وَدُعَائِهِ، وَالتَّفْوِيضِ إِلَيْهِ، وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ، وَاللُّجْءِ إِلَيْهِ، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزُّمر: ٦٤-٦٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣] الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء:٣٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨] .

وَقَالَ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر:٢-٣].

وَقَالَ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ: ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف:١٤] .

وَقَالَ عَنْ صَاحِبِ يس: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس:٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ [الشورى:٩] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزُّمَر:٤٣-٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٣-٧٤].

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [النساء:٣٦].

وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، بَلْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، وَهُوَ أَوَّلُ الدِّينِ وَآخِرُهُ وَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ، وَقُطْبُ رَحَاهُ، وَأَمَرَنَا تَعَالَى أَنَّ نَتَأَسَّى بِإِمَامِ هَذَا التَّوْحِيدِ فِي نَفْيِهِ وَإِثْبَاتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزُّخرُف:٢٦-٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٦٩-٨٢] وَإِذَا تَدَبَّرْتَ الْقُرْآنَ - مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ - رَأَيْتَهُ يَدُورُ عَلَى هَذَا التَّوْحِيدِ، وَتَقْرِيرِهِ وَحُقُوقِهِ.

**قَالَ شَيْخُنَا:**

وَالْخَلِيلَانِ هُمْ أَكْمَلُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ تَوْحِيدًا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ

هُوَ أَكْمَلُ تَوْحِيدًا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَضْلًا عَنِ الرُّسُلِ، فَضْلًا عَنْ أُولِي الْعَزْمِ، فَضْلًا عَنِ الْخَلِيلَيْنِ، وَكَمَالُ هَذَا التَّوْحِيدِ هُوَ أَنْ لَا يَبْقَى فِي الْقَلْبِ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ أَصْلًا، بَلْ يَبْقَى الْعَبْدُ مُوَالِيًا لِرَبِّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ وَمَا أَحَبَّ، وَيُبْغِضُ مَنْ أَبْغَضَ وَمَا أَبْغَضَ، وَيُوَالِي مَنْ يُوَالِي، وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِي، وَيَأْمُرُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ(١).

**۞ من فَارق الدَّلِيل ضل السَّبِيل.**

**قال ابن القيم:**

وَكَانَ شيخ الإسلام ابْن تَيْمِية يَقُول:

من فَارق الدَّلِيل ضل السَّبِيل، وَلَا دَلِيل إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول(٢).

**۞ الصَّلَاة وَالْعلم وَالْجِهَاد.**

**قال ابن القيم:**

قَالَ شَيخنَا: وَهَذِه الأمور الثَّلَاثَة الَّتِي فضَّل كلُّ وَاحِد من الأئمة بَعْضهَا وَهِي الصَّلَاة وَالْعلم وَالْجِهَاد هِيَ الَّتِي قَالَ فِيهَا عمر بن الْخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

لَوْلَا ثَلَاث فِي الدُّنْيَا لَمَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاء فِيهَا لَوْلَا أن أَحْمِلَ اَوْ أجهّز جَيْشًا فِي سَبِيل الله، وَلَوْلَا مكابدة هَذَا اللَّيْل، وَلَوْلَا مُجَالسةُ أقوام ينْتَقُون أطايِبَ الْكَلَام كَمَا يُنتَقَى أطايبُ التَّمْر لَمَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاء.

**فالأول**: الْجِهَاد، **وَالثَّانِي**: قيام اللَّيْل، **وَالثَّالِث**: مَذَاكَرَةُ الْعِلْمِ فاجْتَمَعَتْ فِي الصَّحَابَة بكمالهم وَتفَرَّقَتْ فِيمَن بعدهمْ(٣).

---

(١) مدارج السالكين: ٣/ ٤٤٧ – ٤٥٠.
(٢) مفتاح دار السعادة: ١/ ٨٣.
(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ١٢٠.

**۞ لا تَجْعَلْ قَلْبَكَ للإِيرَادَات والشُّبُهاتِ مِثْل السَّفِنجَة فيَتَشَرَّبها.**

**قال ابن القيم:**

وَقَالَ لي شيخ الإسلام رَضِيَٱللَّهُعَنهُ وَقد جعلت أُورد عَلَيْهِ غير إيرادٍ بعد إِيرَاد:

لا تَجْعَلْ قَلْبَكَ للإِيرَادَات والشُّبُهاتِ مِثْل السَّفِنجَة فيَتَشَرَّبها فَلَا يَنضَحُ إلا بهَا وَلَكِن اجْعَلْهُ كالزُّجَاجَة الْمُصْمَتَة تَمُرُّ الشُّبُهَات بظَاهِرهَا وَلَا تَسْتَقِرُّ فِيهَا فيَرَاها بِصَفَائِهِ ويَدْفعُها بصلابَتِه وَإِلَّا فإِذَا أَشْرَبْتَ قَلْبك كلَّ شُبْهَة تَمُرّ عَلَيْهَا صَار مَقرًّا للشُّبُهَات أَوْ كَمَا قَالَ.

فَمَا أعْلَم أني انتفَعتْ بِوَصِيَّة فِي دَفْعِ الشُّبُهَات كانتِفَاعِي بِذَلِكَ[1].

**۞ التّداوِي بالذِّكر وَالْكَلَام فِي الْعلم.**

**قال ابن القيم:**

وَسمعت شَيخنَا ابا الْعَبَّاس بن تَيْمِية رَحِمَهُٱللَّهُ يَقُول - وَقد عرض لَهُ بعض الألم فَقَالَ لَهُ الطَّبِيب: أضرُّ مَا عَلَيْك الْكَلَام فِي الْعلم والفكر فِيهِ والتوجه وَالذكر - فَقَالَ:

أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ النَّفْسَ إِذَا قوِيتْ وفرِحَتْ أوجَبَ فرحُها لَهَا قُوَّة تعين بهَا الطبيعة على دفع الْعَارِض فَإِنَّهُ عدوُّها فَإِذا قويتْ عَلَيْهِ قهرتْه فَقَالَ لَهُ الطَّبِيب: بلَى، فَقَالَ: إِذا اشتغلتْ نَفسِي بالتوجُّه وَالذِّكر وَالْكَلَام فِي الْعلم وظفرتْ بِمَا يشكل عَلَيْهَا مِنْهُ فرحتْ بِهِ وقويتْ فَأوجب ذَلِك دفع الْعَارِض هَذَا. أَوْ نَحوه من الْكَلَام[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ١٤٠.

(٢) مفتاح دار السعادة: ١/ ٢٥٠.



**وقال ابن القيم:**

وحدَّثني شيْخُنَا قالَ: ابْتَدَأَنِي مَرَضٌ فقَالَ لي الطَّبِيبُ: إنَّ مُطَالَعَتَك وكَلَامَكَ في العِلْمِ يَزِيدُ الْمَرَضَ فقلْتُ لَهُ:

لا أَصْبِرُ على ذَلِكَ وأَنَا أُحَاكِمُك إلى عِلْمِك أَلَيْسَتْ النَّفسُ إذَا فَرِحَتْ وسُرَّتْ قَوِيَتْ الطَّبيعَةُ فدَفَعَت الْمَرَضَ فقَالَ: بَلَى فقُلْتُ لهُ:

فإنَّ نَفْسِي تُسَرُّ بالعِلْمِ فَتَقْوَى به الطَّبيعَةُ فأَجِدُ رَاحَةً فقالَ: هذَا خَارِجٌ عن عِلَاجِنَا، أَوْ كَمَا قَالَ(١).

## ۞ دَلِيلٌ على نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّد ﷺ من كُتُبِ أهْلِ الكِتَابِ.

**قال ابن القيم:**

قَالَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَام - وَهَذَا لَفْظُ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ - لَيْس بِهَذَا خَفَاءٌ عَلَى مَنْ تَدَبَّرَهُ وَلَا غُمُوضٌ، لِأَنَّ الْمَجِيءَ أَيْ مَجِيءُ اللهِ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ: إِنْزَالُهُ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ كَالَّذِي هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعِنْدَنَا، وَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرَ: إِنْزَالَهُ الْإِنْجِيلَ عَلَى الْمَسِيحِ، وَكَانَ الْمَسِيحُ مِنْ سَاعِيرَ، أَرْضِ الْخَلِيلِ، بِقَرْيَةٍ تُدْعَى نَاصِرَةَ، وَبِاسْمِهَا تَسَمَّى مَنِ اتَّبَعَهُ نَصَارَى، وَكَمَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرَ بِالْمَسِيحِ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعْلَانُهُ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ: إِنْزَالَهُ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَجِبَالُ فَارَانَ هِيَ جِبَالُ مَكَّةَ، قَالَ: وَلَيْس بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ خِلَافٌ فِي أَنَّ فَارَانَ هِيَ مَكَّةُ، فَإِنِ ادَّعَوْا أَنَّهَا غَيْرُ مَكَّةَ - وَلَيْسَ يُنْكَرُ ذَلِكَ مِنْ تَحْرِيفِهِمْ وَإِفْكِهِمْ - قُلْنَا: أَلَيْسَ فِي التَّوْرَاةِ «**أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَسْكَنَ هَاجَرَ وَإِسْمَاعِيلَ فَارَانَ**»؟! وَقُلْنَا لَهُمْ: دُلُّونَا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَعْلَنَ اللهُ مِنْهُ وَاسْمُهُ فَارَانُ، وَالنَّبِيِّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابًا بَعْدَ الْمَسِيحِ.

---

(١) روضة المشتاقين: ص ٧٠.

أَوَلَيسَ اسْتَعْلَنَ وَعَلَنَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُمَا ظَهَرَ وَانْكَشَفَ، فَهَلْ تَعْلَمُونَ دِينًا ظَهَرَ ظُهُورَ الْإِسْلَامِ وَفَشَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فَبَيِّنُوهُ لَنَا؟

**قَالَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ:**

وَسَاعِيرُ جِبَالٌ بِالشَّامِ، مِنْهُ ظُهُورُ نُبُوَّةِ الْمَسِيحِ إِلَى جَانِبِ قَرْيَةِ بَيْتِ لَحْمٍ - الْقَرْيَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا الْمَسِيحُ - تُسَمَّى الْيَوْمَ سَاعِيرَ.

وَفِي التَّوْرَاةِ أَنَّ نَسْلَ الْعِيصِ كَانُوا سُكَّانًا بِسَاعِيرَ، وَأَمَرَ اللهُ مُوسَى أَنْ لَا يُؤْذِيَهُمْ.

**قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: يَعْنِي ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ قَدْ ذَكَرَ الْجِبَالَ الثَّلَاثَةَ، وَحِرَاءُ الَّذِي لَيْسَ حَوْلَ مَكَّةَ أَعْلَى مِنْهُ، وَفِيهِ ابْتِدَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِنُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَحَوْلَهُ جِبَالٌ كَثِيرَةٌ، وَذَلِكَ الْمَكَانُ يُسَمَّى فَارَانَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، وَالْبَرِّيَّةُ الَّتِي بَيْنَ مَكَّةَ وَطُورِ سَيْنَاءَ تُسَمَّى بَرِّيَّةَ فَارَانَ، وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ بَعْدَ الْمَسِيحِ نَزَلَ كِتَابٌ فِي شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ وَلَا بُعِثَ نَبِيٌّ، فَعُلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِاسْتِعْلَانِهِ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ إِلَّا إِرْسَالُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ هَذَا فِي التَّوْرَاةِ عَلَى التَّرْتِيبِ الزَّمَانِيِّ، فَذَكَرَ إِنْزَالَ التَّوْرَاةِ ثُمَّ الْإِنْجِيلِ ثُمَّ الْقُرْآنِ، وَهَذِهِ الْكُتُبُ نُورُ اللهِ تَعَالَى وَهِدَايَتُهُ، وَقَالَ فِي الْأَوَّلِ: جَاءَ، وَفِي الثَّانِي: أَشْرَقَ، وَفِي الثَّالِثِ: اسْتَعْلَنَ، وَكَانَ مَجِيءُ التَّوْرَاةِ مِثْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَنُزُولُ الْإِنْجِيلِ مِثْلَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ، وَنُزُولُ الْقُرْآنِ بِمَنْزِلَةِ ظُهُورِ الشَّمْسِ فِي السَّمَاءِ، وَلِهَذَا قَالَ: وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ظَهَرَ بِهِ نُورُ اللهِ وَهُدَاهُ[1].

---

(١)(١) هداية الحيارى: ٢/ ٢٤٦.



## ❁ تواضُعُه وحسْنُ خُلُقِه.

**قال ابن القيم:**

وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْرًا لَمْ أُشَاهِدْهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَ يَقُولُ كَثِيرًا:

مَا لِي شَيْءٌ، وَلَا مِنِّي شَيْءٌ، وَلَا فِيَّ شَيْءٌ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

أَنَا الْمُكَدِّي وَابْنُ الْمُكَدِّي ... وَهَكَذَا كَانَ أَبِي وَجَدِّي

وَكَانَ إِذَا أُثْنِي عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ يَقُولُ: وَاللهِ إِنِّي إِلَى الْآنِ أُجَدِّدُ إِسْلَامِي كُلَّ وَقْتٍ، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إِسْلَامًا جَيِّدًا. وَبَعَثَ إِلَيَّ فِي آخِرِ عُمُرِهِ قَاعِدَةً فِي التَّفْسِيرِ بِخَطِّهِ، وَعَلَى ظَهْرِهَا أَبْيَاتٌ بِخَطِّهِ مِنْ نَظْمِهِ:

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ ... أَنَا الْمُسَيْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي ... وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي
لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضَرَّاتِ
وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي ... وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي
إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا ... إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ
وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا ... وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِ
وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ ... كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ
وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَدًا ... كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ ... وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي
فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ ... فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ ... مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِي(١)

---

(١) مدارج السالكين: ١/ ٥٢٠ والعقود الدرية: ص ٤٥٠ - ٤٥١ والبيت لأخير من العقود الدرية.

# بَعْضُ الكَلِمَاتِ
# لابْنِ تيمِيَّةَ مِنْ كُتُبٍ أُخْرَى



# كتابُ "العقُودِ الدُّرِّيَّة"
# لِتلْمِيذِهِ ابنِ عبْدِ الهَادِي

❁ **يَا مُعَلِّمَ آدَمَ وَإِبْرَاهِيم عَلِّمْنِي.**

**قال ابن عبد الهادي:**

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُول: رُبمَا طَالَعْتُ عَلَى الْآيَة الْوَاحِدَة نَحْوَ مِائَة تَفْسِيرٍ ثمَّ أَسْأَل الله الْفَهْمَ وَأَقُولُ: يَا مُعَلِّمَ آدَمَ وَإِبْرَاهِيم عَلِّمْنِي.

وَكنت أذهب إِلَى الْمَسَاجِد المهْجُورَةِ وَنَحْوِهَا وأُمَرِّغُ وَجْهي فِي التُّرَاب وأَسْأَلُ الله تَعَالَى وَأَقُول: يَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيم فَهِّمْنِي.

وَيذكر قصَّة معَاذِ بنِ جَبَلٍ وَقَوله لِمَالِك بن يُخَامر لَمَّا بَكَى عِنْد مَوته وَقَالَ: إِنِّي لَا أَبْكِي على دُنْيَا كُنْتُ أُصِيبُهَا مِنْك وَلَكِنْ أَبْكِي على الْعِلْمِ وَالْإِيمَان الَّذين كنتُ أَتَعَلَّمُهما مِنْك.

فَقَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَان مَكَانَهما من ابْتَغَاهُمَا وجَدَهُمَا فاطْلُب الْعِلْمَ عِنْد أَرْبَعَة، فَإِنْ أَعْيَاكَ الْعِلْمُ عِنْد هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ هُوَ فِي الأَرْض فاطْلُبْهُ مِنْ مُعَلِّمِ إِبْرَاهِيمَ(١).

❁ **سعَةُ عُلومِه بِالتَّفْسِير.**

**قال ابن عبد الهادي:**

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُول: رُبَّمَا طالعت على الْآيَة الْوَاحِدَة نَحْو مائَة تَفْسِير ثمَّ أسأَل

(١) العقود الدرية: ص ٣٨ – ٣٩.

الله الْفَهم وَأَقُول: يَا معلم آدم وَإِبْرَاهِيم عَلمنِي.

وَكنت أذهب إِلَى الْمَسَاجِد المهجورة وَنَحْوهَا وأمرغ وَجْهي فِي التُّرَاب وأسأل الله تَعَالَى وَأَقُول: يَا معلم إِبْرَاهِيم فهمني.

وَيذكر قصَّة معَاذ بن جبل وَقَوله لِمَالِك بن يخَامر لَمَّا بَكَى عِنْد مَوْته وَقَالَ:

إِنِّي لَا أبْكِي على دنيا كنت أصيبها مِنْك وَلَكِن أبْكِي على الْعلم وَالْإِيمَان الَّذين كنت أتعلمهما مِنْك.

فَقَالَ: إِن الْعلم وَالْإِيمَان مكانهما من ابتغاهما وجدهما فاطلب الْعلم عِنْد أَرْبَعَة فَإِن أعياك الْعلم عِنْد هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ هُوَ فِي الأَرْض فاطْلُبْهُ مِنْ مُعَلِّمِ إِبْرَاهِيمَ[1].

۞ **كلامُهُ عن تَفْسِيرِ القُرْآن.**

**قال ابن عبد الهادي:**

قَالَ الشَّيْخ أَبُو عبد الله بن رُشيِّق - وَكَانَ من أخص أَصْحَاب شَيخنَا وَأَكْثَرهم كِتَابَة لكَلَامه وحِرْصًا على جَمْعِهِ كُتُبِ الشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نُقُول السّلف مُجَرّدَة عَن الِاسْتِدْلَال على جَمِيع الْقُرْآن وَكتب فِي أَوله قِطْعَة كَبِيرَة بالاستدلال وَرَأَيْت لَهُ سورًا وآيات يُفَسِّرهَا وَيَقُول فِي بَعْضهَا كَتَبْتُه للتذكُّر وَنَحْو ذَلِك.

ثمَّ لما حُبِسَ فِي آخر عُمْرِه كَتَبْتُ لَهُ أَن يكْتب على جَمِيع الْقُرْآن تَفْسِيرًا مُرَتّبًا على السُّور فَكتبَ يَقُول:

---

(١) العقود الدرية: ص ٣٨ - ٣٩.

إِن الْقُرْآن فِيهِ مَا هُوَ بَيِّنٌ بِنَفسِهِ، وَفِيه مَا قد بَيّنه الْمُفَسِّرُونَ فِي غير كتاب وَلَكِن بعض الْآيَات أشكلَ تَفْسِيرُهَا على جمَاعَة من الْعلمَاء فَرُبّمَا يطالعُ الْإِنْسَان عَلَيْهَا عدَّة كُتُبٍ وَلَا يتَبَيَّن لَهُ تَفْسِيرهَا وَرُبمَا كتب الْمُصَنّف الْوَاحِد فِي آيَة تَفْسِيرًا ويفسِّر غَيرهَا بنظيرِه فقصدتُ تَفْسِير تِلْكَ الْآيَات بِالدَّلِيلِ لِأَنَّهُ أهم من غَيره وَإِذا تبيّن معنى آيَة تبيّن مَعَاني نظائرها.

وَقَالَ: قد فتح الله عَليّ فِي هَذِه الْمرة من مَعَانِي الْقُرْآن وَمن أصُول الْعلم بأَشْيَاء كَانَ كثيرٌ من الْعلمَاء يَتَمَنّوْنها ونَدِمْتُ على تَضْييع أَكثر أوقاتي فِي غير مَعَاني الْقُرْآن أَو نَحْو هَذَا(١).

## ۞ حُسْنُ توكُّلِه وصِدْقُ رجائِه في الله تعالى.

**قال ابن عبد الهادي:**

وَلم يزل بِمصْر يعلّم النَّاسَ ويُفْتِيهم وَيذكّر بِالله وَيَدْعُو إِلَيْهِ وَيتكَلَّم فِي الْجَوَامِع على الْمَنابِر بتفسير الْقُرْآن وَغَيره من بعد صَلَاة الْجُمُعَة إِلَى الْعَصْر إِلَى أَن ضَاقَ مِنْهُ وانحصر وَاجْتمعَ خلق كثير من أهل الخَوانِق والرُّبُط والزوايا وَاتَّفَقُوا على أَن يشكو الشَّيْخ إِلَى السُّلْطَان.

فطلع مِنْهُم خلق إِلَى القلعة وَكَانَ مِنْهُم خلق تَحت القلعة فَكَانَت لَهُم ضجة شَدِيدَة حَتَّى قَالَ السُّلْطَان: مَا لهَؤُلَاء؟

فَقيل لَهُ: هَؤُلَاءِ كلهم قد جَاءُوا من أَجْلِ الشَّيْخ تَقِيّ الدّين بن تَيْمِية يَشكونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ: إِنَّه يسب مشايخهم وَيَضَع من قدرهم عِنْد النَّاس واستغاثوا مِنْهُ وأجلبوا عَلَيْهِ ودخلوا على الْأُمَرَاء فِي أمره وَلم يبقوا مُمكنًا.

(١) العقود الدرية: ص ٤٠ – ٤١.

وَكَانَ بعض النَّاس يأْتونَ إِلَى الشَّيْخ فَيَقُولُونَ لَهُ: إِن النَّاس قد جمعُوا لَك جمعًا كثيرًا فَيَقُول: حَسبنَا الله وَنعم الْوَكِيل.

وَأمر من يعْقد لَهُ مَجْلِسًا بدارِ الْعدْل، فعُقِدَ مَجْلِس يَوْم الثُّلَاثَاء فِي الْعشْر الأول من شَوَّال من سنة سبع وَسَبْعمائة وَظهر فِي ذَلِك الْمجْلس من علم الشَّيْخ وشجاعته وَقُوَّة قلبه وَصدق توكله وَبَيَان حجَّته مَا يتَجَاوَز الْوَصْف وَكَانَ وقتا مشهودا ومجلسا عَظِيما

وَقَالَ لَهُ كَبِير من الْمُخَالفين: من أَيْن لَك هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخ: من أَيْن لَا تعلمه.

وَذكر بعض من حضر ذَلِك الْمجْلس أَن النَّاس لما تفرقُوا مِنْهُ قَامَ الشَّيْخ وَمَعَهُ جمَاعَة من أَصْحَابه

قَالَ: فجَاء وَجئْت مَعَه إِلَى مَوضِع ذكره فِي دَار الْعدْل.

قَالَ: فَلَمَّا جلسنا اسْتلْقى الشَّيْخ على ظَهره وَكَانَ هُنَاكَ حجر لأجل تثقيل الْحَصِير فَأَخذه وَوَضعه تَحت رَأسه فاضطجع قَلِيلا ثمَّ جلس وَقَالَ لَهُ إِنْسَان: يَا سَيِّدي قد أَكثر النَّاس عَلَيْك.

فَقَالَ: إِنْ هُمْ إِلَّا كالذُّبَابِ وَرَفَعَ كَفَّهُ إِلَى فِيهِ وَنَفَخَ فِيهِ.

قَالَ: وَقَامَ وقمنا مَعَه حَتَّى خرجنَا فَأتي بحصان فَرَكبهُ ويختل بذؤابته فَلَمْ أَرَ أحَدًا أَقْوَى قلبًا وَلَا أَشدَّ بَأْسا مِنْهُ (١).

---

(١) العقود الدرية: ٢٨٣ – ٢٨٤.



❁ دفَاعُهُ عن العُلَمَاء مع كونِهم من خُصُومِه.

قال ابن عبد الهادي:

وَسمعت الشَّيْخ تَقِيّ الدّين ابْن تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر أَنَّ السُّلْطَان لَمَّا جلَسَا بالشُّبَّاك أخْرَجَ من جَيْبِه فَتَاوَى لبَعْضِ الْحَاضِرينَ فِي قَتْلِهِ واستَفْتَاه فِي قَتْلِ بَعضِهِم.

قَالَ: ففهمت مَقْصُوده وَأَن عِنْده حَنَقًا شَدِيدًا عَلَيْهِم لَمّا خلعُوه وَبَايَعُوا الْملك المظفر ركن الدّين بيبرس الجاشنكير فشرعت فِي مَدْحِهِم وَالثّنَاء عَلَيْهِم وشُكْرِهِمْ وَأَن هَؤُلَاءِ لَو ذَهَبُوا لم تَجِد مثلهم فِي دَوْلَتِك، أَمّا أَنا فهم فِي حِلٍّ من حَقّي وَمن جِهَتي وسكَّنْتُ مَا عِنْده عَلَيْهِم.

ثمَّ إِن الشَّيْخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إِلَى الْقَاهِرَة وَسكن بِالْقربِ من مشْهد الْحُسَيْن وَعَاد إِلَى بَثّ الْعلم ونَشْرِه، والْخَلْقُ يشتغلون عَلَيْهِ ويقْرَأُونَ ويَسْتَفْتُونه ويُجِيبُهم بالْكلَام وَالْكِتَابَة والأمراء والأكابر وَالنَّاس يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ وَفِيهِمْ من يعْتَذر إِلَيْهِ ويتنصل مِمَّا وَقع فَقَالَ: قَدْ جَعَلْتُ الْكُلَّ فِي حِلٍّ مِمَّا جَرَى(١).

❁ لَا يَسَعُهُ كِتْمَانُ الْعِلْمِ.

قال ابن عبد الهادي:

وَكَانَ الْقَاضِي شمس الدّين بن مُسلم الْحَنْبَلِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي يَوْم الْخَمِيس منتصف شهر ربيع الآخر من سنة ثَمَان عشرَة وَسَبْعمائة قد اجْتمع بالشيخ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بترك الْإِفْتَاء فِي مَسْأَلَة الْحَلِف بِالطَّلَاق فَقبِلَ الشَّيْخ إِشَارَتَهُ وَعرفَ نصيحتَه وَأَجَابَ إِلَى ذَلِك

(١) العقود الدرية: ٢٩٨ – ٢٩٩.

وَكَانَ قد اجْتمع إِلَى القَاضِي جمَاعَة من الْكِبَار حَتَّى فعل ذَلِك.

فَلَمَّا كَانَ يَوْم السبت مستهل جمادي الأولى من هَذِه السّنة ورد الْبَرِيد إِلَى دمشق وَمَعَهُ كتاب السُّلْطَان بِالْمَنْعِ من الْفَتْوَى فِي مَسْأَلَة الْحلف بِالطَّلَاق الَّتِي رَآهَا الشَّيْخ تَقِيّ الدّين بن تَيْمِية وَأفْتى فِيهَا وصنف فِيهَا وَالْأَمر بعقد مجْلِس فِي ذَلِك.

فعُقد يَوْم الإِثْنَيْنِ ثَالِث الشَّهْر الْمَذْكُور بدار السَّعَادَة وانفصل الْأَمر على مَا أَمر بِهِ السُّلْطَان وَنُودِيَ بذلك فِي الْبَلَد يَوْم الثُّلَاثَاء رَابع الشَّهْر الْمَذْكُور ثمَّ إِن الشَّيْخ عَاد إِلَى الْإِفْتَاء بذلك وَقَالَ: لَا يَسَعُنِي كِتْمَانُ الْعِلْمِ(١).

**وقال ابن عبد الهادي:**

قال شيخ الإسلام:

إنَّ للهِ علَيْنـــــــا أنعُمًـــــــا يَعْجِـزُ الْحَصْـرِ عَـنِ العـدِّ لَهَـا
فَلَـــهُ الْحَمـــدُ عَلَـــى أَنْعُمِـــهِ ولـه الحمـدُ علـى الشُّـكْر لَهَـا(٢)



(١) العقود الدرية: ٣٤١.

(٢) العقود الدرية: ص ٤٥١.



# كتاب "الأعْلام العَلِيّة"
# لتِلمِيذه أبي حَفْص البزّار

❁ سبَبُ كَثْرة تَصْنِيفِه في الأصُولِ دُون غيرها.

وقال أبو حفص البزَّار:

وَلَقَد اكثر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ التصنيف فِي الأصول فَضْلًا عَن غَيرِهِ مِن بَقِيَّة الْعُلُوم فَسَأَلته عَن سَبَب ذَلِك والْتَمَسْتُ مِنْهُ تأليف نَصٍّ فِي الْفِقْه يجمع اختيَاراتِه وترجِيحَاتِه ليَكُون عُمْدَة فِي الإفتاء فَقَالَ لي مَا مَعْنَاهُ:

الْفُرُوع أمرُها قريبٌ، وَمن قلَّد الْمُسلم فِيهَا أَحَدَ الْعلمَاء المقلَّدين جَازَ لَهُ الْعَمَل بقَوْلِهِ مَا لَمْ يتيَقَّن خَطَأَهُ.

وأمَّا الأُصولُ فَإِنِّي رأيتُ أَهْلَ الْبِدَعِ والضّلالاتِ والأهْوَاء كالْمُتَفَلْسِفَة والبَاطِنِيَّة والْمَلَاحِدَة والقَائِلِين بوَحْدَةِ الْوُجُودِ والدَّهْرِيَّة والقَدَرِيَّة والنُّصَيْرِيَّة والْجَهْمِيّة والْحُلُوليّة والمعطِّلة والْمُجَسّمة والْمُشَبِّهة والرّاوَنْدِيّة والكلابيّة والسّليميَّة وَغَيرهم مِن أَهْلِ الْبِدَعِ قدْ تجاذَبُوا فِيهَا بأَزِمَّة الضّلالِ، وَبَانَ لي أنَّ كثيرًا مِنْهُم إنّما قَصَدَ إبْطَالَ الشَّرِيعَة المقدَّسَة المحمَّدِيّة الظَّاهِرَة الْعليَّة على كلّ دينٍ، وأنّ جُمْهُورهم أوْقَعَ النَّاس فِي التّشْكِيك فِي أُصُول دينهم، وَلِهَذَا قَلَّ أنْ سَمِعتَ أَوْ رَأَيْتَ مُعْرِضًا عَن الْكتاب وَالسّنة مُقبلًا على مقَالاتِهم إلَّا وَقدْ تَزَندَقَ أَوْ صَار على غَيْرِ يَقِين فِي دِينِه واعْتِقَادِهِ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ على ذَلِك بَان لي أنه يَجبُ على كلِّ من يقْدِرُ على دَفْع

شُبههم وأبَاطِيلِهم وَقَطْع حُجَّتهم وأضَالِيلِهِم أن يبْذُلَ جَهْدَهُ ليَكْشِفَ رَذَائِلَهم ويُزيِّفَ دلائِلَهم ذَبًّا عَن الْمِلَّة الْحَنِيفِيَّة، وَالسُّنَّة الصَّحِيحَة الْجَلِيَّة.

وَلَا وَالله مَا رَأَيْت فيهم أحدًا مِمَّن صنَّفَ فِي هَذَا الشَّأْن وَادَّعَى عُلُوم الْمقَام إلا وَقدْ سَاعَدَ بِمَضْمُونِ كَلَامِه فِي هَدْمِ قَوَاعِدِ دينِ الإسْلامِ وَسببُ ذَلِك إعْرَاضُه عَن الْحَقِّ الْوَاضِح الْمُبين وَعَن مَا جَاءَت بِهِ الرُّسُل الْكِرَام عَن رَبِّ الْعَالَمِينَ واتِّباعُه طُرُقَ الفَلْسَفَة فِي الاصْطِلاحَات الَّتِي سَمَّوْهَا بزَعْمِهِم حُكْميّات وعَقْليّات وإنّما هِيَ جهالاتٌ وضلالاتٌ وَكَونه الْتَزَمَها مُعْرِضًا عَن غَيرِهَا أصلًا ورأسًا فَغلبَتْ عَلَيْهِ حَتَّى غطَّتْ على عقْلِه السَّلِيم فتخبَّطَ حَتَّى خَبطَ فِيهَا عَشْواء وَلم يُفَرِّق بَين الْحَقِّ وَالْبَاطِل وإلّا فَالله أعْظَمُ لُطْفًا بعِبَادِه أن لَا يَجْعَل لَهُم عقلًا يقبَلُ الْحقَّ ويُثبِّتُه وَيُبْطلُ الْبَاطِلَ وينْفِيه لَكِنَّ عدَمَ التَّوْفِيق وَغَلَبَة الْهوى أَوْقَعَ من أَوْقعَ فِي الضّلالِ وَقد جعَلَ الله تَعَالَى الْعَقْلَ السَّلِيم من الشَّوَائِبِ مِيزانًا يَزِنُ بِهِ العَبْدُ الوَارِدَات فَيُفَرِّقُ بِهِ بَين مَا هُوَ من قَبيلِ الْحَقِّ وَمَا هُوَ من قَبِيلِ الْبَاطِل وَلم يبْعَث الله الرُّسُلَ إلَّا الى ذَوي الْعَقْل وَلم يَقع التَّكْلِيف إلَّا مَعَ وُجُودِهِ فَكيْفَ يُقَال: إنه مُخَالفٌ لبَعض مَا جَاءَت بِهِ الرُّسُل الْكِرَام عَن الله تَعَالَى، هَذَا بَاطِلٌ قطعًا يشْهد لَهُ كل عقلٍ سليمٍ لَكِن ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قَالَ الشَّيْخ الإمام قدس الله روحه:

فَهَذَا وَنَحْوه هُوَ الَّذِي أوجبَ أَنّي صرفتُ جُلّ همِّي إلى الأصول وأَلْزَمَنِي أن أَوْرَدتُ مقالاتِهم وأجبتُ عَنْهَا بِمَا أَنْعمْ الله تَعَالَى بِهِ من الأجْوِبَة النّقليّة والعقليّة[1].

(١) الأعلام العلية: ص ٣٣ – ٣٥.



❁ **من عِبادَتِه وذِكْرِه.**

**قال أبو حفص البزار:**

أما تعبُّدُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ قلَّ أَنْ سُمِعَ بِمثلِهِ لأنه كَانَ قد قَطَعَ جُلّ وقْتِه وزَمَانِه فِيهِ حَتَّى أنّه لم يَجْعَل لنفسِهِ شاغلةً تشغله عَن الله تَعَالَى مَا يُرَاد لَهُ لَا من أهْلٍ وَلَا من مَال.

وَكَانَ فِي لَيْلَة متفرّدًا عَن النَّاس كلِّهم خَالِيًا بربِّه عَزَّوَجَلَّ ضارِعًا مواظبًا على تِلَاوَة الْقُرْآن الْعَظِيم مكررًا لأَنْوَاعِ التَّعبُّداتِ اللَّيْليّة والنّهاريّة.

وَكَانَ إذا ذهب اللَّيْل وَحضر مَعَ النَّاس بَدَأَ بِصَلَاة الْفجْر يَأْتِي بسُنّتها قَبْل إتْيَانِه إلَيْهم.

وَكَانَ اذا أحْرَمَ بِالصَّلَاةِ تكَاد تتخلع الْقُلُوب لِهَيْبَةِ إتْيَانِه بتكْبِيرَةِ الإحْرَام فَإِذا دخَلَ فِي الصَّلَاة ترتعِدُ أعضاؤه حَتَّى يُمِيلَه يَمْنَةً ويَسْرَةً.

وَكَانَ اذا قَرَأَ يَمُدّ قِرَاءَته مدًّا كَمَا صَحَّ فِي قِرَاءَة رَسُول الله ﷺ.

وَكَانَ رُكُوعه وَسُجُوده وانتصابه عَنْهُمَا من أَكْمل مَا وردَ فِي صَلَاة الْفَرْض.

وَكَانَ يُخَفف جُلُوسه للتَّشَهُّد الأول خفَّة شَدِيدَة ويَجْهَر بالتَّسْلِيمة الأولى حَتَّى يَسْمَعَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ.

فَإِذَا فَرَغَ مِن الصَّلَاة أَثْنَى عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ هُوَ وَمن حَضَر بِمَا ورد من قَوْله: **«اللَّهُمَّ أنت السَّلَام ومنك السَّلَام تَبَارَكت يَا ذَا الْجلَال والإكرام»**[١].

ثمَّ يقبل على الْجَمَاعَة ثمَّ يَأْتِي بالتهليلات الواردات حِينَئِذٍ.

---

(١) صحيح مسلم: (٥٩١).

ثمَّ يسبح الله وَيَحْمَدهُ ويُكَبِّره ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيخْتم الْمِائَة بالتهليل كَمَا ورد وَكَذَا الْجَمَاعَة ثمَّ يَدْعُو الله تَعَالَى لَهُ وَلَهُم وللمُسْلِمِينَ أجْنَاس مَا وَرَدَ.

وَكَانَ غَالب دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ انصرنا وَلَا تنصر عَلَيْنَا وامْكُرْ لنَا وَلَا تَمْكُرْ عَلَيْنَا واهْدِنَا وَيسِّرْ الْهُدَى لنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَك شَاكِرِينَ لَكَ ذَاكِرِين لَكَ أَوَّاهِينَ لَكَ مُخْبِتِين إلَيْكَ رَاغِبِينَ إلَيْكَ رَاهِبِينَ لَك مَطَاوِيع، رَبَّنَا تَقَبَّلْ توْبَاتِنَا واغْسِلْ حَوْبَاتِنَا وَثَبِّتْ حُجَجَنَا واهْدِ قُلُوبَنَا واسْلُلْ سَخِيمةَ صُدُورِنَا**»[(١)] يَفْتَتِحُهُ ويَخْتِمُه بِالصَّلَاةِ على النَّبِي ﷺ ثُمَّ يَشْرَعُ فِي الذِّكْرِ.

وَكَانَ قد عُرِفَتْ عَادَتُه لَا يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ بِغَيْر ضَرُورَةٍ بعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ فَلَا يَزَالُ فِي الذِّكْرِ يُسمِع نَفسَه وَرُبَّمَا يَسْمَعُ ذِكْرَه من إِلَى جَانِبِهِ مَعَ كَوْنِهِ فِي خِلالِ ذَلِك يُكْثِرُ من تَقْلِيبِ بَصَرِهِ نَحْو السَّمَاء.

هَكَذَا دَأْبُهُ حَتَّى تَرْتَفعَ الشَّمْسُ وَيَزُولَ وَقْتَ النَّهْي عَنِ الصَّلَاة.

وَكُنتُ مُدَّةَ إِقَامَتي بِدِمَشْق مُلَازِمَه جُلَّ النَّهَار وَكَثِيرًا من اللَّيْل وَكَانَ يُدْنيني مِنْهُ حَتَّى يُجْلسني إلى جَانِبه وَكنتُ أسْمَع مَا يَتْلُو وَمَا يذكر حِينَئِذٍ فرأيته يقْرَأ الْفَاتِحَة ويُكَرِّرُها وَيَقْطَعُ ذَلِك الْوَقْتَ كُلَّه - أَعْنِي: مِنَ الْفجْرِ إِلَى ارْتِفَاع الشَّمْس - فِي تكْرِير تِلاوَتِها. ففكّرتُ فِي ذَلِك لِمَ قدْ لزمَ هَذِه السُّورَة دُونَ غَيرهَا فَبَان لي - وَالله أعْلَم - أنَّ قَصدَه بذَلِكَ أنْ يَجْمع بتِلاوَتِها حِينَئِذٍ بَين مَا وَرَدَ فِي الأَحَادِيثِ، وَمَا ذَكَرَهُ الْعُلمَاء هَل يُسْتَحبّ حِينَئِذٍ تَقْدِيم الأذْكَار الْوَارِدَة على تِلَاوَة الْقُرْآن أوِ الْعَكْس فرأَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنّ فِي الْفَاتِحَة وتكرارها حِينَئِذٍ جَمْعًا بَين الْقَوْلَيْنِ وتحصيلًا للفَضِيلتَيْن وَهَذَا من قُوَّة فِطْنَتِه وثاقِبِ بصيرته.

---

(١) سنن أبي داود: (١٥١٠).



ثمَّ إنه كَانَ يرْكَع فَإِذا أراد سَماع حَدِيث فِي مَكَان آخَر سارع إليْه من فَوْره مَعَ من يَصْحَبهُ فقَلّ أن يرَاهُ أحْدُ مِمَّن لَهُ بَصِيرَة إلا وانكَبّ على يَدَيْهِ يُقبّلُهما حَتَّى أنه كَانَ إذا رَاه أرْبَاب الْمَعايِش يتخطّون من حَوَانِيتهم للسّلام عَلَيْهِ والتبرُّك بِهِ وَهُوَ مَعَ هَذَا يُعْطي كلَّا مِنْهُم نَصِيبًا وافرًا من السَّلَام وَغَيره وإذا رأى مُنْكرًا فِي طَرِيقه أزالَهُ أوْ سمع بِجنَازَة سارع إلى الصَّلَاة عَلَيْهَا أوْ تأسّف على فَوَاتها وَرُبّمَا ذهب إلى قبر صَاحبهَا بعد فَرَاغه من سَماع الحَدِيث فصلّى عَلَيْهِ ثمَّ يعود إلى مَسْجده فَلَا يزَال تَارَة فِي إفتاء النَّاس، وَتارَة فِي قَضَاء حوائجهم حَتَّى يُصَلِّي الظّهْر مَعَ الْجَمَاعَة ثمَّ كَذَلِك بَقِيَّة يَوْمه وَكَانَ مَجْلِسه عَامًّا للكَبِير وَالصَّغِير والْجَلِيل والْحَقِير وَالْحرّ وَالْعَبْد وَالذَّكَر والأُنْثَى قدْ وَسَّعَ على كلِّ من يَرِد عَلَيْهِ من النَّاس يَرى كلٌّ مِنْهُم فِي نَفسه أن لم يُكرِم أحدًا بِقَدرِه.

ثمَّ يُصَلِّي الْمغرب ثمَّ يتَطَوَّع بِمَا يَسَّرَهُ الله ثُمَّ أَقْرَأُ عَلَيْهِ من مُؤَلَّفَاتِهِ أَوْ غَيْرِي فيُفِيدُنَا بالطَّرَائِفِ ويُمِدُّنَا باللَّطَائِفِ حَتَّى يُصَلِّي الْعشَاء ثمَّ بعْدهَا كَمَا كُنَّا وَكَانَ من الإِقْبَال على الْعُلُوم إلى أن يذْهَبَ هوِيّ من اللَّيْل طَوِيلٌ وَهُوَ فِي خِلالِ ذَلِك كُلِّهِ فِي النَّهَارِ وَاللَّيْلِ لَا يَزَال يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى ويُوحِّدُهُ ويسْتَغْفِرُهُ.

وَكَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ كثيرًا مَا يرْفَعُ طَرْفَه إلى السَّمَاء لَا يَكَادُ يفتُرُ من ذَلِك كَأَنَّهُ يرى شَيْئا يُثبتهُ بنظره فكَانَ هَذَا دَأْبُه مُدَّة إقامتي بِحَضْرَتِهِ(١).

۞ **من أخلاقِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّة.**

**قال أبو حفص البزار:**

وَلَقَدْ بَالغَ مَعِي فِي حَالِ إِقَامَتِي بِحَضْرَتِهِ فِي التَّوَاضُع وَالإِكْرَام حَتَّى إِنَّه لَا يَذْكُرُنِي بِاسْمِي بَلْ يُلَقِّبُنِي بِأَحْسَنِ الأَلْقَابِ وَيُظْهِرُ لي خُصُوصًا بَيْنَ أَصْحَابِي مِنْ

---

(١) الأعلام العلية: ص ٣٦ – ٤٠.

الْإِكْرَام والتَّبْجِيلِ والإِدْنَاءِ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يَتْرُكُنِي أَجْلِسْ إِلَّا إِلَى جَانِبِهِ قَصِيرًا كَانَ مَجْلِسِهِ أَوْ طَوِيلًا خَاصًّا أَو عَامًا ولازَمَنِي فِي حَالِ قِرَاءَتِي صَحِيحِ الْبُخَارِيّ وَكَانَ قَصْدِي قِرَاءَتَه على رِوَايَة مُنْفَرِدًا لاسْتِصْغَارِي نَفسِي عَن الْقِرَاءَة هُنَاكَ بِمَحْضَرٍ مِن النَّاسِ ولِقَصْدِي تَعْجِيلَ فَرَاغِي مِنْهُ انتِهازًا للفُرْصَةِ وخَوْفًا من فَوَات ذَلِك الشَّيْخ الرَّاوِي لكَونِهِ تَفَرَّدُ بِرِوَايَتِهِ سَمَاعًا عَلَى أَصْحَابِ أَبِي الْوَقْتِ السِّجْزِي فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْخُ بِذَلِكَ أَلْزَمَنِي قِرَاءَتَه بِمَجْمَعٍ كَثِيرٍ من النَّاسِ رِجَالًا وَنسَاءً وصِبْيَانًا وَقَالَ:

مَا يَنْبَغِي إِلَّا على صفة يكون نَفعهَا مُتَعَدِّيا إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَتَجَرَّدَ لي بِحَيْثُ حَصَلَ لِي مُرَادِي وفَوْقَهُ مِن تَحْصِيلِ قِرَاءَتِي لَهُ فِي عِشْرِينَ مَجْلِسًا مُتَوَالِيةً لَمْ يَتخَلَّلْهَا سِوَى الْجُمُعَة ولازَمَنِي فِيهَا وَحَضَرَ الْقِرَاءَة كلَّهَا يَضْبِطُها بِنُسْخَة كَانَتْ بِيَدِهِ هِيَ أَصْلُ ابْنِ نَاصِر الْحَافِظ يُعَارِضُ بهَا نُسْخَة الْقِرَاءَة وَكَانَت أَصْلَ الشَّيْخِ الْمُسَمِعِ[1].

**وقال أبو حفص البزار:**

وَأَظْهَرَ لي مِن حُسْنِ الْأَخْلَاق وَالْمُبَالغَةِ فِي التَّوَاضُع بِحَيْثُ أَنه كَانَ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ مَنْزِلِهِ بِقَصْدِ الْقِرَاءَة يَحْمِلُ هُوَ بِنَفسِهِ النُّسْخَة وَلَا يَدَعْ أَحَدًا مِنَّا يحْمِلُهَا عَنهُ وَكُنْتُ أعْتَذرُ إِلَيْهِ مِن ذَلِك خَوْفًا من سُوءِ الْأَدَبِ فَيَقُولُ: لَو حَمَلْته على رَأْسِي لَكَانَ يَنْبَغِي أَلا احْمِلْ مَا فِيهِ كَلَام رَسُول الله ﷺ[2].

## ۞ فِرَاسَتُه وكَرَامَاتُهُ.

**قال أبو حفص البزار:**

وحَدَّثَني الشَّيْخُ الْعَالِمُ الْمُقْرِيءُ تَقِيُّ الدِّينِ عبد الله ابْن الشَّيْخ الصَّالح

---

(١) الأعلام العلية: ص ٥١ – ٥٢.

(٢) الأعلام العلية: ص ٥٢.

المقريء احْمَد بن سعيد قَالَ: مَرضت بِدِمَشْق اذ كنت فِيهَا مرضة شَدِيدَة منعتني حَتَّى من الْجُلُوس فَلم اشعر إِلَّا وَالشَّيْخ عِنْد رَأْسِي وَأَنا مُثْقَلٌ مُشْتَدٌّ بالْحُمَّى وَالْمَرَض فَدَعَا لي وَقَالَ: جَاءَت الْعَافِيَة، فَمَا هُوَ إِلَّا أَن فارقني وَجَاءَت الْعَافِيَة وشُفِيتُ مِن وَقْتِي (١).

**وقال أبو حفص البزار:**

وحَدثني أَيْضا قَالَ: أَخبرنِي الشَّيْخ ابْن عماد الدّين الْمُقْرِئ الْمُطَرز قَالَ:

قَدِمْتُ على الشَّيْخ وَمَعِي حِينَئِذٍ نَفَقَةٌ فسلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَليّ ورَحَّبَ بِي وأَدْنَانِي وَلَمْ يَسْأَلْنِي هَلْ مَعَك نَفَقَةٌ أَمْ لَا؟

فَلَمَّا كَانَ بعد أَيَّام ونَفَدَتْ نَفَقَتِي أَرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ مِن مَجْلِسِهِ بعْدَ أَنْ صلَّيْتُ مَعَ النَّاس وَرَاءَهُ فَمَنَعَنِي وأَجْلَسَنِي دُونَهُم فَلَمَّا خَلَا الْمَجْلِسُ دَفَعَ إِلَيَّ جُمْلَة دَرَاهِم وَقَالَ: أَنتَ الْآنَ بِغَيْر نَفَقَة فارْتَفِقْ بِهَذِهِ.

فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِك وَعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ كَشَفَهُ على حَالي أَوَّلًا لَمَّا كَانَ معي نَفَقَة وآخِرًا لِمَّا نفَدَتْ واحْتَجْتُ إِلى نَفَقَة.

وحَدثني من لَا أَتَّهِمهُ ان الشَّيْخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِين نزل الْمغل بِالشَّام لأخذ دمشق وَغَيرهَا رجف أَهلهَا وخافوا خوفًا شَدِيدًا.

**وَجَاء اليه جمَاعَة مِنْهُم وسألوه الدُّعَاء للْمُسلمين فَتوَجَّه إِلى الله ثُمَّ قَالَ:**

أَبْشِرُوا فَإِنَّ الله يَأْتِيكُم بالنَّصْرِ فِي الْيَوْم الْفُلَانِيّ بعد ثَالِثَةٍ حَتَّى تَرَوْنَ الرُّؤُوسَ مُعَبَّأَةً بَعْضهَا فَوق بعضٍ.

قَالَ الَّذِي حَدثنِي: فوالذي نَفسِي بِيَدِهِ أَوْ كَمَا حَلَفَ مَا مَضَى إِلَّا ثَلَاث مِثل

(١) الأعلام العلية: ص ٥٨.

قَوْله حَتَّى رَأَيْنَا رُؤُوسَهُم كَمَا قَالَ الشَّيْخ على ظَاهِرِ دِمَشْق مُعَبَّأَةً بَعْضهَا فَوق بعض.

وحَدثني الشَّيْخ الصَّالح الْوَرع عُثْمَان بن احْمَد بن عِيسَى النساج أَن الشَّيْخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يعود المرضى بالبيمارستان بِدِمَشْق فِي كُلِّ أُسْبُوع فَجَاء على عَادَتِه فعَادَهُم فوَصَلَ إِلى شَابٍّ مِنْهُم فَدَعَا لَهُ فشُفِيَ سَرِيعًا، وَجَاء الى الشَّيْخ يقْصد السَّلَام عَلَيْهِ فَلَمَّا رَآهُ هَشَّ لَهُ وَأَدْنَاهُ ثمَّ دَفعَ إِلَيْهِ نَفَقَةً وَقَالَ: قَدْ شَفَاكَ اللهُ فَعَاهِدِ الله أَنْ تعَجِّلَ الرُّجُوع إلى بلَدِكَ، أَيجوزُ أَن تتْرك زَوجتك وبناتِكَ أَرْبعًا ضَيْعَة وتُقِيمَ هَا هُنَا فَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ:

**يَا سَيِّدي أَنا تائِبٌ إلى الله على يدِكَ وَقَالَ الْفَتى**: وَعَجِبت مِمَّا كَاشَفَنِي بِهِ وَكنْتُ قدْ تَرَكْتُهم بِلَا نَفَقَةٍ وَلم يَكُنْ قَدْ عَرَفَ بِحَالِي أَحَدٌ مِن أَهْلِ دِمَشْق.

وحَدَّثني من أَثِق بِهِ أَنَّ الشَّيْخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخبرَ عَن بعْضِ الْقُضَاة أَنَّه قَدْ مَضَى مُتَوَجِّها إِلى مِصْر الْمَحْرُوسَةِ ليُقَلَّدَ الْقَضَاءَ وَأَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ:

حَالَمَا أَصِلُ إِلى الْبَلَد قَاضِيًا أَحْكُمُ بِقَتْلِ فلَانٍ رَجُل مُعَيَّن من فُضَلاء أَهْل الْعِلْم وَالدِّين قد أَجْمع النَّاس على عِلْمِه وزُهْدِه ووَرَعِهِ وَلَكِن حَصَلَ فِي قَلْبِ الْقَاضِي مِنْهُ من الشَّحْنَاءِ والعداوَةِ مَا صَوَّبَ لَهُ الْحُكْم بقَتْلِهِ فَعَظُم ذَلِك على مَن سَمعَهُ خَوْفًا من وُقُوع مَا عَزَمَ عَلَيْهِ من الْقَتْل لِمِثْل هَذَا الرَّجُل الصَّالِح وحَذَرًا على الْقَاضِي أَن يُوقِعَهُ الْهَوى والشَّيْطانُ فِي ذَلِك فَيَلْقَى اللهَ مُتَلَبِّسًا بِدَم حرَامٍ وفَتْكٍ بِمُسلم مَعْصُوم الدَّم بِيَقِين وكَرِهُوا وُقُوعَ مِثْلِ ذَلِك لِمَا فِيهِ من عَظِيم الْمَفَاسِد فأُبْلِغَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا الْخَبرَ بصفتِهِ.

فَقَالَ: إِنَّ الله لَا يُمَكِّنُهُ مِمَّا قَصَدَ وَلَا يصِلُ إِلى مِصْرَ حَيًّا فبَقِيَ بَين الْقَاضِي وَبَين مِصْر قَدْرٌ يسِيرٌ، وأَدْرَكه الْمَوْتُ، فَمَاتَ قبْلَ وُصُولها كَمَا أَجْرَى الله تَعَالَى على



لِسَان الشَّيْخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [١].

* **جُودُهُ وإِحْسَانُهُ.**

**قال أبو حفص البزار:**

وحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ: أَنَّ الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ مَارًّا يَوْمًا فِي بَعْضِ الأَزِقَّة فَدَعَا لَهُ بعضُ الْفُقَرَاء وَعرفَ الشَّيْخُ حَاجَتَهُ، وَلم يَكُنْ مَعَ الشَّيْخِ مَا يُعْطِيهِ، فَنَزَعَ ثَوْبًا على جِلْدِهِ وَدَفَعَه إِلَيْه وَقَالَ: بِعْهُ بِمَا تيَسّر وأنفِقْهُ وَاعْتذِرْ إِلَيْه من كَوْنِهِ لَمْ يَحْضر عِنْدَهُ شيءٌ من النَّفَقَة.

وَهَذَا أَيْضًا من الْمُبَالغَة فِي عَدَم اكْتِرَاثِه فِي غَيْرِ مَا يُقَرِّب إِلَى اللهِ تَعَالَى، وجُودِهِ بِالْمَيْسُورِ كَائِنًا مَا كَانَ، وَهَذَا من أَبْلَغِ إِخْلَاصِ الْعَمَل لله عَزَّوَجَلَّ فسُبْحَانَ الْمُوَفِّق مَن شَاءَ لِمَا شَاءَ.

وحَدَّثَني من أثِقُ بِهِ: أَنَّ الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ لَا يَرُدُّ أحدًا يسْأَله شَيْئًا كَتَبه بلْ يَأْمُرُهُ أَنْ يَأْخُذ هُوَ بِنَفسِهِ مَا يَشَاء مِنْهَا.

وَأَخْبرنِي أَنه جَاءَهُ يَوْمًا إِنْسَان يسْأَله كتابا ينْتَفع بِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ كِتَابًا يَخْتَارُهُ فَرَأى ذَلِك الرَّجُل بَيْنَ كُتُبِ الشَّيْخ مُصْحفًا قدِ اشْترَى بِدَرَاهِم كَثِيرَة فَأَخَذَهُ وَمَضَى

فَلامَ بَعْضُ الْجَمَاعَةِ الشَّيْخَ فِي ذَلِك فَقَالَ: أَيحْسُن بِي أَنْ أَمْنَعَه بعد مَا سَأَلَهُ، دَعْهُ فلينتفع بِهِ

وَكَانَ الشَّيْخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنكر إِنْكارًا شَدِيدًا على مَنْ يسْأَل شَيْئًا مِن كُتُبِ الْعِلْمِ الَّتِي يَملِكُهَا ويَمْنَعُها مِنَ السَّائِل وَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ الْعِلْمُ مِمَّن يَطْلُبُهُ [٢].

---

(١) الأعلام العلية: ص ٥٩ – ٦١.

(٢) الأعلام العلية: ص ٦٥ – ٦٦.

## ۞ شَجَاعَتُهُ وَرَبَاطَةُ جَأْشِهِ.

**قال أبو حفص البزار:**

وَكَانَ يَقُول: لَن يخَافَ الرَّجُلُ غَيْرَ الله إِلَّا لِمَرضٍ فِي قَلْبه فإِنّ رَجُلًا شكى إِلَى أَحْمد بن حَنْبَل خوفَهُ من بعض الْوُلَاة فَقَالَ: لَو صَحَحْتَ لَمْ تَخَفْ أَحَدًا، أَي: خَوْفُك مِن أَجْلِ زَوَال الصِّحَّة من قَلْبك.

وَأَخْبرنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُه أَنَّ الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِين وُشِيَ بِهِ إِلَى السُّلْطَان الْمُعَظَّم الْمَلِك النَّاصِر مُحَمَّد أَحْضَرَه بَين يَدَيْهِ قَالَ:

فَكَانَ من جملَة كَلَامه: إِنَّنِي أُخْبِرْتُ أَنَّك قدْ أطَاعَكَ النَّاسُ، وَأَنَّ فِي نَفسك أَخْذَ الْمُلْك فَلَمْ يَكْتَرِثْ بِهِ، بَلْ قَالَ لَهُ بِنَفس مُطْمَئِنّة وقَلْبٍ ثَابِتٍ وَصَوْتٍ عَالٍ سَمعَهُ كثِيرٌ مِمَّن حَضَرَ: أَنا أفعل ذَلِك! وَالله إِنَّ مُلْكَكَ وَمُلْك الْمُغْل لَا يُسَاوِي عِنْدِي فِلْسَيْن.

فَتَبَسَّمَ السُّلْطَان لذَلِك وأجابهُ فِي مُقَابلَته بِمَا أَوْقَعَ الله لَهُ فِي قَلْبه من الهَيْبَة الْعَظِيمَة: إِنَّك وَالله لصَادِق، وَإِن الَّذِي وَشَى بك إِلَيّ كَاذِبٌ وَاسْتَقَرّ لَهُ فِي قَلْبِهِ من الْمَحَبَّة الدِّينِيَّة مَا لَوْلَاه لَكَانَ قد فَتَكَ بِهِ مُنْذُ دَهْرٍ طَوِيلٍ من كَثْرَة مَا يُلْقَى إِلَيْه فِي حَقِّه من الأَقَاوِيلِ الزُّورِ والبُهتَان مِمَّن ظَاهِرُ حَالِهِ للطّغامِ الْعَدَالَة، وباطِنُه مشْحُونٌ بِالْفِسْقِ والْجَهَالَة(١).

---

(١) الأعلام العلية: ص ٧٢ – ٧٣.



**۞ عَفْوُهُ ومُسَامَحَتُه.**

**قال أبو حفص البزار:**

أَخْبرنِي غير وَاحِد مِمَّن كَانَ حَاضرا بِدِمَشْق حِين وَفَاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالُوا: إِن الشَّيْخ - قدس الله روحه - مرض أَيَّامًا يسيرَة، وَكَانَ إِذْ ذَاك الْكَاتِب شمس الدّين الْوَزير بِدِمَشْق المحروسة، فَلَمَّا علم بمرضه اسْتَأْذن فِي الدُّخُول عَلَيْهِ لعيادته فَأذن الشَّيْخ لَهُ فِي ذَلِك فَلَمَّا جلس عِنْده أَخَذَ يعْتَذر لَهُ عَن نَفسه ويَلْتَمِسُ مِنْهُ أَن يُحِلَّه مِمَّا عَسَاهُ أَن يَكُونَ قَدْ وَقع مِنْهُ فِي حَقِّهِ مِنْ تَقْصِير أَو غَيره فَأَجَابَهُ الشَّيْخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنِّي قد احللتك وَجَمِيع من عاداني وَهُوَ لَا يعلم أَنِّي على الْحق.

وَقَالَ مَا مَعْنَاهُ: إِنِّي قد أحللت السُّلْطَان الْملك النَّاصِر من حَبسه إِيَّايَ لكَونه فعل ذَلِك مُقَلدًا غَيره مَعْذُورًا وَلم يَفْعَله لِحَظِّ نَفسِهِ بَلْ لِمَا بَلَغَهُ مِمَّا ظَنّه حَقًّا من مُبَلِّغِهِ، وَالله يَعْلمُ أَنَّهُ بِخِلَافِهِ، وَقد أَحْلَلْتُ كلَّ وَاحِدٍ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَه إِلَّا مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَرَسُولِهِ[1].



(١) الأعلام العلية: ص ٨١ – ٨٢.



# الْخاتِمَة

الْحَمدُ لله والصلاةُ والسلامُ على رسُول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، **وبعد.**

فقد انتهيت بحمد الله من كتابي (**الكُنُوزُ الْمَلِيَّة مِن أَقْوَال وأَحْوَال شَيْخِ الإسْلامِ ابْنِ تيميّة من كُتُبِ الإِمَامِ ابنِ القَيِّم وغَيْرِه**) وهو يعرض لنا طرفًا من حياة إمام من أئمة المسلمين عبر القرون الماضية وطائفة من أقواله وأحواله لا سيما الأحوال الإيمانية والقلبية وهي من أهم الأمور التي يفتقدها أهل زماننا، وإن تعجب فاعجب من إهمال المسلمين لها على أهميتها وعظيم قدرها وقيمتها.

وقد كنتُ عزمْتُ على تأليفِ هذه الْمَعَاني، وقصدتُ إلى تَأْسِيسِ تِلْكَ الْمَبانِي من سيرة وحَيَاةِ شيْخِ الإسْلامِ حتّى أَتَمّ اللّهُ النِّعمةَ، ووفَّق وهَدَى إلى الانتهاء من هذا الكتاب.

وقد كان من سَالِف تَقْدير الله تعالى أني لقيتُ يومًا بعْضَ الشُّيوخِ الّذِين أَحْلَلْتُهم منّي مَحَلّ الإفَادة، وجعلتُ مَجَالِسَهم مَحَطًّا للرِّحلة ومُنَاخًا للوِفَادَة، فَحَدّثني يومًا أن بعضَ الْمَشْهُورين بين الناس بالعلم في بلاد مصر المحروسة قد ذكر أنّ ابنَ تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمْ يكنْ عنده شيء من الرقائِقِ والأَحْوَال التعبُّديّة فَحِينها فكّرتُ في ذلك، وجُلْتُ في تلك الْمَسَالِك، وشرَعْتُ في تَرْتِيب الكِتَابِ وتصنِيفِه، ونبَذْتُ الشّواغِلَ دُون تكْمِيله وتَأْلِيفه.

ويعلم الله أني قد أعملتُ في نفسي بعضَ هذه الأعمَال حِينًا من الدَّهْر، فوجدتُ لها في حالي أثرًا كبيرًا، فعلمتُ خطرَها وعرفتُ قدْرَها.

تلكَ الْمَكارمُ لا ناقٌ مُصرّمةٌ    تَرْعى الفَلَاةَ ولا قعبٌ من اللَّبَنِ

فمن أراد أن يحدوَ همّتَه ويوقدَ عزمَهُ ويشحَذَ عزيمة فليطالِعْ كلامَ شيْخِ الإسْلامِ فَسَيَجِدُ - إن شاء الله - في نفْسِهِ حُبًّا للمُعَامَلة وإقْبالًا على الآخِرَة، وحلاوةً للعِبَادة، ولذَّةً للطّاعة، وقُوّةً في النَّفْس عليها، وليس الْخَبَرُ كالْمُعَايَنة، وما راءٍ كمنْ سمِعَا.

فمن وَجَدَ في نفْسِه قُعُودًا عن الطّاعة، وألفى في حالِه كسلًا عن العِبَادة، وتثاقلًا إلى الأرض، وإخلادًا إلى الراحة؛ فلينظرْ في هذه الرسالة فلعلّه تعلُو همَّتُه، وتتوقَّد عزيمتُه، ويُعان على نَفْسِه، ويُوفَّقُ إلى سُبُلِ الْخَيْرَات.

لا سيَّمَا في هذا الزَّمان الذي اضطربُ فيه الْحَبْل، وانتكَثَتْ الْهِمَم، وانتكَسَتْ العَزَائم، وتفرَّقت الأفْهام، وكَثُرتْ الأقَاوِيل والأَوْهام، وخفيتْ مواضِعُ الاتّفاق وظهرتْ مواطنُ الاخْتِلاف والْتَبَس الْحَقّ على الصّغَار والكِبَار، ونِيْلَ جانِبُ الْمُسْلِمِين بالضَّيْم، وتضَعْضَعَ منارُهُم بالرَّغْم، وقُصِدتْ أصُولُ دينهم بالهَدْم.

فَيَا طَلَبَة العِلْم استَعِينُوا على أحْوالِكم الإيمانيّة بسِيَرِ الْمُقْتَدِين من عُلمَائِكم، واقْتَدُوا بأَحْوالِ الْمُهْتَدِين مِنْ أئِمَّتِكم وفُهَمَائِكم، فإنَّ تجاربَ الْمُتَقَدِّمين مَرَايَا الْمُتَأَخِّرين، ثم إنَّنا بحاجَة إلى تلكَ الأعْمَال لتكُونَ لنَا في سَيْرِنا إلى الله كالْمِنْهَاجِ الْمَحْمُود، وفي الْحيْلولة بيننا وبين الفِتَن كالسِّياجِ الْمَمْدُود.

اللهم اجعل قَولَنَا موصُولًا بالعَمَل، وعَمَلنَا مُحَقِّقًا لغَايَتِنا من الأَمَل، وارزُقْنا حُبَّكَ، وأَلْهِمْنا بِرَّك، وأوْزِعْنا شُكْرَك، وأجْرِ على ألسِنَتِنا ذِكْرك، فلا يُسْرَ إلا ما يسَّرْتَه، ولا خيْرَ إلا ما وهَبْتَه ورَزَقْتَه، وأنتَ الْمُسْتَعان ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بِك.

**وصلّى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.**

**وكتبه خادم السنة المطهرة:**

**الدكتور / عماد محمد علي عيسى.**

ضُحى يوم السّبْت ٨ جُمَادى الأولى ١٤٤١ هـ الموافق ٤/ ١/ ٢٠٢٠ م.

# مُحْتَوَياتُ الكِتابِ

